الجهاد : الفريضة الخائبة

الاظلام السياسى وخريطة الطريق المفروش بالجماجم الى جنة الوهم

اعداد

شاكر فضل الله النعمانى

مقدمة

وأعدوا لهم ا استطعتم من القوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم .

الأنفال ٦٠

خير ما نبدأ به هذه المقدمة هو تعريف معنى الجهاد .
بحسب "لسان العرب" " وجاهد العدو مجاهدة وجهادا : قاتله وجاهد فى سبيل الله . وفى الحديث : لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ؛ الجهاد محاربة الأعداء , وهو المبالغة واستفراغ ما فى الوسع والطاقة من قول أو فعل , والمراد بالنية اخلاص العمل لله , أى انه لم يبق بعد فتح مكة هجرة لأنها قد صارت دار سلام, وانما هو الاخلاص فى الجهاد وقتال الكفار . والجهاد : المبالغة واستفراغ الوسع فى الحرب أو اللسان أو ما أطاق من شئ ." (لسان العرب جزء ١ صفحة ٧١٠) .

اذا الجهاد اصطلاحا هو قتال الكفار ومحاربتهم .

والقرآن صريح وواضح كل الوضوح فى هذا , ففيه يقول الله لنبيه :
" يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم " التوبة ٧٣ .
ويكررها مرة ثانية ى سورة التحريم :
" يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم " التحريم ٩ .
ويقول للمؤمنين :
"أنفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله .." التوبة ٤١ .

والله يميز بين الذين يخرجون للقتال فى سبيله وبين القاعدين فى بيوتهم. ولهذا نقرأ فى القرآن :
" فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم عن القاعدين درجة.." النساء ٩٥ .
و" لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله " النساء ٩٥
و " وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما.." النساء ٩٥ .

والجهاد الذى هو القتال كما بيننا فرض كالصوم مثلا. ولكنه فرض كفاية وليس فرض عين.
أى أن بعض المسلمين يقومون به نيابة عن جميع المسلمين .
فكما كتب الصيام على المسلمين هكذا القتال ايضا . كما هو واضح من الآيات القرآنية التالية :

يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام . البقرة ١٨٣
كتب عليكم القتال وهو كره لكم . البقرة ٢١٦
فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال .. . النساء ٧٧ .

والجهاد يكون بالنفس والمال.
يكون بالمال بتجهيز العدة من شراء السلاح والخيول والمؤن.

فالذي يجهز غازياً من ماله في سبيل الله، يكون له مثل أجر من غزا، ومما يدل على ذلك ما رواه البخاري و مسلم عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا..." .

ويكون الجهاد بالتفس عن طريق الاستشهاد فى القتال .

وها هى بعض الآيات القرآنية الدالة على ان الجهاد بالنفس والمال :

ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ... الأنفال ٧٢
الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله . التوبة ٢٠
لكن الرسول والذين معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم . التوبة ٨٨

مرة أخرى , الجهاد اصطلاحا هو قتال الكفار ومحاربتهم .
نقول ونكرر هذا حتى نقفل الباب على المتنطعين الذين يتمسحون فى حديث ضعيف منسوب لنبى الاسلام مفاده أن الجهاد هو جهاد النفس ضد الخطية.
وفيما يلى نقل حرفى لذلك الحديث واسباب تضعيفه كما جاء فى موقع محقق الحديث الأشهر محمد ناصر الدين الألبانى :

٢٤٦٠ - " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر " .
منكر
قال الحافظ العراقي في " تخريج الإحياء " (٦/٢) :
" رواه البيهقي في " الزهد " من حديث جابر ، وقال : هذا إسناد فيه ضعف " .
وقال الحافظ ابن حجر في " تخريج الكشاف " (١١٤/٤ - رقم ٣٣) : بعد أن حكى كلام البيهقي فيه :

" وهو من رواية عيسى بن إبراهيم عن يحيى بن يعلى عن ليث بن أبي سليم ، والثلاثة ضعفاء ، وأورده النسائي في " الكنى " من قول إبراهيم بن أبي عبلة أحد التابعين من أهل الشام " .
قلت : عيسى بن إبراهيم هو البركي ، وقد قال فيه الحافظ في " التقريب " :
" صدوق ربما وهم " ، فإطلاقه الضعف عليه - كما سبق - ليس بجيد .
وهذا هو الذي اعتمده الحافظ ؛ أنه من قول إبراهيم هذا ، فقد قال السيوطي في " الدرر " (ص ١٧٠) :
" قال الحافظ ابن حجر في " تسديد القوس " : هو مشهور على الألسنة ، وهو من كلام إبراهيم بن أبي عبلة في " الكنى " للنسائي " .
ثم تعقبه السيوطي بحديث جابر الآتي من رواية الخطيب ، ولوتعقبه برواية البيهقي السابقة لكان أولى ؛ لخلوها من متهم ، بخلاف رواية الخطيب ففيها كذاب !

كما يأتي قريبا بلفظ :" قدمتم خير مقدم .. " .
ونقل الشيخ زكريا الأنصاري في تعليقه على " تفسير البيضاوي " (ق ١/١١٠) عن

شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال :" لا أصل له " . وأقره .
وقال في مكان آخر (١/٢٠٢) :
" رواه البيهقي وضعف إسناده ، وقال غيره : لا أصل له " .
وأما قول الخفاجي في " حاشيته على البيضاوي " (٣١٦/٦) :

" وفي سنده ضعف مغتفر في مثله " .
فغير مستقيم ؛ لأن ظاهره أنه حسن ، وكيف ذلك وفي سنده ثلاثة ضعفاء ، وقد اتفق من تكلم فيه على ضعفه ؟ !
ثم بعد سنين ، وقفت على الحديث في " الزهد " للبيهقي (١/٤٢) ، فإذا هو بلفظ :" قدمتم خير مقدم ، قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر : مجاهدة العبد هو اه " .
وكذلك رواه أبو بكر الشافعي في " الفوائد المنتقاة " (١/٨٣/١٣) من طريق عيسى ابن إبراهيم البركي قال : نا يحيى بن يعلى قال : نا ليث عن عطاء عن جابر قال : قدم على النبي صلى الله عليه وسلم قوم عراة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم :فذكره .
قلت : وهذا سند ضعيف ، ليث هو ابن أبي سليم ، وهو ضعيف لاختلاطه ، ويحيى بن يعلى ؛ الظاهر أنه الأسلمي ، وهو ضعيف أيضا ، وبقية رجاله ثقات .
والحديث رواه الخطيب أيضا في " تاريخه " (٥٢٣/١٣ - ٥٢٤) من طريق الحسن بن هاشم عن يحيى بن أبي العلاء ، قال : حدثنا ليث به .
والحسن بن هاشم ؛ لم أجد له ترجمة .
ويحيى بن أبي العلاء لعله يحيى بن العلاء الكذاب ، ولكن يغلب على الظن أنه يحيى بن يعلى المذكور في سند أبي بكر الشافعي والبيهقي ، تحرف اسم أبيه على ناسخ " التاريخ " ، فإنه المذكور في الرواة عن ليث . ويؤيده أن السيوطي أورد الحديث في " الدرر " (ص ١٧٠) من رواية الخطيب متعقبا به على الحافظ ابن حجر جزمه بأن الحديث من قول إبراهيم بن أبي عبلة ، فلوكان في سند الخطيب الوضاع المذكور ؛ لما تعقب به السيوطي إن شاء الله تعالى .

ثم رأيته على الصواب في " ذم الهو ى " لابن الجوزي (ص ٣٩) من طريق الخطيب ، بدلالة أحد الإخوان جزاه الله خيرا
والحديث قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية في " مجموع الفتاوي " (١٩٧/١١) :
" لا أصل له ، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله ، وجهاد الكفار من أعظم الأعمال ، بل هو أفضل ما تطوع به الإنسان .. " .
ثم ذكر بعض الآيات والأحاديث الدالة على أنه من أفضل الأعمال ، فكأنه رحمه الله يشير بذلك إلى استنكار تسميته بالجهاد الأصغر .
انتهى النقل عن موقع الألبانى .

اذا الحديث منكر ولا أصل له.

نعود مرة أخرى الى المقدمة ونقول أن من أعظم مجاهدى العصر الحديث الشيخ عبد الله عزام قائد المجاهدين الأفغان والشيخ أسامة بن لادن . والأخير فاقت شهرته الآفاق عندما أصبح المطلوب رقم واحد فى العالم بعد واقعة تفجير برجى التجارة العالميين فى نيويورك .

لقد قرأت مقالة عن بن لادن أرى انه من المناسب ان أورد بعضا منها هنا .

"الشيخ أسامة من الثابت شرعا انه يستحق هذه الدرجة الدينية أكثر من مئات الآلاف غيره يحملونها اسما ولا يفعلون ما يترتب على حامل هذه الدرجة أن يفعله.
أسامة بن لادن رجل صادق وصريح والأهم من هذا انه بوجه واحد وليس بعدة أوجه، قد يستعمل أحدها مع المسلمين والثاني مع غير المسلمين والثالث مع المتعلمين والنخبة والرابع مع عوام الناس الخ.
هو ليس قرآني يأتي لنا بخليط علماني ليبرالي بمفردات اسلامية ليقول لنا هذه هي حقيقة الاسلام، والاسلام من تلك الخلطة وأصحابها براء. وهو ليس مدُعي وسطية ليقع في مطب الحقيقة الساطعة التي تقول أن لا وسطية في ما هو مقدس. هو سلفي بالفعل لا يتوانى حسب شروط القدرة المتوفرة على القيام بما قام به السلف وأكثر.
هو لا يفسر النصوص المقدسة بمزاجه، وليس له منهج خاص وفريد للتفسير، ولا يحاول ليِّ عنق النصوص ليقولبها بما يخدم أجندة خاصة، ولا ينكر سنّة ولا قياساً ولا اجماعا ولا أي من الأمور التي كانت على مر العصور ومازالت محل اجماع غالبية ان لم يكن كل المسلمين. طبعا مع اعتباره للقرآن أول وأهم مصادر التشريع.
كل ما فعله بن لادن فعلهُ المسلمون منذ بداية الدعوة، وهو ليس إلا شخص مؤمن أصر على أن يقتدي بالرسول وصحابته وقبل هذا فهو يريد ارضاء ربه عبر العمل على تنفيذ ما هو مطلوب منه شرعا حسب نصوص صريحة وواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار.
لهذا لم يتجرأ رجل دين "ذو وزن" حتى اللحظة أن يُكفّر بن لادن ويخرجه من ملة المسلمين. فبن لادن أكثر إسلاماً من الناحية الشرعية من أولئك الدعاة والشيوخ الذين يتمتعون برغد العيش في قصور مشيدة مُكتَفينَ بالجهود الدعويَة الكلامية، وشتان بين "المرابط على الثغور" و"القابض على الجمر" مثل بن لادن وبين المرابطين على تخوم الفضائيات ومنابر المساجد.

قبل اغتيال الشيخ اسامة لوكنا قد أجرينا انتخابات حرة وشفافة ونزيهة في العالم الاسلامي - مع ادراكي المسبق بان الانتخابات بالنسبة لبن لادن هي بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار - وكان بن لادن أحد مرشحيها لفاز بالاغلبية الساحقة بدون منازع، على افتراض ان أحدا سيخرق قوانين "السقيفة" وينافسه. فقد كان هو الأمل الباقي بالنسبة للجمهور لاعادة العمل بجوهر الاسلام قولاً وفعلاً.
القلة القليلة التي لم يكن ليفوز بن لادن بأصواتها هم فلول العلمانيين، والمارقين الملحدين، وشراذم الليبراليين.
الغالبية الساحقة التي أتحدث عنها، هي التي كانت ترنو عيونهم وتهفو قلوبهم لطلّته، وتشنف آذانهم لسماع ما هو جديد منه.. يرون في ضحاياه ما يراه هو بأنهم إما كفار أو مشركين أو في أحسن حال أهل ذمة تخلفوا عن دفع الجزية فوجب قتالهم وقتلهم، حتى وان لم يكونوا تحت "ظلال" ولاية اسلامية. الغالبية الساحقة هذه ترى أنهم خير أمة أخرجت للناس، وأن الله أعزهم وفضلهم على العالمين بدين الاسلام الذي هو الدين عنده ومن ابتغى غيره فلن يقبل منه وكان في الآخرة من الخاسرين.
القلة القليلة التي لم تكن لتمنحه صوتها، تراه ارهابيا مجرما، تشمئز من طلته، وتهزأ من "كليباته"، وترى ضحاياه ابرياء قتلوا غيلة في ميدان الاقصاء والاستئصال الديني والفرز الدنيوي، كما ويقولون صراحة بأن من حق الانسان أن يؤمن بما يشاء - أستغفر الله - شرط أن لا يؤذي بايمانه هذا الآخرين، وان لا فضل لأحد على آخر إلا بما يقدمه للبشرية من علم وفكر ومعرفة.

لقد مات بن لادن ولكن هؤلاء الأغلبية الساحقة على استعداد لانتاج بن لادن ثان وثالث وعاشر وألف ومليار".

ان أصل شجرة الارهاب التى يطلق عليه المسلمون لفظ "جهاد" هو النص القرآنى نفسه والنموذج الأعلى الذى يقتدى به كل مسلم وهو نبى الأسلام ومن بعده من صحابة وتابعين وملوك وأمراء وسلاطين عبر التاريخ الاسلامى كله حتى يومنا هذا.

الكتاب الذى بين يديك ايها القارئ الكريم يتتبع أصل الارهاب من جذوره الأولى حتى ثماره المرة التى تسمم حياة الناس وتهدد السلام العالمى فى عالمنا المعاصر .

اذا كنا جادين حقا فى التخلص من الارهاب فلا بد من استئصال جذوره .. لابد للفأس أن يطال أصل الشجرة.
ليس هناك طريق آخر .

الفهرس

الجهاد فى القرآن

آيات الجهاد والقتال

يزيد عدد آيات الجهاد فى القرآن عن ٤٠ آية .

وتأتى كلمة "قتل" ومشتقاتها فى القرآن أكثر من ١٧٠ مرة . منها على سبيل المثال :

يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال . الأنفال ٦٥
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . التوبة ٢٩
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . الأنفال ٣٩
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . البقرة ١٩٣
وقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم . التوبة ١٤
يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير . البقرة ٢١٧
وقاتلوا فى سبيل الله وأعلموا ان الله سميع عليم البقرة ٢٤٤
وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا . الأحزاب ٢٦
وأقتلوهم حيث ثقفتموهم . البقرة ١٩١
فان تولوا فخذوهم وأقتلوهم حيث وجدتموهم . النساء ٨٩
فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة . آل عمران ١٣
وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله . النساء ٧٥
ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلوهم أو يسلمون . الفتح ١٦ .
فليقاتل فى سبيل الله الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة . النساء ٧٤
ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نأتيه أجرا عظيما . النساء ٧٤
ان الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله . النساء ٧٦
ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا . الصف ٤
فاذا انسلخ الأشهر الحرم فأقتلوا المشركين حيث وجدتموهم .. التوبة ٥

هذا كان غيض من فيض لآيات القتال التى يذخر بها القرآن فى الغالب الأعم من سوره والتى تحض المسلم على قتل غير المؤمنين بالاسلام حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله .

وأما عن الارهاب فأن أشهر آية عنه هى :
وأعدوا لهم ا استطعتم من القوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الأنفال ٦٠

وقد فسرها علماء المسلين فيما يلى .

أبو عبد الله القرطبي: (أمر بإعداد القوة للأعداء....) ترهبون به عدو الله وعدوكم (يعني تخيفون به) عدو الله و (عدوكم من اليهود وقريش وكفار العرب). [الجامع لإحكام القرآن (٨/ ٣٥، ٣٨).

أبو السعود الحنفي: (توجيه الخطاب-يعني وأعدوا- إلى كافة المؤمنين، لأن المأمور به من وظائف الكل...) ما استطعتم من قوة (من كل ما يُتَقَوَّى به في الحرب....) ترهبون به (أي تُخَوِّفون). [تفسير أبي السعود (٢/ ٥٠٤، ٥٠٥)

أبوجعفر الطبري: (يقول تعالى ذكره: وقوله☺ ترهبون به عدو الله وعدوكم (... تخزون به عدو الله وعدوكم، يقال منه: أرهبت العد ورهبته، فأنا أُرهِبه وأُرَهِّبُه إرهابا وترهيبا...) [جامع البيان عن تأويل القرآن (١٠/ ٢٩-٣٧) .

أبو محمد البغوي: ترهبون به (تخوفون) [معالم التنزيل (٢/ ٢٥٩).

السيد محمد رشيد رضا: (القاعدة الأولى الواجب إعداد الأمة كل ماتسنطيعه من قوة لقتال أعدائها، فيدخل في ذلك عَدَد المقاتِلَة، والواجب أن يستعد كل مكلف للقتال، لأنه قد يكون فرضا عينيا في بعض الأحوال..
(القاعدة الثالثة: أن يكون القصد الأول من إعداد هذه القُوَى والمرابطة إرهاب الأعداء وإخافتهم من عاقبة التعدي على بلاد الأمة أو مصالحها أو على أفراد منها أو متاع لها حتى في غير بلادها، لأجل أن تكون آمنة في عقر دارها، مطمئنة على أهلها ومصالحها وأموالها، وهذا ما يسمى في عرف هذا العصر بالسلم المسلح وتدعيه الدول العسكرية فيه زورا وخداعا، ولكن الإسلام امتاز على الشرائع كلها بأن جعله دينا مفروضا، فقيَّد الأمر بإعداد القوى بقوله☺ ترهبون به عدو الله وعدوكم (. [تفسير المنار (١٠/١٦٧-١٦٨).

الفخر الرازي: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة....) اعلم أنه تعالى لما أوجب على رسوله أن يشرد من صدر منه نقض العهد، وأن ينبذ العهد إلى من خاف منه النقض، أمره في هذه الآية بالإعداد لهؤلاء الكفار.... قال أصحاب المعاني: الأولى أن يقال: هذا عام في كل ما يتقوى به على حرب العدو... ثم إنه تعالى ذكر ما لأجله أمر بإعداد هذه الأشياء، فقال☺ ترهبون به عدو الله وعدوكم (وذلك أن الكفار إذا علموا كون المسلمين متأهبين للجهاد ومستعدين له مستكملين لجميع الأسلحة والآلات، خافوهم، وذلك الخوف يفيد أمورا:

أولها: أنهم لا يقصدون دخول دار الإسلام.
وثانيها: أنه إذا اشتد خوفهم فربما التزموا من عند أنفسهم جزية
وثالثها: أنه ربما صار ذلك داعيا لهم إلى الإيمان.
ورابعها: أنهم لايعينون سائر الكفار .
وخامسها: أن يصير ذلك سببا لمزيد الزينة في دار الإسلام.) [التفسير الكبير (١٥/ ١٨٥-١٩٥)ُ
ابن كثير (وأعدوا لهم ما استطعتم)) أي مهما أمكنكم..
ترهبون (تخوفون) به عدو الله وعدوكم (أي من الكفار). [تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٥٥-٣٥٦).

الجصاص: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل (أمر الله المؤمنين في هذه الآية بإعداد السلاح والكراع قبل وقت القتال، إرهابا للعدو) [أحكام القرآن (٣/ ٦٨).]

أبو بكر ابن العربي: ((ترهبون به عدو الله وعدوكم) يعني تخيفون بذلك أعداء الله وأعداءكم من اليهود وقريش وكفار العرب..) [أحكام القرآن (٢/ ٨٧٥)

ابن عاشور: (والإعداد التهيئة ولإحضار، ودخل في) ما استطعتم من (كل ما يدخل تحت قدرة الناس اتخاذه من العدة.. والإرهاب جعل الغير راهبا خائفا، فإن العدو إذا علم إذا علم استعداد عدوه لقتاله خافه ولم يجرأ عليه، فكان ذلك هناء للمسلمين وأمنا من أن يغزوهم أعداؤهم، فيكون الغزو بأيديهم، يغزون الأعداء متى أرادوا، وكان الحال أوفق لهم، وأيضا إذا رَهِبوهم تجنبوا إعانة الأعداء عليهم.) تفسير التحرير والتنوير [٦/٥٥-٥٧]

سيد قطب: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)إنه لابد للإسلام من قوة ينطلق بها في الأرض لتحرير الإنسان.. وأول ما تصنعه هذه القوة في حقل الدعوة أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها، فلا يُصَدوا عنها بعد اعتناقها.. والأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الاعتداء على دار الإسلام التي تحميها تلك القوة. والمر الثالث: أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي وهو ينطلق لتحرير الإنسان كله في الأرض كلها. والأمر الرابع: أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية فتحكم الناس بشرائعها، ولا تعترف بأن الألوهية لله وحده...) [في ظلال القرآن (١٠/١٥٤٣)

الاستدلال بآيات منسوخة للتدليل على سماحة الاسلام

قال النيسابوري في كتابه الناسخ والمنسوخ: قال مدنية إلا آيتان نزلتا في مكة. فيها من المنسوخ ستة آيات يهمنا منها الآية الثالثة: } وإن جنحوا للسلم فاجنح لها{ أنفال ٦١ نسختها آية سورة التوبة ٢٩: }وقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الأخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون - راجع المصدر السابق ص ١٧٦-١٧٧.

سؤال: كيف يجنح المرء للسلم والقرآن نفسه يأمر بعدم الجنوح للسلم عندما يكون متفوقا وذلك في قوله: }فلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ . محمد ٣٥.
كيف يجنح للسلم ونص آية سورة محمد صريح وواضح }فلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ ؟

الجنوح إلى السلم يعني تعطيل فريضة الجهاد. فهل يجوز شرعاً تعطيل الفريضة؟ !

إذا أراد بعض رجال الدين و ان يظهر الإسلام على أنه دين لا اعتداء فيه ولا عدوان منه، تراه يخرج من جعبته آية سورة الأنعام: }وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ .الأنعام ١٥١.

وآية سورة البقرة: }وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينِ{ البقرة١٩٠.

فقد قال الإمام الطبري: (اختلف أهل التأويل في تأويل هذه الآية، فقال بعضهم هذه الآية هي أول آية نزلت في أمر المسلمين بقتال أهل الشرك، وقالوا أمر فيها المسلمين بقتال من قاتلهم من المشركين والكف عمن كف عنهم ثم نُسخت ببراءة) – تفسير الطبري٣ /٥٦١.

ثم نقل ذلك القول بسنده عن الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، ثم قال: وقال آخرون بل ذلك أمر من الله تعالى ذكره للمسلمين بقتال الكفار لم يُنسخ، وإنما الاعتداء الذي نهاهم عنه هو نهيه عن قتل النساء والذراري- تفسير الطبري٣ /٥٦٢ – أحكام القرآن للجصاص ٤٣٧/٣و٤٣٦.

فهذه أقوال السلف في هذه الآية، وهي لا تخرج عن أحد المعنيين اللذين أشار إليهما الطبري. ولا نعلم أحداً من السلف قال بمثل ما قال به الكاتب من دلالة الآية على أنه لا يُقاتل الكفار إلا إن ظهر منهم عدوان.

قال ابن كثير في تفسيره: (أي لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم) – تفسير القرآن العظيم ٣٥٠/٤. إذن المقصود بعدم الاعتداء هو: النهي عن قتل النساء والذراري ومن ليس من أهل القتال.

قال النيساوري في كتابه (الناسخ والمنسوخ) هذه هي الآية الرابعة عشر من الآيات الثلاثين المنسوخة في سورة البقرة: وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدي إن الله لا يحب المعتدين .البقرة ١٩٠.
نسختها آية سورة التوبة ٣٦ .وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة{ وبقوله }اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم.

- ويقول النيسابوري في قوله "ولا تعتدوا" هذا كان في الابتداء – عندما كان الإسلام ضعيفاً – راجع الناسخ والمنسوخ للنيسابوري ص ٦٥-٦٦.

سؤال: كيف يأمر القرآن بعدم قتل النفس في الوقت الذي جعل فيه القتال فريضة إلهية مقدسة مثلها مثل الصلاة والصيام: "كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ". سورة البقرة ١٨٣.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ{ سورة البقرة ٢١٦. وما هي الحالات الذي يحق للمسلم فيها قتل النفس بالحق؟ وهل قتل غير المسلم يعتبر من حالات قتل الحق؟ !

كيف يأمر القرآن بعدم القتل والله نفسه يحب القتال والمقاتلين: }إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ{ سورة الصف ٤.
كيف يطالب القرآن المسلمين بعدم الاعتداء في الوقت الذي يطالبهم وبشدة بالاعتداء على الآخرين وذلك في

قوله: "قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ{ التوبة ٢٩ . لاحظوا كيف أن الآية تبدأ بأمر (قاتلوا).

وفي قوله "وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ" البقرة ١٩٣.

"وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه" سورة الأنفال ٣٩.

وقوله: "فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ."التوبة ٥.

وإذا أراد المرء ان يظهر الإسلام على أنه دين ضمن حرية العبادة للمخالفين، تراه يخرج من جعبته آية سورة البقرة: }لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغي{ البقرة ٢٥٦. هذه الآية من الآيات المنسوخات.

قال النيسابوري في كتابه الناسخ والمنسوخ: أنها الآية السابعة والعشرون بحسب تسلسل المنسوخ في آيات سورة البقرة نسختها آية السيف (التوبة ٥). راجع الناسخ والمنسوخ للنيسابوري ص ٩٦ -٩٧.

سؤال: كيف لا يكون إكراه في الدين و}هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ{ الصف ٩ والفتح ٢٨. هل يناقض القرآن نفسه؟

وإذا أراد المرء ان يظهر الإسلام على أنه دين تسامح وعفو، تراه يخرج من جعبته آية سورة المائدة: }فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين{ المائدة ١٣.

كيف يأمر بالعفو والصفح وهو الذي يأمر اتباعه بقتل المخالفين أينما وجودوا: "وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ" البقرة ١٩١.

"فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ" النساء ٨٩.

"فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثِقِفْتُمُوهُمْ" النساء ٩١

"فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ" التوبة ٥.

<u>قال النيسابوري في كتابه الناسخ والمنسوخ عن آية السيف التوبة ٥: هي آخر ما أُنزل من القرآن. هي الآية الناسخة، نسخت من القرآن مائة وأربعاً وعشرين آية – راجع المصدر السابق ٢٨٤.</u>

القرآن وأهل الكتاب : حنجلة المشايخ باستخدام الآيات المنسوخة

وإذا أراد المرء أن يُظهر الإسلام على أنه دين تعامل بكل إنسانية مع أهل الكتاب، تراه يخرج من جعبته آية سورة العنكبوت: }ولا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ{ العنكبوت ٤٦.

- قال النسيابوري في آية سورة العنكبوت ٤٦ فيها من المنسوخ آية واحدة: }ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل إلينا وانزل إليكم{ العنكبوت ٤٦. نسختها آية سورة التوبة ٢٩: }وقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون{ - راجع المصدر السابق ص ٢٥٥.

وآية: "قُلْ يا أهل الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ألا نَعْبُدَ إلا اللَّهَ ولا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا" آل عمران ٦٤. وآية :}ادع إلى سبل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن{ النحل ١٢٥ منسوخة، نسختها آية السيف – راجع المصدر السابق ص ٢١٠.

هل يعني ذلك ان جميع آيات الصفح والانسانية والعفو منسوخة؟

لاينتهي الامر عند هذا الحد، بل حتى التقرب والتودد الى غير المسلم امر مريب. فإذا اراد المرء أن يظهر الإسلام على أنه دين ذو علاقة متميزة مع المسيحيين، تراه يخرج من جعبته آية سورة المائدة: "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى" المائدة ٨٢.

في حين كيف يكون النصارى أقرب مودة للمسلمين والقرآن يطالبهم بعدم التقرب لهم وعدم اتخاذهم أصدقاء

وذلك في قوله: }يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ{ المائدة ٥١

وإذا أراد المرء ان يظهر الإسلام على أنه دين يساوي بين المؤمنين كافة، تراه يخرج من جعبته آية سورة البقرة}إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون{ البقرة ٦٢

سؤال: هل تتماشى آية سورة البقرة ٦٢ مع قوله: "إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ" آل عمران ١٩.

"وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ" آل عمران ٨٥.

"فَمَن يُرِدِ اللّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا" الأنعام ١٢٥.

وإذا أراد المسلم أن يظهر الإسلام على أنه قد آمن بالتوراة والإنجيل بعكس اليهود والمسيحيين الذي لا يؤمنون أن القرآن كتاب سماوي، تراه يخرج من جعبته آيات سورة المائدة:

"وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ" المائدة ٤٣.

"إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ" . المائدة٤٤

"وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ" المائدة٤٦

"وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" المائدة ٤٧.

كيف يطلب القرآن من اليهود والنصارى أن يحكموا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ من التوراة والإنجيل في الوقت الذي نسب لهما القرآن تهمة التحريف، وذلك في قوله: "مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ" النساء ٤٦. "يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ" المائدة ١٣. }يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْضِ مَوَاضِعِهِ{ المائدة ٤١.

وإذا أراد المسلم أن يظهر الإسلام على أنه دين لم يفرق بين أنبياء الله وبين كتبه، تراه يخرج من جعبته آية سورة النساء: "وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا" النساء ١٥٢. وآية سورة البقرة: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ" البقرة ٢٨٥.

كيف لاتفريق بين الرسل ونحن من جعل من يتيم ابن ابي طالب اشرف المخلوقات ومن اجله خلق العالم اجمع؟
عن جابر بن عبد الله قال: قلت يا رسول الله اخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء. قال يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك (ملائكة) ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا أنس، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء؛ فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء؛ فخلق من الأول السماوات ومن الثاني الأرض، ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء؛ فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله، ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله – راجع حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين ٣٥/١ .. إلى ما لا آخر له من الاستشهاد بمنسوخ القرآن.

ولعل سؤالاً يجول في بعض الخواطر، أو يتردد على بعض الألسنة، وهو:

كيف يتحقق البر والمودة وحسن العشرة بين المسلمين وغير المسلمين، والقرآن نفسه ينهى عن مودة الكفار واتخاذهم أولياء وحلفاء في مثل قوله: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فإنه منهم" سورة المائدة:٥٢،٥١.

كيف يمكن أن يتحقق احترام المسلمين لليهود والمسيحيين والقرآن يخاطبهم بالنجسين: }إنما المشركين نجس{ توبة ٢٨. }الذين يضمرون الشر والحسد للمسلمين: ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم. البقرة ١٠٩.

كيف يمكن أن يتحقق احترام المسلمين لليهود والمسيحيين والقرآن يخاطبهم بأوصاف تحقيرية بشعة: "مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً" الجمعة ٥. }أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً{ الفرقان ٤٤، الإسراء ٤. وهم أيضاً:

الفاسقون: البقرة ٥٩، المائدة ٢٥

وهم الظالمون: الأعراف ١٤٨ و١٥٠

وهم المنافقون: الحشر ١١.

وهم المفترون: آل عمران ٢٤.

وهم الكافرون: النساء ١٥٥ والتوبة ٣٠.

وهم المشركون: التوبة ٣١.

وهم الذين حرفوا الكتاب المقدس:البقرة ٧٥، النساء ٤٦، آل عمران ٧٨.

وهم الذين اتخذوا أحبارهم أرباب من دون الله: التوبة ٣١

وهم القردة والخنازير: البقرة ٦٥، المائدة ٦٠، الأعراف ١٦٦

وهم الذين يسعون في الأرض خراباً: المائدة ٣٣ و٦٤

إن أوامر القرآن وتعاليمه واضحة وصريحة: }يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء{ نهي عام بعدم اتخاذ اليهود والنصارى أولياء ولا أصدقاء – راجع آل عمران ١١٨.

الدعوة الاسلامية جهادية قتالية

كما بيننا سابقا الجهاد فريضة إلهية مقدسة كتبها رب الكعبة على المسلمين كما كتب عليهم الصيام .(كتب عليكم الصيام)البقرة ١٨٣. (كتب عليكم القتال) البقرة ٢١٦.

سؤال : هل يجوز شرعا على الامة تعطيل صيام رمضان ؟ الجواب لا.

من هنا حددت شريعة الإسلام مده قصوى (سنة) لتأدية هذه الفريضة المقدسة في الإسلام وفي حياة المسلمين. وأقل ما يفعل مرة في كل عام. يقول الشافعي : ان كان بالمسلمين قوة لم أرى ان يأتي عليه عام الا وله جيش أو غارة في بلاد المشركين، الذين يلون المسلمين من كل ناحية عانة وان كان يمكنه في السنة بلا تغرير بالمسلمين أحببت له ان لا يدع ذلك كلما أمكنه واقل ما يجب عليه ان لا يأتي عليه عام الا وله فيه غزو حتى لا يكون الجهاد معطلا في عام الا من عذر. راجع: ألام للشافعي ١٧٧/٤. والمغنى لابن قدامه.

وجاء في الشرح الصغير (الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى كل سنة فلا يجوز تركه سنة كإقامة الموسم بعرفة والبيت وبقية المشاهد كل سنة فرض كفاية) الشرح الصغير٢/٢٦٧-٢٧٢.

فتحديد الجهاد مرة في كل سنة . لا يتماشى مع آية عدم العدوان (لا تعتدوا) لو كان القتال في الإسلام لا يجوز إلا عند وقوع العدوان على المسلمين ، لم يجز التحديد بأن يكون في كل سنة مرة ، ولكان الواجب حينئذ أن يقول إنه يجب عند الحاجة إليه لدرء العدوان عن المسلمين .

ولهذا لقد بلغت غزوات محمد التي غزا فيها بنفسه تسعاً وعشرين غزوة.

وهي غزوات ودان وبواط العشيرة سفوان (وتسمى غزوة بدر الأولى) وغزوة بدر الكبرى وغزوة بني سليم وغزوة بني قينقاع وغزوة السويق وغزوة قرقرة الكدر وغزوة غطفان وهي غزوة ذي أمر، وغزوة بحران بالحجاز وغزوة أحد وغزوة حمراء الأسد وغزوة بني النضير وغزوة ذات الرقاع وهي غزوة محارب وبني ثعلبة، وغزوة بدر الأخيرة وهي غزوة بدر الموعد وغزوة دومة الجندل وغزوة بني المصطلق (ويقال لها المريسع، وبعد العودة منها تأخرت عائشة وباتت ليلتها مع صفوان بن المعطل) وغزوة الخندق وغزوة بني قريظة وغزوة بني لحيان وغزوة الحديبية وغزوة ذي قَرُد وغزوة خيبر وغزوة وادي القرى وغزوة عمرة

القضاء وغزوة فتح مكة وغزوة حنين والطائف وغزوة تبوك. وأما سراياه (أي الغزوات التي لم يقُدها بنفسه، بل أرسل إليها بعض أصحابه) فعددها تسع وأربعون ، اي بمعدل سبع سرايا في السنة الواحدة . راجع طبقات ابن سعد ٤٣/٣.

سؤال هل يمكن ان نعلل الهجمات التي تشنها الحركات الإسلامية المختلفة على إسرائيل ، والتي لا يكاد يمر وقت قصير على وقوعها، على أنها هجمات تهدف لإسقاط آثم تعطيل فريضة الجهاد عن أمة الإسلام ، كما أمرت الشريعة الإسلام السمحة ؟. أمر القتال في الإسلام أمرا مطلقا غير مقيد بان يكون القتال رافعا لعدوان أو في مقابله قتال. وهذا الإطلاق واضح في قوله (فإذا انسلخ الأشهر الحرام فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم وأحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) التوبة ٥. هذا الإطلاق القرآني بقتال الناس كافة هو أمر عام ونهائي . فلقد أمر القران المسلمين بان يقاتلوا غير المسلمين حتى يسلموا أو يعطوا الجزية وهذا الأمر أمراً مطلقاً غير مقيد بان يكون القتال رفعا لعدوان أو في مقابلة قتال، فدل هذا الإطلاق على انه أمر بالقتال على انه دعوة إلى الإسلام ، وحمل المخالفين على نبذ دينهم واعتناق الإسلام. (وقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) التوبة ٢٩. هذا أمر عام ومطلق بقتال المسلمين لاهل الكتاب حتى يسلموا . فهذه الآية هي آية سيف أهل الكتاب القاضية بقتالهم لكونهم كفروا بالله ورسوله ولم يدينوا دين الحق وهو الإسلام . نص الآية واضح وصريح (وقاتلوا) ولم يقل القران وجادلوا بالحسنة بل قال وقاتلوا الذين لا يدينون دين الحق اي قاتلوا الذين لا يؤمنون ويدينون بالإسلام حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية وهم أذلاء أو يقُتلوا . لقد وضعت آية التوبة ٢٩ أهل الكتاب أمام أمرين أحلاهما مر : إما الإسلام ، وإما الجزية ، فالآية ذكرت أحد الأمرين . أن الآية ذكرت الأوصاف التي لأجلها استحق هؤلاء أن يقاتلوا وهي كونهم لا يؤمنون بلله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق ، فهذه الأوصاف هي الباعث على قتالهم، فإن انتهوا عنها ودخلوا في الإسلام انتهى القتال ، وإن لم ينتهوا عنها ولكنهم قبلوا دفع الجزية فلا بأس بذلك أيضاً .

وقد جاءت احاديث صحيحة بذلك :

أمر الله بقتال أهل الكتاب ابتداءً حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية . اخرجه البخاري ٣١٥٧. وابو داود ٣٠٤٣. الترمذي ١٥٨٦.

عن نبي الإسلام انه قال: إذا لقيت عدوك من المشركين , فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال , فأيتهن أجابوك إليها فاقبل منهم , وكف عنهم ; ادعهم إلى الإسلام , فإن أجابوك فاقبل منهم , وكف عنهم , فإن هم أبوا , فادعهم إلى إعطاء الجزية , فإن أجابوك فاقبل منهم , وكف عنهم , فإن أبوا , فاستعن بالله عليهم وقاتلهم " رواه أبو داود ومسلم .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الجهاد ١١/١ " يقاتل فقط في شرع الإسلام من يرفض ان يستجيب لواحدة من ثلاث: اما الإسلام. واما الجزية. واما القتال راجع المصدر المذكور. الجهاد ١١/١ .

أمر الله بقتال أهل الكتاب ومن في حكمهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، ولا شك أن الصغار هو الإذلال وبذلك فسره الإمام البخاري في صحيحه ٢٥٧/٦ .

اذن من الواضح والثابت أن غاية القتال أحد أمرين إما الإسلام وإما دفع الجزية . الذي يقرأ القران يستطيع ان يرى وبكل بساطة ووضوح ان القتال- الجهاد- هو المحور الأساسي والاهم التي تدور حوله رسالة نبي الإسلام . وهذا واضح من الآيات ألجهادية التي شغلت حيزا كبيرا يكاد يبلغ اكثر من نصف القران المدني ولنا على ما نقول مثال :

كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون – البقرة ٢١.

يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال . الأنفال ٦٥. الحجرات ١٥.

وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون الأنفال ٦٠.

فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم محمد ٤ . آل عمران ١٩٥ .

قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين – التوبة ١٤.

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون – التوبة ٢٩.

فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم – محمد ٢٢.

الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا – النساء ٧٦ .

فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا. –النساء ٨٤.

تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون – الصف ١١.

يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير – التحريم ٩ .

ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون – البقرة ١٥٤.

أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين – آل عمران ١٤٢.

وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير – الأنفال ٣٩.

إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم – البقرة ٢١٨.

ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون آل عمران ١٥٧.

يأأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون –

آل عمران ٢٠٠.

فليقاتل في سبيل الله الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما – النساء ٧٤.

يأأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة

على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم – المائدة ٥٤.

يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون – الأنفال ٦.

فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون – الأنفال ٥.

فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم . التوبة ٥.

وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون – التوبة ١٢.

إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين – التوبة ٣٦.

يأأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير – التوبة ٧٣.

فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم . – محمد ٤.

ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا – النساء ٧٧.

لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله

بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما – النساء ٩٥.

يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون – المائدة ٣٥.

لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون – التوبة ٨٨.

إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم – التوبة ١١١.

ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين – التوبة ١٢٠.

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين – البقرة ١٩.

أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير – الحج ٣٩.

وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم – البقرة ٢٤٤.

يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ... المائدة ٥٤.

ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون – الأنفال ٨ .

يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير – التوبة ٧٣.

يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين – التوبة ١٢٣.

يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار – الأنفال ١٥.
ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير–الأنفال١٦.

فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون – التوبة ٨١.

وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين – البقرة ١٩٣.

يأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل – التوبة ٣٨.

إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير – التوبة ٣٩.

قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار – آل عمران ١٣.

وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا ـ النساء ٥٧.

إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير– الأنفال ٧٢.

والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم – الأنفال ٧٤.

الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون–التوبة٢٠.

انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون – التوبة ٤١.

يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون – الأنفال ٤٥.

لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون – التوبة ٨٨.

أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين – آل عمران ١٤٢. آل عمران ١٩٥. آل عمران ١٢٢. آل عمران ١٢٥. آل عمران ١٤٧. الحج ٤٠. الفتح ١٩. الفتح ٢٠.الفتح ١٥. الأنفال ٥٨. الأنفال ٦٧. الأنفال ١. الأنفال ٤١. الأنفال ٦٩. الأنفال ٤٦. النساء ١٠٢. النساء ٧٢. النساء ٧١. النساء ٩٤.النساء ١٠٠.البقرة ١٩. البقرة ٢٥١. البقرة ٢٥٠. البقرة ٢٦١. البقرة ٢٦٢. التوبة ١٦. التوبة ٨٣. التوبة ١٢٢. التوبة ١٠التوبة ١٣. التوبة ١٢١. التوبة ٦٠. التوبة ٢. التوبة ٣. الحديد ١٠.

ولقد استثنى من تلك الفريضة (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما – الفتح ١٧.

لا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون – التوبة ٩٢

ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم – التوبة ٩١.
من وبناءً على ما بينا من آيات قرانية تحرض وتشجع المسلمين على القتال والقتل ، فانه ليس من الغرابة بان يطالب القران من المسلمين بان يمارسوا الإرهاب مع عدوهم

قال ابن منظور في كتابه " لسان العرب " في معنى كلمة الإرهاب ومشتقاتها: رَهِبَ، بالكسر، يَرْهَبُ رَهْبَةً ورُهْباً بالضم، ورَهَباً بالتحريك؛ أي خاف. ورَهِبَ الشيء رَهْباً ورَهْبَةً: خافه.

وفي حديث الدعاء:" رغبة ورَهْبَةً إليك "، الرهبة: الخوف والفزع.

وترَهَّبَ غيره: إذا توعَّده. وأرهَبَه ورهَّبَه واستَرْهَبَه: أخافه وفزَّعه .

وفي " النهاية " لابن الأثير: الرَّهبَة: الخوف والفزع. وفي حديث بَهْز بن حكيم:" إني لأسمع الرَّاهبة " هي الحالة التي تُرهب: أي تُفْزع وتُخوِّف. وفي روايةٍ:" أسمعك راهِباً" أي خائفاً.

نستخلص مما تقدم أن الإرهاب يعني: الخوف .. والفزع، والإرهابي: هو الذي يُحدث الخوف والفزع عند الآخرين.

وعليه فكل من أحدث الخوف والفزع عند الآخرين ممن يريد إخافتهم فهو إرهابي، وقد مارس بحقهم الإرهاب، وهو يكون بذلك متلبساً بالإرهاب، ومتصفاً به .. سواء تسمى إرهابياً أم لم يتسمى .. وسواء اعترف بذلك أم لم يعترف.

ولقد ذكر القران لفظة الإرهاب بمشتقاتها في اكثر من سورة منها :{ قالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ } الأعراف:١١٦.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:{ واسترهبوهم } أي: خوَّفوهم. وقال الزجاج: استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس ا- هـ. أي خافهم الناس.

{ قالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ } الأعراف:١١٦.

قال ابن الجوزي في زاد المسير:{ واسترهبوهم } أي: خوَّفوهم. وقال الزجاج: استدعوا رهبتهم حتى رهبهم الناس ا- هـ. أي خافهم الناس.

وقال :{ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً حفِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ } الحشر:١٣.

قال ابن كثير في التفسير:{ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ } أي يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله ا- هـ.

{ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا

وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ } الحشر:٢.

{ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً } الأحزاب:٢٦.

وقد أوصى القران المسلمين بضرورة إرهاب عدوهم . أي المخالفين لهم:{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ { لأنفال:٦٠.

قال ابن كثير في التفسير: قوله { ترهبون } أي تخوِّفون { به عدو الله وعدوكم } أي من الكافرين ا- هـــ.

وفي الحديث عن النبي كما في صحيح البخاري وغيره أنه قال:" نُصرت بالرعب شهراً، يُرعب مني العدو مسيرة شهر ". أي نصرت بخوف العدو مني قبل أن أواجهه بمسيرة شهر .. حيث كان العدو يُصاب بالرعب والخوف لمجرد علمه أن جيش النبي متوجه إليه وبمسيرة شهر كامل .. فهذا إرهاب للعدو ..

اذن إرهاب المسلمين لغير المسلمين هو مطلب رباني بحسب النص القرآني والسنة النبوية المطهرة !..

اذن يتضح لنا من خلال استعراضنا لهذا الكم الهائل من الآيات الجهادية ان الدعوة الإسلامية هي في جوهرها دعوة ارهابية ذو طابع ديني. اكثر من كونها دعوة دينية ذو طابع سلمي.

وهذا أيضا ما تؤكده لنا السنة المحمدية التي فاقت أحاديث تحريضها وترغيبها على القتال والتقتيل أضعاف الآيات القرآنية التي بيناها.

لهذا اعتبر الإسلام القتال والتقتيل (الجهاد) درة العبادات وتاجها لا تعادله فريضة لا بالمكانة ولا بالأولوية. انه الأساس الذي قام عليه الإسلام.

عن معاذ بن جبل أن رسول الله قال الجهاد عمود الإسلام وذروة سنامه – أحمد ٢١٠٣٦.

عن معاذ بن جبل أن النبي قال الجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام – أحمد ٢١٠٣٩.

عن معاذ بن جبل قال كنت مع النبي في سفر فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا نبي الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ... ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه فقلت بلى يا رسول الله قال رأس الأمر وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد – أحمد ٢١٠٠٨. قال الامام أحمد : لا نعلم شيئا من أبواب البر أفضل من الجهاد في سبيل الله.

انه رهبنة الإسلام : (عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل – أحمد ١٣٣٠٦.

من هنا وبناءً على ما ذكرنا جعل الإسلام الجنة تحت ظلال السيوف. (عن رسول الله قال واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف – البخارى ٢٦٠٧.

(ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون)– البقرة ١٥٤.

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) – آل عمران ١٤٢.

عن أبي أمامه عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله عليكم بالجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم – أحمد ٢١٦٦٠.

(فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب) – آل عمران ١٩٥ .

لهذا ترتفع درجة ومكانة المقاتلين في الإسلام عن القاعدين :

(فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ....وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) – النساء ٩٥.

انه وسيلة لمغفرة خطايا المسلم : (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) – آل عمران ١٥٧

تبرز أهمية مكانة الجهاد في الإسلام . من كونه (الجهاد) يدخل في إطار نشر الدعوة (أي نشر الإسلام) هذا ما دل عليه القران . وهذا ما أيدته وبينته السنة المحمدية .

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) . توبة ٣٣.

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) الأنفال ٣٩.

(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا

يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) التوبة ٢٩.

عن أبي موسى قال جاء رجل إلى النبي فقال يا رسول الله أرأيت الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله قال فقال رسول الله من قاتل لتكون كلمة الله عز وجل هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل – أحمد ١٨٧٢٢.

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإذا شهدوا واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا وصلوا صلاتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم أحمد ١٢٥٨٣.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الجهاد ١١/١ " يقاتل فقط في شرع الإسلام من يرفض ان يستجيب لواحدة من ثلاث: اما الإسلام. واما الجزية. واما القتال راجع المصدر المذكور. الجهاد ١١/١ .

عن نبي الإسلام انه قال: إذا لقيت عدوك من المشركين , فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال , فأيتهن أجابوك إليها فاقبل منهم , وكف عنهم ; ادعهم إلى الإسلام , فإن أجابوك فاقبل منهم , وكف عنهم , فإن هم أبوا, فادعهم إلى إعطاء الجزية , فإن أجابوك فاقبل منهم , وكف عنهم , فإن أبوا , فاستعن بالله عليهم وقاتلهم " رواه أبو داود ومسلم .

وقد جاء في سورة الأنفال والآية ٣٩ : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله – اي الإسلام – فإن انتهوا – اي امتنعوا عن الشرك أمنوا بمحمد – فلا عدوان إلا على الظالمين)– الأنفال ٣٩ البقرة ١٩٣.

عن أبي موسى قال سئل رسول الله عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله قال أبو عيسى وفي الباب عن عمر وهذا حديث حسن صحيح الترمذى ١٥٧٠.

عن أبو موسى الأشعري قال جاء أعرابي إلى رسول الله فقال الرجل يقاتل ليذكر ويقاتل ليغنم ويقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل – النسائي ٣٠٨٥.

عن أبي موسى أن أعرابيا جاء إلى رسول الله فقال إن الرجل يقاتل للذكر ويقاتل ليحمد ويقاتل ليغنم ويقاتل ليري مكانه فقال رسول الله من قاتل حتى تكون كلمة الله هي أعلى فهو في سبيل الله . أبو داود ٢١٥٦.

عن أبي موسى قال جاء رجل إلى النبي فقال الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله – البخارى ٢٥٩٩.

عن أبي موسى قال جاء رجل إلى النبي فقال الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله – البخارى ٦٩٠٤.

إذاً من الواضح ان القتال في الإسلام هو من اجل ان تكون كلمة الله هي العليا أي من اجل نشر الإسلام : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله)– الأنفال ٣٩ البقرة ١٩٣.

عن ابن عمر أن رسول الله قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله – البخارى ٢٤.

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله – البخارى ٣٧٩.

عن أبي مالك عن أبيه قال سمعت رسول الله يقول من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله – مسلم ٣٤

عن أبا هريرة يقول قال رسول الله أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ثم قد حرم علي دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله عز وجل – أحمد ٨١٨٨.

عن أبي هريرة عن رسول الله قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله – مسلم ٣١.

عن جابر قال: قال رسول الله أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله – مسلم ٣٢.

عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله – مسلم ٣٣.

عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن النبي قال اغزوا باسم الله وفي سبيل الله وقاتلوا من كفر بالله – أبو داود ٢٢٤٦.

عن سعيد بن جبير قال خرج علينا عبد الله بن عمر ونحن نرجو أن يحدثنا حديثا حسنا فبدرنا رجل منا يقال له الحكم فقال يا أبا عبد الرحمن ما تقول في القتال في الفتنة قال ثكلتك أمك وهل تدري ما الفتنة إن محمدا كان يقاتل المشركين فكان الدخول فيهم أو في دينهم فتنة وليس كقتالكم على الملك – أحمد ٥١٢٥ . أحمد ٨٣٧٧. أحمد ١٨٦٧٣. أحمد ١٨٩٠٥. أحمد ١٨٨٠٥. أحمد .١٨٧٧١ .

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله – البخارى ٣٧٩

يقول صاحب كتاب الفريضة الغائبة " القتال في الإسلام هو لرفع كلمة الله في الأرض

سواء هجوما أو دفاعاً .. والإسلام انتشر بالسيف ولكن في وجه أئمة الكفر الذين حجبوه عن البشر ، وبعد ذلك لا يكره أحد ، فواجب على المسلمين ان يرفعوا السيوف في وجوه القادة الذين يحجبون الحق ويظهرون الباطل، وإلا لن يصل الحق إلى قلوب الناس " . راجع الفريضة الغائبة لمحمد عبد السلام، تعليق جمال ألبنا ص ٩٥.

ويقول حسان المقدسي في كتابه الجهاد وأوضاعنا المعاصرة في ضوء الأزمات الإسلامية المعاصرة: ان الجهاد أمر جاء به الإسلام لإخراج الناس من عبودية البشر إلى عبودية خالق البشر ، ولن يكوم ذلك بالكلمة إذا عجزت ان تخترق أذهان الكفرة أو السياج المحيط بهم. ان بواعث الجهاد في الإسلام ينبغي تلمسها في طبيعة الإسلام ذاته، ودوره في هذه الأرض، وأهدافه العليا التي قررها الله له.
الإسلام ليس مجرد عقيدة، ان الإسلام وكما قلنا إعلان عام لتحرير الإنسان من عبودية العباد ، فهو يهدف ابتداءً إلى إزالة الأنظمة والحكومات التي تقوم على أساس حاكميه البشر للبشر وعبودية الإنسان للإنسان.
ان النظام الذي يحكم البشر في الأرض يجب ان تكون قاعدته العبودية لله وحده وذلك بتلقي الشرائع منه وحده.
ان محاولة أيجاد مبررات دفاعية للجهاد في الإسلام بالمعنى الضيق للمفهوم العصري للحرب الدفاعية، ومحاولة البحث عن أسانيد لاثبات ان وقائع الجهاد الإسلامي كانت لمجرد صد العدوان المجاور على الوطن الإسلامي – وهو في عرف بعضهم جزيرة العرب – فهي محاولة تنم عن قلة أدراك لطبيعة هذا الدين ، ولطبيعة الدور الذي جاء ليقوم به في الأرض. راجع: كتاب الجهاد وأوضاعنا المعاصرة في ضوء الأزمات الإسلامية المعاصرة ص ١٥-١٧.
مهما حاول مهندسو الترميم والترقيع الشرعي خلق الأعذار والأسباب الشرعية وغير الشرعية لشرعة العنف والإرهاب (الجهاد) في الإسلام فان هدف الإسلام ظاهر وواضح للعيان وهو(إخضاع العباد والبلاد كافة لسيطرة وحكم الإسلام والمسلمين .

هذا ليس افتراءً على الإسلام كما يزعم المجاهدون . ولا هي محاولة منا لتشويه صورة الإسلام السمحة كما يزعم الذين اسودت وجوههم إذا بشرهم أحد بالحق!.

بل هذا ما أعلنه القران بوضوح ، وبينت تفاصيله السنة النبوية المطهرة. وهذا ما اجمع عليه علماء المسلمين قديما وحديثا وأعلنوه بصراحة ووضوح في مصادرهم الشرعية . وهذا ما يحاول المسلمون أقصى جهدهم لتنفيذه وان كره المشركون.

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون} توبة ٣٣.

من هنا نستطيع القول (ان كان هدف إسرائيل وحلمها الأكبر هو إقامة المملكة العبرية التي تمتد حدودها من النيل إلى الفرات. فان هدف وحلم الإسلام والمسلمين الأكبر والأوحد ،هو جعل كلمة الله هي العليا بحسب المصطلح الإسلامي وذلك بإقامة الإمبراطورية الإسلامية في الأرض كافة .

لم يقتصر هدف الجهاد في الإسلام على قهر غير المسلمين وإذلالهم وسلب أموالهم وهتك أعراضهم وبالتالي إجبارهم على نبذ دينهم والدخول في الإسلام كما بينا سابقاً من خلال القران والسنة .

بل يهدف الإسلام من وراء تلك الفريضة العدوانية –الجهاد– إلى احتلال العالم اجمع –اي فتح العالم بحسب المصطلح الإسلامي.

هذه ليست أقوالنا ولا هي تصريحاتنا وان كنا نؤمن بها.

بل هذا ما أعلنه وصرح به الإسلام والمسلمين من خلال مصادر تشريعهم ومن خلال تصريحات علمائهم .

يقول ابو الأعلى المودودي في كتابه (الجهاد في سبيل الله):

" ان كان الإسلام نحلة كالنحل الأخرى والمسلمون أمة كغيرهم من أمم العالم ؛ فلا جرم ان الجهاد الإسلامي يفقد بذلك جميع المزايا والخصائص التي جعلته راس العبادات ودرة تاجها. لكن الحقيقة ان الإسلام ليس بنحلة كالنحل الرائجة وان المسلمين ليسوا بأمة كأمم العالم، بل الأمر ان الإسلام فكرة انقلابية ومنهاج انقلابي يريد ان يهدم نظام العالم الاجتماعي بأسره ويأتي بنيانه من القواعد ويؤسس بنيانه من جديد حسب فكرته ومنهاجه العملي. ومن هناك تعرف ان لفظ المسلم وصف للحزب الانقلابي العالمي الذي يكونه الإسلام وينظم صفوفه ليكون أداة في أحداث ذلك البرنامج الانقلابي يرمي إليه الإسلام ويطمح إليه ببصره، والجهاد عبارة عن الكفاح الانقلابي عن تلك الحركة الدائبة المستمرة التي يقام بها للوصول إلى هذه الغاية وأدراك هذا المبتغى. راجع الجهاد في سبيل الله لابو الأعلى المودودي ص ١٠-١١.

ان الإسلام لا ينظر إلى مصلحة أمة دون أمة ولا يقصد بالنهوض بمصلحة شعب دون شعب ، وكذلك لا يهمه في قليل ولا كثير ان تملك الأرض وتستولي عليها هذه المملكة أو تلك ، وان تهمه سعادة البشر وفلاحهم. وله فكرة خاصة ومنهاج عملي مختار لسعادة المجتمع البشري والصعود به إلى معارج الفلاح. فكل حكومة مؤسسة على فكرة غير هذه الفكرة ومنهاج غير هذا المنهاج؛ يقاومها الإسلام ويريد ان يقضي عليها قضاء مبرماً؛ ولا يعنيه في شيء بهذا الصدد أمر البلاد التي قامت فيها تلك الحكومة غير المرضية أو الأمة التي ينتمي أليها القائمون بأمرها. فان غايته استعلاء فكرته وتعميم منهاجه وإقامة الحكومات وتوطيد دعائمها على أساس هذه الفكرة وهذا المنهاج، بصرف النظر عمن يحمل لواء الحق والعدل بيده ومن تنتكس بذلك راية عدوانه وفساده ؟ . والإسلام يتطلب الأرض ولا يقتنع بقطعة أو جزء منها ،وانما يتطلب ويستدعي المعمورة الأرضية كلها، ولا يتطلبها لتستولي عليها وتستبد بمنابع ثروتها أمة بعينها، بعدما تنتزع من أمة أو أمم شتى، بل يتطلبها الإسلام ويستدعيها ليتمتع الجنس البشري بأجمعه بفكرة السعادة البشرية ومنهاجها العملي اللذين أكرمه الله بهما وفضله بها على سائر الأديان والشرائع. وتحقيقا لهذه البغية السامية يريد الإسلام ان يستخدم جميع القوى والوسائل التي يمكن استخدامها لأحداث انقلاب عام شامل ويبذل الجهد المستطاع للوصول إلى هذه الغاية العظمى، ويسمى هذا الكفاح المستمر بانتشار القوى والبغي واستخدام شتى الوسائل المستطاعة (الجهاد) . راجع نفس المصدر ١٣

ان الإسلام ليس مجرد توليفة من العقيدة الكلامية وجملة من المناسك والشعائر، كما يفهم من معنى الدين في هذه الأيام.

بل الحق انه نظام كلي شامل يريد ان يقضي على سائر النظم الباطلة الجائرة الجارية في العالم ويقطع دابرها ويستبدل بها نظاما صالحا ومنهاجا معتدلا يرى انه خير للإنسانية من النظم الأخرى ، وان فيه نجاة الجنس البشري من أدواء الشر والطغيان وسعادة له وفلاحا في العاجلة والآجلة مها. ودعوته في هذه السبيل ، سبيل الإصلاح والتجديد والهدم والبناء، عامة للجنس البشري كافة، لا تختص بأمة دون أمة أو طائفة دون طائفة . فهو يدعو بني ادم جميعا إلى كلمته ؛ حتى انه يهيب بالطبقات الجائرة نفسها ممن اعتدوا حدود الله في أرضه واستأثروا بخيرات الأرض دون سائر الناس، يهيب بالملوك والأمراء أنفسهم ويناديهم قائلا:

لا تطغوا في الأرض ادخلوا في كنف حدود الله التي حددها لكم. فان أسلمتم لامر الله ودِنتم لنظام الحق -الإسلام- والعدل الذي أقامه للناس خير وبركة، فلكم الأمن والدعة والسلامة. فان الحق لا يعادي أحد، وانما يعادي الحق الجور والفساد والفحشاء. فكل من أمن بهذه الدعوة وتقبلها بقبول حسن، يصير عضوا في الجماعة الإسلامية، أو الحزب الإسلامي، لا فرق في ذلك بين الأحمر منهم أو الأسود او الغني منهم أو الفقير. كلهم سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لامة على أمة أو لطبقة على أخرى. وبذلك يتكون ذلك الحزب العالمي أو الأممي الذي سمي (حزب الله) بلسان الوحي. وما ان يتكون هذا الحزب حتى يبدأ بالجهاد في سبيل الغاية التي أنشئ من اجلها. فمن طبيعته ومما يستدعيه وجوده ان لا يألو جهدا في القضاء على نظم الحكم التي أسس بنيانها على غير قواعد الإسلام واستئصال شأفتها وان يستنفد مجهوده في ان يستبدل بها نظاما للعمران والاجتماع معتدلا؛ مؤسسا على قواعد ذلك القانون الوسط العدل الذي يسميه القران (كلمة الله). فان لم يبذل هذا الحزب الجهد المستطاع ولم يسع سعيه وراء تغير نظم الحكم وإقامة نظام الحق - الإسلام- نظم الحكم المؤسس على قواعد الإسلام ولم يجاهد حق جهاده في سبيل هذا،فاتته غايته وقصر عن تحقيق البغية التي أنشئ لأجلها، فانه ما أنشئ الا لأدراك الغاية وتحقيق هذه البغية، بغية إقامة

نظام الحق والعدل -الإسلام- ولا غاية له ولا عمل الا الجهاد في هذه السبيل . وهذه الغاية الوحيدة التي بينها الله تعالى في كتابه بقوله: (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ال عمران ١١٠.

ولا يظن أحد ان هذا الحزب -حزب الله بلسان الوحي - مجرد جماعة من الوعاظ المبشرين يعظون الناس في المساجد ويدعونهم إلى مذاهبهم ومسالكهم بالخطب والمقالات، لا، ليس الأمر كذلك وانما هو حزب أنشأه الله ليجعل لولا الحق والعدل بيده ويكون شهيدا على الناس. ومن مهمته التي ألقيت على كاهله من أول يوم، ان يقضي على منابع الشر والعدوان ويقطع دابر الجور والفساد في الأرض والاستغلال الممقوت وان يكبح جماح الآلهة الكاذبة الذين تكبروا في ارض الله بغير حق وجعلوا أنفسهم أربابا من دون الله ويستأصل شافة ألوهيتهم ويقيم نظاما للحكم والعمران يتفيأ ظلاله القاصي والداني والغني والفقير. والى هذا المعنى أشار الله تعالى في غير واحدة من آية الذكر الحكيم: (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون

الدين كله لله) أنفال٣٨. (الا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)أنفال ٧٣.
(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) توبة ٣٣.

فتبين من كل ذلك ان الحزب – حزب الله– لا بد له من امتلاك ناصية الأمر ولا مندوحة له عن القبض على زمام الحكم، لان نظام العمران الفاسد لا يقوم الا على أسس حكومة مؤسسة على قواعد العدوان والفساد في الأرض ، كذلك ليس من الممكن ان يقوم نظام للحكم الصالح ويؤتي أكُله الا بعد ما ينتزع زمام الأمر من أيدي الطغاة المفسدين ويأخذه بأيديهم رجال يؤمنون بالله واليوم الآخر. وأضف إلى ذلك ان هذا الحزب –حزب الله– بصرف النظر عما يرمي إليه من إصلاح العالم وبث الخير والفضيلة في إنحاء الأرض كافة، لا يقدر ان يبقى ثابتا على خطته متمسكا بمنهاجه، عاملا وفق مقتضياته، مادام نظام الحكم قائما على أساس آخر سائرا على منهاج غير منهاجه وذلك ان حزبا مؤمنا بمبدأ ونظام للحياة والحكم الخاص، لا يمكنه ان يعيش متمسكا بمبدئه عاملا حسب مقتضاه في ظل نظام للحكم مؤسسا على مبادئ

وغايات غير المبادئ والغايات التي يؤمن بها ويريد السير على منهاجها. وكذلك ان أراد مسلم ان يقضي حياته مستظلا بنظام للحكم مناقض لمبادئ الإسلام الخالدة وبوده ان يبقى مستمسكا بمبادئ الإسلام، سائرا وفق مقتضاه في أعماله اليومية، فلن يتسنى له ذلك ولا يمكنه ان ينجح في بغيته هذه أبدا، لان لقوانين التي يراها باطلة والضرائب التي يعتقدها غرما ونهبا لأموال الناس والقضايا التي يحسبها جائرة عن الحق وافتئاتا على العدل، والنظم التي يعرف أنها مبعث الفساد في الأرض ، ومنهاج التعليم التي يجزم بوخامة عاقبتها وسوء نتائجها ويرى فيها هلاكا للامة. فالذي يؤمن بعقيدة ونظام، فردا كان او جماعة، مضطر بطبيعة عقيدته وأيمانه بها ان يسعى سعيه في القضاء على نظم الحكم القائمة على فكرة غير فكرته ويبذل الجهد المستطاع في إقامة نظم للحكم مستند إلى الفكرة التي يؤمن بها ويعتقد ان فيها سعادة البشر، لانه لا يتسنى له العمل بموجب عقيدته والسير عن منهاجه الا بهذا لطريق.

وإذا رأيت رجلا لا يسعى وراء غايته او يغفل عن هذا الواجب، فاعلم انه كاذب في دعواه ولما يدخل الإيمان في قلبه. لعلك تبينت مما أسلفنا آنفا ان غاية الجهاد في الإسلام هو هدم بنيان النظم المناقضة لمبادئه وإقامة حكومة مؤسسة على قواعد

الإسلام في مكانها واستبدالها بها . وهذه المهمة، مهمة أحداث انقلاب إسلامي عام، غير منحصرة في فطر دون قطر، بل ما يريده الإسلام ويضعه نصب عينيه ان يحدث هذا الانقلاب الشامل في جميع أنحاء المعمورة . هذه هي غايته العليا ومقصده الأسمى الذي يطمح إليه ببصره، ألا انه لا مندوحة للمسلمين أو (أعضاء حزب الله الحزب الإسلامي) عن الشروع في مهمتهم بأحداث الانقلاب المنشود والسعي وراء تغير نظم الحكم في بلادهم التي يسكنونها اما غايتهم العليا وهدفهم الأسمى فهو الانقلاب العالمي الشامل المحيط بجميع أنحاء الأرض. وذلك ان فكرة انقلابية لا تؤمن بالقومية، بل تدعو الناس جميعا إلى سعادة البشر وفلاح الناس أجمعين، لا يمكنها أصلا ان تضيق دائرة عملها في نطاق محدود من أمة أو قطر، بل الحق أنها مضطرة بسجيتها وجبلتها ان تجعل الانقلاب العالمي غايتها التي تضعها نصب عينها ولا تغفل

عنها طرفة عين . فان الحق يأبى الحدود الجغرافية ولا يرضى ان ينحصر في حدود ضيقة اخترعها علماء الجغرافية واصطلحوا عليها. ومن اجل ذلك وجب على الحزب المسلم، حفاظا لكيانه وابتغاء للإصلاح المنشود ان لا يقتنع بإقامة نظام الحكم الإسلامي في قطر واحد بعينه ، بل من واجبة الذي لا مناص له منه بحال من الأحوال ان يدخر جهدا في توسيع نطاق هذا النظام وبسط نفوذه في مختلف أرجاء الأرض. ذلك بان يسعى الحزب الإسلامي في جانب وراء نشر الفكرة الإسلامية وتعميم نظرياتها الكاملة ونشرها في أقصى الأرض أدناها ويدعو سكان المعمورة على اختلاف بلادهم وأجناسهم وطبقاتهم . هذه هي الخطة التي سلكها وهذا هو المنهاج الذي انتهجه النبي ومن جاء بعده وسار بسيرته من الخلفاء الراشدين . فانهم بدءوا ببلاد العرب التي أشرقت شمس الإسلام من آفاقها وأخضعوها أولا لحكم الإسلام وادخلوها في كنف المملكة الإسلامية الجديدة ، ثم دعا النبي الملوك والأمراء والرؤساء في مختلف بقاع الأرض إلى دين الحق - الإسلام- اللاذعان لامر الله . فاللذين آمنوا بهذه الدعوة انضموا إلى هذه المملكة الإسلامية واصبحوا من أهلها. واللذين لم يلبوا دعوتها ولم يتقبلوها بقبول حسن، شرع في قتالهم وجهادهم. ولما استخلف ابو بكر بعد وفاة النبي ، حمل على المملكتين المجاورتين للمملكة الإسلامية،مملكتي الروم والفرس . راجع كتاب (الجهاد في سبيل الله) لابو الأعلى المودودي ص ٢٨-٣٩.

هل يستطيع اي مسلم ان يشكك بأقوال المودودي المستمدة من القران والسنة؟.
الإسلام يتطلب الأرض كلها ولا يقتنع بجزء منها.

عن تميم الداري قال سمعت رسول الله يقول ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزا يعز الله به الإسلام وذلا يذل الله به الكفر وكان تميم الداري يقول قد عرفت ذلك في أهل

بيتي لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية – أحمد ١٦٣٤٤.

عن نبي الإسلام قال : (ان الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وان أمتي سيبلغ ملكها لي منها رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة.

وفي الحديث الصحيح يقول ابو قبيل : كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص وسئل اي المدينتين تفتح : القسطنطينية ؟ أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلقة فاخرج منه كتابا قال: فقال عبد الله بينما نحن حول رسول الله ، نكتب إذ سئل رسول الله اي المدينتين تفتح أولا ؟ يعني القسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله مدينة هرقل تفتح أولا،القسطنطينية رواه احمد . وراجع ايضا الفريضة الغائبة ص ٤٢-٤٤.

الاستيلاء على البلاد وتفريغها من أهلها كان حلم نبي الإسلام الأكبر :
عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله أن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله لئن عشت لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أترك فيها إلا مسلما – أحمد ٢١. – أحمد ٢١٠ .

أخبرنا سفيان الثوري عن أبي الزبير عن جابر عن عمر بن الخطاب أن رسول الله قال لئن عشت إن شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب – الترمذى ١٥٣١.

عن عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله يقول لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلما – أحمد ١٩٦.

عن ابن عباس قال قال رسول الله لا تكون قبلتان في بلد واحد – أبو داود ٢٦٣٦

عن نافع عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز وكان رسول الله لما ظهر على خيبر أراد إخراج اليهود منها وكانت الأرض حين

ظهر عليها لله ولرسوله وللمسلمين وأراد إخراج اليهود منها فسألت اليهود رسول الله ليقرهم بها أن يكفوا عملها ولهم نصف الثمر فقال لهم رسول الله نقركم بها على ذلك ما شئنا فقروا بها حتى أجلاهم عمر إلى تيماء وأريحاء – البخاري ٢١٧٠.

عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز وكان رسول الله لما ظهر على أهل خيبر أراد أن يخرج اليهود منها وكانت الأرض لما ظهر عليها لليهود وللرسول وللمسلمين فسأل اليهود رسول الله أن يتركهم على أن يكفوا العمل ولهم نصف الثمر فقال رسول الله نقركم على ذلك ما شئنا فأقروا حتى أجلاهم عمر في إمارته إلى تيماء وأريحا – البخارى ٢٩١٩

عن أبي هريرة قال بينما نحن في المسجد خرج النبي فقال انطلقوا إلى يهود فخرجنا حتى جئنا بيت المدراس فقال أسلموا تسلموا واعلموا أن الأرض لله ورسوله وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض فمن يجد منكم بماله شيئا فليبعه وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله – البخارى ٢٩٣.

عن نافع عن ابن عمر قال حاربت النضير وقريظة فأجلى بني النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبي فآمنهم وأسلموا وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع وهم رهط عبدالله بن سلام ويهود بني حارثة وكل يهود المدينة – البخارى ٣٧٢٤.

عن ابن عباس قال قال رسول الله لا تصلح قبلتان في أرض واحدة وليس على المسلمين جزية . والنصراني إذا أسلم وضعت عنه جزية رقبته . الترمذى ٥٧٤.

أخبرني عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله يقول لأخرجن اليهود والنصارى من

جزيرة العرب فلا أترك فيها إلا مسلما قال أبو عيسى هذا حديث حسن.

صحيح الترمذى ١٥٣٢.

عن ابن عمر أن يهود النضير وقريظة حاربوا رسول الله فأجلى رسول الله بني النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة بعد ذلك فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا برسول الله فأمنهم وأسلموا وأجلى رسول يهود المدينة كلهم بني قينقاع وهم قوم عبد الله بن سلام أبو داود ٢٦٣٤. أحمد ٩٤٥٠ .

عن مالك عن إسماعيل بن أبي حكيم أنه سمع عمر بن عبد العزيز يقول كان من آخر ما تكلم به رسول الله أن قال قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد لا يبقين دينان بأرض العرب – مالك ١٣٨٧ مالك ١٣٨٨.

المعاهدات فى الاسلام

المعاهدات في الإسلام يمكن ردها إلى ثلاثة أنواع وذلك لجملة العهود التي عقدها المسلمون مع غيرهم وهي: عهد الأمان ، وعهد الذمة ، وعهد الصلح.

عهد الأمان:

هو عهد مؤقت لا تزيد مدته في العادة عن سنه يعقده المسلمون مع أحد الحربيين اي مواطني العدو أو عدد محدود منهم، ويسمى هؤلاء بعد حصولهم على الأمان باسم (المستأمنين) ، حتى إذا انتهى مفعول العهد الممنوح لهم عادوا حربيين.

عهد الذمة:

هو نوع من العهود كان يتم عقده بين قادة جيوش الفتح (الغزو) وبين سكان البلاد المفتوحة اللذين اختاروا البقاء على ديانتهم الأصلية مع دفع الجزية .

وبمجرد توقيع هذا العهد تطبق على المعاهدين الذميين قواعد القانون الإسلامي (الشريعة).

عهد الصلح:

معاهدة تاتم بين دار الإسلام من جهة وبين دار الحرب من جهة ثانية.

والصلح في الشرع الإسلامي عبارة عن عقد على ترك القتال مدة معلومة لازمة يقع بين طرفين في زمن محدد بشروط مخصوصة.

وعهود الصلح لا تزيد مدتها من الناحية الشرعية عن عشر سنوات تقليداً لصلح الحديبية الذي عقده محمد مع القريشين وكانت مدته كذلك.

وللمعاهدات في الإسلام شروط وهي :

أولا: الا تخالف المعاهدة حكماً من الأحكام الشرعية: لكي تنعقد المعاهدة بشكل صحيح يجب الا تخالف اي حكم قطعي وارد في القران وذلك نزولاً عند حكم الحديث القائل{ من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فهو باطل} فتاوى ابن تيمية ٣/٣٢٩.

٢} ان يكون في ذلك مصلحة للمسلمين: فان لم يكن للمسلمين مصلحة كتجاوز ضعف، أو توفير مال، أو توقع إسلام المعقود معهم الصلح، فلا يهادنون بل يقاتلون حتى يسلم الكفار أو يدفعون الجزية.

٣} ان لا يكون في العقد شرط يأباه الإسلام منها:

اعتراف أو إقرار الكفار على جزء ولو كان شبراً من ارض المسلمين لانه لا يجوز لاحد ان يتصرف فيما لا يملك ولا يفاوض عليه.

يقول الإمام مالك: { إذا وقع الخليفة الصلح٠٠٠ والمسلمون لا يرون الا الجهاد فمهادنته منقوصة وفعله مردود}. راجع فتح العالي لإمام مالك ٢٨٩/١.

الاستنفار للجهاد : إذا تعين الجهاد بطل الصلح كما إذا دخل العدو ارض المسلمين أو كان طالباً لهم. وحيث تعين الجهاد في موضع لم يجز فيه الصلح.

٤} ان لا تزيد مدة المصالحة عن أربعة اشهر عند قوة المسلمين وأمنهم ولا تجوز الزيادة عن عشر سنين ولا إطلاق المدة.

فلا بد ان تكون المصالحة معلومة محدودة لان تركها من غير تقدير يقتضي إلى ترك فريضة الجهاد بالكلية هذا في حالة كون العدو في بلاده أو بأطراف البلاد الإسلامية على الحدود اما ان اخذ العدو جزءاً من بلاد الإسلام وادعى ملكيته لهذا الجزء ،

وانكر حق المسلمين فيها وجار عليهم في العدوان. فان المصالحة أو المهادنة أو المسالمة لا بإجماع آراء الفقهاء في كافة العصور الإسلامية.

اما إذا كان المسلمين في حالة ضعف كمثل الذي هم عليها ألان ، فلا بأس في ان يعقدوا صلح مؤقت مع أعدائهم الى ان يزول سبب ضعفهم.

فان كان سبب ضعف المسلمين لأسباب خارجة عن أرادتهم وظهور قوة عدوهم عليهم، جاز لهم المهادنة والمصالحة لمدة محدودة ومعلومة حتى يزول سبب الضعف.

فالصلح المطلق والمقود والمتضمن ترك الجهاد يجب نقضه لانه بمقضي الشرع غير مبرم ، وحكمه غير لازم عند كل من حقق في أصول الشريعة.

أما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين ورأى الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة فله أن يفعل ذلك. راجع تفسير الطبري وابن كثير والقرطبي في شرحهم لآية سورة محمد ٣٥. والتوبة ٥ .

قال الطبري في تفسيره : إذا كان المسلمون في حالة ضعف: رخص لهم في موالاتهم – اي في موالاة الأعداء- إذا أخافوهم، والمراد بتلك المولاة محالفة ، ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة، والبغضاء، وانتظار زوال المانع من قصر العصا، وإظهار الطرية. راجع تفسير الطبري في شرحه لآية آل عمران ٢٨.

اما إذا كان المسلمون في حالة ضعف والعياذ بالله ، فلا باس ان جنحوا مع الأعداء إلى السلم، ان يجنح لهم المؤمنون.{وان جنحوا للسلم فاجنح لها} أنفال ٦١.

اما ان كان المسلمون في حالة قوة تسمح لهم بالمقاومة، فلا يجوز شرعا عقد سلم او مصالحة وذلك لقوله : { فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الأعلون} . محمد ٣٥.

" فلا تهنوا" إي لا تضعفوا عن الأعداء " وتدعوا إلى السلم" أي المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عددكم وعدتكم ولهذا قال "فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون أي في حال علوكم على عدوكم . راجع تفسير الطبري وابن كثير والقرطبي والشوكاني والواحدي في شرحهم لآية سورة محمد ٣.

اذن يتضح من استعرا ضنا لأحكام وأسباب معاهدات الصلح في الإسلام، ان السلام المعقود ما بين العرب المسلمين وبين إسرائيل ، هو من وجهة نظر عربية إسلامية شرعية تكتيك وليس استراتيجية... تكتيك يتقي فيه المسلمون العرب شر دخول الحرب مع إسرائيل .. انها التقية بحسب المصطلح الإسلامي .

هذا ليس ايماني وحدي . بل هذا ما اتفق عليه أكثرية علماء أمة الإسلام.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق في كتابه (حكم معاهدات الصلح والسلام مع اليهود، وموقف المسلم منها) : اليهود أعداء دائمون لهذه الأمة منذ بدأ رسول الله رسالته والى أن يخرج الدجال.

اليهود أعداء هذه الأمة منذ بدأ الرسول–صلى الله عليه وسلم– دعو إلى الله، وستظل عدواتهم إلي هذه الأمة إلى قيام الساعة، ..... إلى أن يستصرخ الحجر والشجر المسلم قائلا ((يا مسلم هذا يهودي ورائي فأقتله)) (متفق عليه)، وحتى يخرج آخرهم في ركاب الدجال.

وعداء اليهود لأهل الإسلام ورسوله إنما كان حسدا وبغيا، حسدا أن تنتقل الرسالة والنبوة من فرع إسحاق إلى فرع إسماعيل، وأن يكون العرب الأميون هم سادة الدنيا بكتاب الله ودينه وشرعه . .....

ومن ظن أن الحرب والعداوة توضع بين المسلمين واليهود فهو مكذب بوعد الله، ودينه، ومن عمل لإزالة هذه العداوة والبغضاء بين المسلمين واليهود فهو كافر بالله سبحانه وتعالى، فإن أصل الإيمان الحب في الله والبغض في الله، ولا يجوز لمسلم أن يجمع في قلبه بين حب الله والمؤمنين وموالاة أعدائه .....

فلا مودة بين المسلم والكافر إلا أن يصبحا كافرين أو مسلمين فإما أن يدخل الكافر في الإسلام فيكون أخا لنا نحبه ونواليه، وإما أن يخرج المسلم من الإسلام فيكون محبا وأخا للكافر ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين)) (المائدة\٥١).

لا دعوة للمسلم إلا إذا ذل الكافر واستسلم أو كان دفعا لمفسدة أكبر بارتكاب مفسدة أقل:

الأصل في العلاقة بين المسلمين والكفار هي العداوة والحرب وذلك لقوله تعالى : ((وقاتلهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)) (الأنفال ٣)، وقوله تعالى : ((قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون))(التوبة ٢٩) والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جدا وكلها تأمر أن يباشر المؤمنون القتال حتى يكون خضوع الجميع لدين الله وشرعه إما طوعا وإما ذلا وقهرا.
ولم يسمح الله سبحانه وتعالى لأمة الإسلام أن تدعوا إلى السلم مع الكفار إلا في إحدى حالتين:

أ- أن يذل الكفار ويضعفوا وتخور قواهم ويجنحوا إلى السلم، فعند ذلك يكون السلم في صالح المسلمين لأن عقيدتهم أقوى، وفعلهم أكبر، وبذلك يفتح المجال لدخول الناس في الدين كما كان الشأن بين الرسول وقريش.

ب- أن يكون الصلح من باب ارتكاب أخف الضررين فيلجأ المسلمون إليه دفعا لمصيبة أعظم كما هم الرسول أن يصالح غطفان على نصف ثمار المدينة حتى يفك تحالفهم مع قريش، وينفرد النبي بقتال قريش بعد ذلك..

أما في غير هاتين الحالتين فإنه لا يجوز للمسلمين الدعوة إلى السلام كأن يكون ركونا للدنيا وكراهة للجهاد أو خوفا من كثرة الكفار، وذلك أن، أهل الإيمان ينصرون مع قلتهم على الكفار على كثرتهم، وهذه سنة الله الجارية أبدا في عباده((كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين)) (البقرة\٢٤٩)، (ولو

قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا * سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا))
(الفتح\٢٢-٢٣)

وأما الدعوة إلى السلم بمعنى ترك الحرب نهائيا، ومصالحة الكفار أبدا ونبذ الحرب والقتال مطلقا، فهذا كفر بالله تعالى مخرج من ملة الإسلام، وإلغاء لفريضة الجهاد التي جعلها الله فرضا على كل مسلم إلى يوم القيامة كما قال تعالى : ((كتب عليكم القتال وهو كره لكم))(البقرة ٢١١) وكتب بمعنى فرض ..... فالجهاد ماض بعد فتح مكة إلى يوم القيامة، وهو إما خروج بالنفس وهذا الفرض العيني، وإما نية دائمة لكل مسلم يجب أن يصحبها دائما، ويموت عليها، فيكون مستعدا لمزاولة القتال في كل حال، قائما به في حالة الوجوب العيني، وإلا أثم .

ان الاتفاقيات التي عقدت بين بعض الساسة العرب واليهود باطلة شرعا لا يجوز للمسلم اعتقاد صحتها، ولا تنفيذ شيء منها إلا مكرها مجبرا فيما يجوز فيه الإجبار والإكراه .

الأدلة على هذا الحكم (أي حكم بطلان هذه المعاهدات،ما يلي :

١) في هذه المعاهدات .. وضع الحرب إلى الأبد بين المسلمين واليهود وهذا شرط باطل:لا يجوز للمسلم أن يشارط الكفار يهودا كانوا أو غيرهم على وضع الحرب إلى الأبد بين المسلمين وبينهم، فإن القتال فريضة قائمة إلى يوم القيامة، ولا يجوز إلغاءه من التشريع، ومن اعتقد عدم وجود الجهاد، أو سعى إلى إلغاءه أو إبطاله فهو كافر بالله سبحانه وتعالى كفرا مخرجا من ملة الإسلام، ومكذبا بمعلوم من الدين ضرورة.

فالقتال فريضة ماضية إلى يوم القيامة وقد قامت أدلة القرآن والسنة وإجماع الأمة على ذلك في كل عصورها، ولكن يجوز وضع الحرب فقط دون تحديد سنوات.

أما النص على أن الحرب انتهت بين المسلمين والكفار، وأن هذا عهد للسلام الدائم والشامل فهو إبطال لفريضة الجهاد وإقرار للكافر على كفره، ولا يجوز هذا لمسلم أبدا، إلا أن يكفر بالله ورسالاته.

٢) المعاهدات نصت على إزالة أسباب العداوة والبغضاء وإزالة كل نصوص التشريع التي تبقي هذه العداوة..

وهذا الشرط باطل لأنه يخالف أصل الإيمان الذي يقوم على التفريق بين المسلم والكافر وأن الكافر عدو لله أبدا حتى يسلم ويتخلى عن كفره، وقد حرم الله على المؤمنين موالاة الكفار ومودتهم حتى لو كانوا آباء أو, أبناء أو أخوة أ, عشيرة أو أزواجكما قال تعالى : ((لا تجد قوما يؤمنون بالله و باليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم))(المجادلة ٢٢. راجع كتاب (حكم معاهدات الصلح والسلام مع اليهود، وموقف المسلم منها) للشيخ عبد الرحمن بن عبد الخالق . الكتاب موجود على العنوان لتالي :

http://www.salafi.net

يقول الشيخ الدكتور عبد القادر بن عبد العزيز في كتابه الجامع في طلب العلم الشريف : ولا يمنع المسلمين من الجهاد إلا العجز،وذلك لقوله تعالى: ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السَّلم وأنتم الأعلون﴾، فما دامت بالمسلمين قوة وكانوا أعلى من عدوهم فلا سِلْم ولا هدنة ولا صلح، بل القتال حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

وذلك لأن آخر ما نــزل في الجهاد هو قوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾، فهذه الآية وآية الجزية بنفس السورة أمر بالقتال العام، وهو من أواخر ما أنزل من القرآن، فلا ناسخ له، وروى البخاري عن البراء قال: "آخر سورة نــزلت براءة") صحيح البخاري حديث ٤٦٥٤.

وهكذا فَعَلَ النبي والخلفاء من بعده في قتال المشركين وأهل الكتاب ، ولا يمنع من هذا إلا العجز.

مما سبق تعلم أن الأصل في العلاقة بين المسلمين والكافرين هو القتال وأن الاستثناء منه هو السلم في صورة هدنة أو صلح وأنه لا يلجأ إلى هذا الاستثناء إلا لضرورة من عجز ونحوه، وذلك لقوله تعالى: ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون﴾.

قال ابن قدامة: ومعني الهدنة أن يعقد لأهل الحرب عقدا على ترك القتال مدة بعِوَض

وبغير عِوَض وتسمى مهادنة وموادعة ومعاهدة وذلك جائز بدليل قول الله تعالى:

﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ وقال سبحانه: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾

وروي مروان ومِسْوَر بن مخرمة أن النبي صالح سهيلاً بن عمرو بالحديبية على وضع القتال عشر سنين ولأنه قد يكون بالمسلمين ضعف فيهادنهم حتى يقوي المسلمون، ولا يجوز ذلك إلا للنظر للمسلمين. إما أن يكون بهم ضعف عن قتالهم وإما أن يطمع في إسلامهم بهدنتهم أو في أدائهم الجزية والتزامهم أحكام الملة أو غير ذلك من المصالح. إذا ثبت هذا فإنه لا تجوز المهادنة مطلقا من غير تقدير مدة لأنه يفضي إلى ترك الجهاد بالكلية) المغنى لابن قدامه ٥١٧/١٠.

وكما ترى أن ابن قدامة قال عن الهدنة: "لا يجوز ذلك إلا للنظر للمسلمين" أي لمصلحتهم كما فصَّله.

وقال صاحب المجموع: "لا يجوز عقد الهدنة لإقليم أو صقيع إلا للإمام أو لمن فوض إليه الإمام لأنه لو جُعِل ذلك إلى كل واحد لم يؤمن أن يهادن الرجل أهل إقليم، والمصلحة في قتالهم فيعظم الضرر فلم يجز إلا للإمام أو النائب عنه، فإن كان الإمام مستظهراً نُظِرَت فإن لم يكن في الهدنة مصلحة لم يجز عقدها لقوله عز وجل: ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم﴾") المجموع شرح المهذب ٤٣٩/١٩.

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم﴾. قال: "﴿فلا تهنوا﴾ أي لا تضعفوا عن الأعداء ﴿وتدعوا إلى السلم﴾ أي المهادنة والمسالمة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عَدَدِكم وعُدَدِكم ولهذا قال ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون﴾ أي في حال علوكم على عدوكم فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين، ورأي الإمام في المهادنة والمعاهدة مصلحة فله أن يفعل ذلك كما فَعَل رسول الله حين صده كفار قريش عن مكة ودَعَوْه إلى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين فأجابهم إلى ذلك.

ويذهب البعض – خاصة من المُحْدَثِين – إلى أن الأصل في العلاقة بين المسلمين والكافرين هو السلم وأن الاستثناء من هذا هو القتال إذا دعت إليه الضرورة.
ويحتجون لذلك بقوله تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾.

وهذا رأي يفضي إلى تعطيل الجهاد بالكلية . وهذا لا يجوز شرعا . لان الجهاد فريضة . مثله مثل الصيام . (كتب عليكم الصيام) بقرة ١٨٣. (كتب عليكم القتل) بقرة ٢١٦ . فكما انه لا يجوز شرعا تعطيل صيام رمضان لانه كتب على المسلمين أي فرض ليهم . هكذا أيضا لا يجوز شرعا تعطيل فريضة القتال لانها كتبة على المسلمين كصيام شهر رمضان.
أما الآية المحتج بها فلا حجة فيها إذ إنها محمولة على جواز المسالمة بشرط حاجة المسلمين لذلك وهذا الشرط تبينه الآية الأولى ﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون﴾ فآية الأنفال تختص بحال وهو كون المسالمة في مصلحة المسلمين ويحتاجون إليها، أما آية سورة محمد
فهي تختص بحال آخر وهو كون المسالمة ليست في مصلحة المسلمين وذلك عندما تكون بهم قوة يقهرون بها عدوهم فإنه لا تجوز المسالمة حينئذ لهذه الآية ولأن في هذا عدول عن الأصل المطلوب وهو إظهار دين الإسلام على ماعداه، لقوله:
﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ الانفال، وقوله : ﴿ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ الوبة والصف .

قال ابن كثير في تفسير آية الأنفال ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ قال: "قال ابن عباس ومجاهد وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني وعكرمة والحسن وقتادة إن هذه الآية منسوخة بآية السيف في براءة ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ الآية، وفيه نظر أيضا، لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إن كان العدو كثيفا فإنه يجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية ، وكما فعل النبي يوم الحديبية .

وقال ابن حجر في نفس الآية ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ قال: "هذه الآية دالة على مشروعية المصالحة مع المشركين – إلى قوله – ومعنى الشرط في الآية أن الأمر بالصلح مقيد بما إذا كان الأحظ للإسلام المصالحة، أما إذا كان الإسلام

ظاهرا على الكفر ولم تظهر المصلحة في المصالحة فلا".) فتح الباري ٢٧٥/٦-٢٧٦.

فالآية المحتج بها دالة على مشروعية المسالمة عند الحاجة لا وجوب المسالمة.

الرسول والمرغبات في الجهاد

كان محمد يرغب المسلمين في القتال والجهاد في سبيل الله بأمرين: أحدهما غائب، والآخر حاضر، وإن شئت فقل أحدهما معنوي والآخر مادي، أما المعنوي فهو الجنة ونعيمها الخالد المقيم. والمفهوم من الأحاديث النبوية، إنه ليس هناك طريق يؤدي الى الجنة تأدية مضمونه بكل سلامة واطمئنان سوى الشهادة، وهي أن يموت المرء قتيلا في سبيل الله، فلذا كانت الشهادة أكبر مرغب في القتال.

وإليك بعض ما روي من الأحاديث في هذا الباب. قال: إن للشهيد عند الله خصالا: أن يغفر له من أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلية الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانا من أقاربه (٢٣).

وقال لجابر بن عبد الله وقد استشهد أبوه (٢٤): ألا أخبرك ما قال الله لأبيك؟ قال: بلى، قال: ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحا (أي وجاها)، فقال: يا عبدي تمن عليّ أعطك، قال: يا رب أحيني فأقتل فيك ثانية قال: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب فأبلغ من ورائي. فانزل إليه:" ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون (٢٥).

وجاء مثل هذا في رواية أخرى أنه قال: يخاطب أصحابه بعد غزاة أحد: لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم من أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن منقلبهم قالوا: يا ليت أخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا يتكلموا عن الحرب، فقال الله: أنا أبلغهم عنكم. فأنزل الله على رسوله:" ولا تحسبن الذين قتلوا ..." الآية (٢٦).

وفي المسند أيضا: أفضل الشهداء الذين يلقوا في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون (أي يضطجعون) في الغرف العلى من الجنة، ويضحك إليهم ربك، وإذا ضحك ربك الى عبد في الدنيا فلا حساب عليه. والأحاديث في هذا كثيرة فمن أرادها ليرجع الى كتب الحديث.

أم حارثة بن قيس الأنصاري جاءت الى النبي بعدما قتل ابنها يوم بدر وهو غلام، فقالت: يا رسول الله، حدثني عن حارثة، فإن يكن في الجنة لم أبك عليه ولكن أحزن، وإن يكن في النار بكيت ما عشت في دار الدنيا. وفي رواية: إن يكن في الجنة صبرت وإن يكن غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء، فقال لها: يا أم حارثة، أنها ليست بجنة ولكنها جنات، وحارثة في الفردوس الأعلى، فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة (٢٧).

ما أورده صاحب السيرة الحلبية في غزوة بدر، وقال: ثم خرج رسول الله من العريش الى الناس فحضهم وقال: والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة، فقال عمير ابن الحمام (بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم) وبيده ثمرات يأكلهن: بخ بخ ما بين وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، ثم قذف الثمرات من يده، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل (٢٨).

وقال عوف بن الحارث بن عفراء: يا رسول الله، ما يضحك الرب من عبده؟ (أي ما يرضيه غاية الرضا) قال: غمسه يده في العدو حاسرا (أي لا درع له ولا مغفر)، فنزع درعا كانت عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل.

وأما المادي: فهو الغنائم والسبايا، ومن المعلوم أن العرب في جاهليتهم كانوا يغتنمون الأموال ويستبون النساء والرجال في حروبهم.

فأقر محمد هذه العادة في الإسلام، وأحل لجيوشه الغنائم، وجعل ذلك من خصائصه التي اختص بها دون من كان قبله من الأنبياء، كما جاء في ذلك أنه قال:" أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: أرسلت للناس كلهم عامة، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجدا، والتراب طهورا" (٢٩).

فكان يرغب أصحابه في الغزو بالغنيمة كما قال لعمرو بن العاص لما أرسله في غزوة ذات السلاسل؛ فمن عمرو بن العاص قال: بعث اليّ رسول الله فأمرني أن آخذ ثيابي وسلاحي، وقال: يا عمرو، إني أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك، فقلت: إني لم أسلم رغبة في المال، قال: نعم المال الصالح للرجل الصالح (٣٠).
ولما خرج الى تبوك وتجهز الناس قال للجد بن قيس: يا جد، هل لك في جلاد بني الأصفر، وفي لفظ: يا أبا قيس، هل لك أن تخرج معنا لعلك تحقب (أي تردف خلفك) من بنات بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله، أو تأذن لي (أي في التخلف) ولا تفتني، فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجبا بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه رسول الله وقال له: أذنت له: فأنزل الله تعالى:" ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني" الآية (٣١).
وفي رواية أخرى أنه قال: اغزوا تبوك تغنموا بنات بني الأصفر نساء الروم. فقال قوم من المنافقين: ائذن لنا ولا تفتنا، فأنزل الآية:" ألا في الفتنة سقطوا" (٣٢).

فكانت الغنائم من حوافزهم الى الغزو، ومن مرغباتهم في الخروج للقتال. حتى أن حبيب بن يساف الخزرجي، خرج مع المسلمين في غزوة بدر وهو مشرك غير مسلم طمعا في الغنيمة، ففرح المسلمون بخروجه، إلا أن رسول الله لم يقبله، وقال له: ارجع فإنا لا نستعين بمشرك، فراجع رسول الله وتكررت منه المراجعة، فأبى رسول الله أن يخرج معهم إلا إذا أسلم، فأسلم ومضى معه (٣٣). ولا ريب أن إسلامه لم يكن إلا لأجل الغنيمة.

ولا يخفى أن الغنيمة وإن كانت ترغبهم في الخروج الى الحرب إلا أنها ليست من المرغبات التي تجعلهم يصدقون في القتال كالجنة. فإن الجنة لا تنال إلا بالشهادة التي هي الموت بالقتل في صدمة الحرب، فهي لذلك تجعلهم يصدقون في حملتهم على العدو ويصلون معمعان الحرب مستقتلين. وليست كذلك الغنيمة، فإنها تحصل بدون ذلك، فلذا كان محمد يكره أن يراهم إذا خرجوا طامعين في الغنيمة فقط، ويسره منهم أن لا يخرجوا إلا راغبين في الجهاد، كما قال ذلك يوم خيبر، فإنه لما رجع من الحديبية وخرج الى خيبر في أول سنة سبع، جاء الذين كانوا قد

تخلفوا عنه في غزوة الحديبية يريدون الخروج معه رجاء الغنيمة، فقال له: لا تخرجوا معي إلا راغبين في الجهاد فأما الغنيمة فلا. ثم مر مناديا ينادي بذلك فنادى.

أما تقسيم الغنائم بينهم فإليك ما جاء عن ذلك في زاد المعاد لإبن القيم قال: وكان إذا ظفر بعدوه أمر مناديا فجمع الغنائم كلها، فبدأ بالأسلاب فأعطاها لأهلها (سيأتي الكلام في الأسلاب قريبا)، ثم أخرج خمس الباقي فوضعه حيث أمر الله به من مصالح الإسلام، ثم يرضخ من الباقي لمن لا سهم له من النساء والصبيان والعبيد، ثم قسم الباقي بالسوية بين الجيش للفارس ثلاثة أسهم، سهم له وسهمان لفرسه، وللراجل سهم. قال: وكان يسوي بين الضعيف والقوي في القسمة ما عدا النفل، وكان إذا أغار في أرض العدو بعث سرية بين يديه، فما غنمت، أخرج خمسه ونفلها ربع الباقي، وقسم الباقي بينها وبين سائر الجيش، قال: وكان له سهم من الغنيمة يدعى الصفى، إن شاء عبدا وإن شاء آمة، وإن شاء فرسا يختاره قبل الخمس (٣٤).

قال: وكانوا يستأجرون الأجراء للغزو على نوعين، أحدهما أن يخرج الرجل ويستأجر من يخدمه في سفره، والثاني أن يستأجر من ماله من يخرج في الجهاد، ويسمون ذلك الجعائل، وفيها قال النبي: للغازي أجره وأجر الغازي. وكانوا يتشاركون في الغنيمة على نوعين أيضا، أحدهما شركة الأبدان، والثاني أن يدفع الرجل بعيره الى الرجل أو فرسه فيغزو عليه على النصف مما يغنم، حتى ربما اقتسما السهم فأصاب أحدهما قدحه والآخر نصله وريشه، قال: وكان لا يسهم لمن قدم من المدد بعد الفتح (٣٥)، انتهى.

أما السبايا من الرجال والنساء فكانت كأموال الغنائم تقسم على الجيش أيضا من ضمن تقسيم الأموال. فتكون السبايا ملكا لهم إن شاءوا استرقوهم، وإن شاءوا كاتبوهم، وإن شاءوا أخذوا فداءهم إذا افتداهم أهلوهم.

وربما وقعت المرأة في سهم رجلين منهم، فتكون ملكا للإثنين كما وقع ذلك في غزوة بني المصطلق، قال الحلبي في سياق حديث هذه الغزوة: وأمر رسول الله بالأسارى فكتفوا، واستعمل عليهم بريدة، ثم فرق السبي فصار في أيدي الناس، ووقعت برة بنت الحارث في سهم ثابت بن قيس وابن عم له، فجعل ثابت لابن عمه نخلات له بالمدينة من حصته من برة، وكاتبها على تسع أوراق من ذهب (٣٦).

قال: فدخلت (أي برة) على رسول الله، فقالت: يا رسول الله، إني إمرأة مسلمة (أي لأنها أسلمت) لإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وأني برة بنت الحارث سيد قومه، أصابنا من الأمر ما قد علمت، ووقعت في سهم ثابت بن قيس وابن عم له، وخلصني ثابت من ابن عمه بنخلات في المدينة وكاتبني على ما لا طاقة لي به، وإن رجوتك فأعني في مكاتبتي، فقال رسول الله: أو خير من ذلك، قالت: ما هو؟ قال: أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك، قالت: نعم يا رسول الله، بأبي أنت، فأدى رسول الله ما كان كاتبها عليه، واعتقها وتزوجها وهي ابنة عشرين سنة، وسماها جويرية. ويذكر أن عليا هو الذي أسرها، قال: ولا مانع أن يكون على أسرها ثم وقعت في سهم ثابت وابن عمه عند القسمة، لأنه لم يثبت في هذه الغزوة أن النبي جعل الأسرى لمن أسرهم كما وقع في بدر.

قال: وعن عائشة قالت: كانت جويرية امرأة حلوة، لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه، فبينما

النبي عندي ونحن على الماء (أي الذي هو المريسيع) إذ دخلت جويرية تسأله في كتاب، فوالله ما هو إلا ان رأيتها، فكرهت دخولها على النبي، وعرفت أن سيرى منها مثل الذي رأيت. فقالت: يا

رسول الله، إني إمرأة مسلمة. الحديث. قالوا: إنما كرهت عائشة دخولها على النبي لما جبلت عليه النساء من الغيرة (٣٧).

ويفهم من قصة برة أو جويرية أن السبايا إذا أسلموا لا ينجيهم من الرق، بل يبقون ملكا لمن سباهم، وهذا عجيب جدا، لأنهم إنما قوتلوا وسبوا لأجل الإسلام، فإذا أسلموا يلزم أن يكونوا أحرار كغيرهم من المسلمين. وكانوا يطأون النساء والسبايا إن شاءوا لأنهن ملك أيمانهم، ففي السيرة الحلبية: قال: روى الشيخان، عن أبي سعيد الخدري أنه قال: غزونا مع رسول الله غزوة بني المصطلق فسبينا كرائم العرب واقتسمناها وملكناها، فطالت علينا العزبة، وفي لفظ: فأصبنا سبايا، وبنا شهوة للنساء واشتدت علينا العزوبة، وأحببنا الفداء، وأردنا أن نستمتع ونعزل (العزل هو الإنزال خارج الفرج) وقلنا نعزل ورسول الله بين أظهرنا! فسألناه عن ذلك، فقال: لا عليكم أ لا تفعلوا، ما كتب الله خلق نسمة هي كائنة الى يوم القيامة. أي ما عليكم حرج في عدم فعل العزل أي في الإنزال من الفرج، لأن العزل هو الإنزال خارج الفرج بأن يجامع حتى إذا قارب الإنزال نزع فأنزل خارج الفرج، وقوله: فإن الله قد كتب من هو خالق الى يوم القيامة، أي أعزلتم أم لا فلا فائدة من عزلكم لأن الماء قد يسبق العزل الى الرحم فيجيئ الولد وقد ينزل في الفرج ولا يجيء الولد.

روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري: إن رسول الله بعث جيشا الى أوطاس فلقي عدوا فقاتلوهم فظهروا عليهم، وأصابوا سبايا، وكان ناس من أصحاب رسول الله تحرجوا من غشيانهن من أجل أزواجهن من المشركين، فأنزل الله عز وجل في ذلك:" والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم (٣٨) أي فهن لكم حلال إذا انقضت عدتهن. قال: فتضمن هذا الحكم إباحة وطء المسبية وإن كان لها زوج من الكفار، وهذا يدل على محل حقه، وعلى رقبة زوجته، وصار سابيها أحق بها منه. الى آخر ما قال (٣٩).

وقد تباع هذه السبايا صفقة واحدة كما يباع المتاع. كما وقع في غزوة بني قريظة، فإنهم بعدما ضربت أعناق رجالهم، وكانوا ستمائة وقيل: سبعمائة وخمسين، أرسلت نساؤهم وذراريهم الى نجد لبيعهم وشراء خيل وسلاح بثمنهم. قال الحلبي في سيرته: ثم بعث رسول الله سعد بن زيد الأنصاري بسبايا بني قريظة الى نجد، فابتاع لهم بهم خيلا وسلاحا، وقيل: بعث بجملة منهم لا بهم كلهم وكان عدد السبايا ألفا.

وقال ابن اسحاق: وكان رسول الله اصطفى لنفسه من نسائهم (أي نساء بني قريظة) ريحانة بنت عمرو بن خناقة، إحدى نساء بني عمرو بن قريظة، فكانت عند رسول الله حتى توفي عنها وهي في ملكه، فكانت من سراريه لا من أزواجه (٤٠).

وبالنظر الى ما ذكرناه آنفا من تقسيم الغنائم نقلا عن ابن القيم، تكون الأسرى كسائر أموال الغنيمة في تقسيمها على الجيش بعد إخراج الخمس منها. ولكن هذا كان بعد غزوة بدر، فأما في غزوة بدر فإن النبي جعل الأسرى كالأسلاب، فكل من أسر أسيرا فهو له، وكل من قتل قتيلا فله سلبه، وإنما فعل ذلك تحريضا على القتال وترغيبا في أخذ أسلاب القتلى وفداء الأسرى. فعلى هذه تكون الغنيمة التي تقسم على الجيش ما بقي بعد إخراج الأسلاب وإخراج الأسرى.

ففي الكشاف للزمخشري، أن النبي شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم (أي يوم بدر)، أن ينفله أي يعطيه زيادة على سهمه، قال فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين، وأسروا سبعين، فلما يسر الله الفتح اختلفوا في ما بينهم وتنازعوا، فقال الشبان: نحن المقاتلون، وقال الشيوخ والوجوه الذي كانوا عند الرايات: نحن كنا ردا لكم وفئة تنحازون إليها أن انهزمتم. وقالوا لرسول الله: المغنم قليل والناس كثير، وأنك إن لم تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك (٤١).

ولم تكن إذ ذاك قاعدة متبعة في تقسيم الغنائم، رأى محمد أنه أمام مشكلة يجب حلها عاجلا لئلا يتسع الخلاف ويتمادى النزاع، فلم يجد لتلك المشكلة حلا سوى أن ينزع الغنائم من أيديهم ويجعلها لله ولرسوله، وحينئذ يكون الحكم فيها له وحده، وإذا كان الحكم له هان الأمر. فأنزل من السماء:" يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله وللرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين" (٤٢). فبهذه الآية نزعها الله من أيديهم وجعلها لمحمد يضعها حيث يشاء. قال الحلبي في سيرته: فدلت الآية على أن الغنيمة لرسول الله خاصة ليس لأحد من المقاتلة شئ منها (٤٣).

أما محمد فإنه، بعد ما صار الحكم إليه، لم يخرج عن الشرط الذي شرطه لمن كان له بلاء في ذلك اليوم، فجعل الأسرى لمن أسروهم، وجعل أسلاب القتلى لمن قتلوهم، وقسم الباقي على المسلمين بالسوية، وكان سهمه كسهم واحد منهم، إلا أنه تنفل زيادة على سهمه سيفه ذا الفقار، وكان لمنبه بن الحجاج، وقيل: لإبنه العاص، وتنفل أيضا زيادة على سهمه جمل أبي جهل وكان مهريا (٤٤)، لأن محمد كان له الصفى، وهو يصطفيه ويختار لنفسه من الغنيمة قبل القسمة، كما تقدم ذكره.

ومن هذا أي من جعل محمد سهمه من الغنيمة كسهم واحد منهم، يتضح لنا جليا أنه لما نزع الغنائم من أيديهم وجعلها له وحده بحكم الآية، لم يقصد بذلك أن يأخذ الغنيمة وحده ويستأثر بها دونهم، وإنما قصد إرضاءهم بما يعطيهم منها، إذ لا يخفى أنها إذا كانت ملكا له وحده بحكم الآية النازلة من السماء، كان له الحق أن يتصرف فيها كما يشاء، وأن يعطي منها ما يشاء لمن يشاء، وحينئذ يرضون بما يعطونه منها، ويكون عندهم كعطية من عطاياه لا كغنيمة لهم فيها حق. وفي هذا ما فيه من الدلالة على حزمه وتحوطه في الأمور وحسن تدبيره في حل المشكلات.

ولا ريب أن آية الأنفال لم تكن إلا تدبيرا مؤقتا لحسم النزاع، لأن جعل الغنائم لرسول الله يعطيها من يشاء، كيفما يشاء، ربما يؤدي الى التقول من بعض ضعفة الإيمان. فالأحوط هو أن يوضع لتقسيم الغنائم حكم عام يكون معمولا به في كل وقت حتى يرضى كل واحد بنصيبه، ولا يتكرر الخلاف والنزاع. فلا بد إذن من آية تنسخ آية الأنفال.

فنسخت بأية تقسيم الغنائم:" واعلموا أن ما غنمتم من شئ فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى والأيامي والمساكين وابن السبيل" (٤٥). فكان الحكم في تقسيمها هكذا: تقسم الغنائم ـ (بعد الصفى الذي يختاره رسول الله لنفسه) ـ الى خمسة أقسام: أربعة منها للمقاتلة، وواحد وهو الخمس؛ يقسم الى خمسة أقسام أيضا، فالقسم الأول وهو خمس الخمس لرسول الله يفعل فيه ما أحب، والثاني لذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب، والثالث لليتامى، والرابع للمساكين، والخامس لابن السبيل.

ومما كان محمد يرغب به المسلمين في القتال زيادة على الغنيمة الأسلاب، فكان يقول لأصحابه إذا دخلوا في الحرب: من قتل قتيلا فله سلبه؛ وسلب القتيل هو ما عليه من ثياب وسلاح. فلم يجعل الأسلاب من الغنيمة ولذلك لم يخمسها بل حكم بسلب كل قتيل لقاتله واكتفى فيه بشاهد واحد من دون يمين وقد قتل أبو طلحة الأنصاري يوم حنين عشرين قتيلا فأخذ أسلابهم كلها.

وقد ادعى بعضهم أنه لم يقل من قتل قتيلا فله سلبه إلا يوم حنين. وهذا غير صحيح، بل الصحيح ما قاله آخرون من أنه قال ذلك وفعله قبل حنين بستة أعوام، وقد ذكر البخاري في صحيحه: إن معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء الأنصاريين، ضربا أبا جهل بن هشام يوم بدر بسيفيهما حتى قتلاه، فانصرفا الى رسول الله فأخبراه فقال: أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهم: أنا قتلته، فقال هل مسحتما سيفكما؟ قالا: لا، فنظر الى السيفين فقال: كلاكما قتله، وسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموع. قال بعضهم: إنما قضى بسلبته لمعاذ بن الجموح لأنه أثخنه والآخر جرحه بعده، وإنما قال: كلاكما قتله ملاطفة للثاني وتطبيبا لقلبه. قال ابن القيم: وهذا يدل على أن كون السلب

للقاتل أمر مقرر معلوم من أول الأمر، وإنما تجدد يوم حنين للإعلام العام وللمناداة به لا شرعيته (٤٦).

ويفهم مما تقدم أن الجنة من المرغبات العامة، لأنها تصلح للترغيب في الإسلام وفي القتال، بخلاف الغنيمة فإنها لا تصلح إلا للترغيب في القتال، ولما كان محمد بمكة قبل أن يهاجر الى المدينة، لم تكن الغنيمة من المرغبات، لأن الحرب لم تكن مشروعة بمكة، وحيث لم تكن الحرب لم تكن الغنيمة، ولكنه كان يرغب في الإسلام بالماديات أيضا كما رغب قومه في الإسلام بأن يكونوا ملوكا للعرب والعجم، إذ قال لهم لما اجتمعوا له في بيت عمه أبي طالب:" أعطوني كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم العجم" (٤٧).

(عن كتاب " كتاب الشخصية المحمدية" للأديب والشاعر العراقى الراحل معروف الرصافى).

الهوامش

---

(١) السيرة الحلبية، ٧٥/٢.
(٢) السيرة الحلبية، ١٢٨/٢.
(٣) السيرة الحلبية، ١٢٨/٢
(٤) سورة البقرة: ١٣٠/٢.
(٥) سورة البقرة: ١٤٣,
(٦) زاد المعاد في هدى خير العباد، ج ١.
(٧) زاد المعاد جزء ١ تحويل القبلة.
(٨) السيرة الحلبية، ١٢٨/٢ ـ ١٢٩.
(٩) سورة البقرة: ١٤٤.
(١٠) السيرة الحلبية، ٢: ١٣٠ـ ١٣١.
(١١) السيرة الحلبية، ١٢٨/٢.
(١٢) الحج: ٣٩ ـ ٤٠.
(١٣) البقرة: ١٩٠.
(١٤) السيرة الحلبية، ٥٨/٢.
(١٥) مسند أحمد، ٤٨٦٩، ٥٤٠٩.
(١٦) صحيح البخاري كتاب الإيمان حديث رقم ٢٠، كتاب الجهاد حديث رقم ٢٧٢٧، صحيح مسلم كتاب الإيمان حديث رقم ٣٠ و ٣١.
(١٧) ابن هشام، ٥٩٥/٢.
(١٨) ابن هشام، ٥٩١/٢.
(١٩) المصدر السابق.
(٢٠) ابن هشام، ٧٠٦/٢.
(٢١) ابن هشام، ٦٦٢/٢.
(٢٢) السيرة الحلبية، ٧١/٣.
(٢٣) سنن الترمذي ١٥٨٦، سنن ابن ماجة ٢٧٨٩.
(٢٤) سنن ابن ماجة ٢٧٩٠.
(٢٥) آل عمران: ١٦٩.
(٢٦) مسند أحمد، ٢٢٦٧.
(٢٧) السيرة الحلبية، ١٦٢/٢.
(٢٨) السيرة الحلبية، ١٦٦/٢.
(٢٩) صحيح البخاري ٣٢٣ و ٤١٩، صحيح مسلم ٨١٠، مسند أحمد ٢٦٤٤، سنن النسائي ٤٢٩.
(٣٠) السيرة الحلبية، ١٩١/٢.
(٣١) التوبة: ٤٩.
(٣٢) السيرة الحلبية، ١٣٢/٣.
(٣٣) السيرة الحلبية، ١٤٨/٢.
(٣٤) زاد المعاد ٢١٦/٣.
(٣٥) السيرة الحلبية، ٢٨٠/٢.
(٣٦) المصدر السابق.
(٣٧) المصدر السابق.
(٣٨) سورة النساء: ٢٤.
(٣٩) زاد المعاد ١٢/٤ ـ ١٣
(٤٠) ابن هشام، ٣٤٦/٢.
(٤١) الكشاف ـ تفسير سورة الأنفال الآية ١.
(٤٢) سورة الأنفال: ١٠.
(٤٣) السيرة الحلبية، ١٨٤/٢.

(٤٤) السيرة الحلبية، ١٨٥/٢.
(٤٥) سورة الأنفال، ١٠.
(٤٦) زاد المعاد، ٢١٨/٣.
(٤٧) السيرة الحلبية ٣٠٤/١.

الارهاب فى السنة النبوية

الخدعة الكبرى الذي يرددها كثير من المسلمين حتى صدقوها من كثرة ترديديها أن الإسلام دين سلام. بل أنهم يقولون إن أصل كلمة " إسلام " هو " سلام " وليس تسليم.

والواقع أن الإرهاب مطلب شرعي إسلامي لا بد منه.

وحين نتأمل في حياة نبى الاسلام نجد أدلة على ذلك لا حصر لها نورد هنا بعضا منها:

أمرت أن أقاتل الناس

قال البخاري ومسلم وغيرهما: إن النبي (ص) قال إن الله أمره أن يُقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا فقد عصموا دمائهم وأموالهم إلا بحق الشهادتين، أن بما يستحق بناءا على هاتين الشهادتين من تكاليف. والنص كالتالي :

" أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدُوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويُؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابُهُم على الله"!.

نصرت بالرعب:

(ما نزل في الأساري والمغانم):

قال ابن إسحق: ثم عاتبه الله تعالى في الأساري، وأخذ المغانم، ولم يكن أحد قبله من الأنبياء يأكل مغنما من عدو له قال ابن إسحق: حدثني محمد أبو جعفر بن علي بن الحسين، قال: قال رسول الله: نصرت بالرعب، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأعطيت جوامع الكلم، وأحلت لي المغانم ولم تحلل لنبي كان قبلي، وأعطيت الشفاعة، خمس لم يؤتهن نبي قبلي.

(السيرة النبوية)

الخير كله في السيف:

(جاء في باب: فضل الجهاد):

عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم، عن عمر بن أبان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله (ص): الخير كله في السيف وتحت ظل السيف. ولا يقيم الناس

إلا السيف. والسيف مقاليد الجنة والنار. (صحيح الكافي من سلسلة صحاح الأحاديث عند الشيعة الإمامية للشيخ محمد الباقر البهبوي - الجزء الأول - الدار الإسلامية).

تخويف أهل مكة وبيان أنه أرسل لإرهابهم

فقد قال (ص): " يا معشر قريش أما والذي نفس مُحمد بيدهِ لقد جئتكم بالذبح" - أخرجه أحمد - وكان يشير الى عنقه كما في بعض الروايات فهو إرهاب لهم وبيان أنه أرسل ليذبحهم.

الدم الدم والهدم الهدم:

يخبرنا البيهقي أن هذا الوفد العظيم الذي يتكون من سبعين رجلا؛ ممثلين لأهل المدينة؛ لم يكن بينهم سوى ثلاثة نقباء من الأوس، وهم: أسيد بن حضير، وسعد بن خيثمة، وأبو الهيثم ابن التيهان، وأنه عندما انتهى النبي من كلامه، ووصل الى القول:" أبايعكم على أن تمنعوني مما منعتم منه أبناءكم ونساءكم"؛ تناول البراء ابن معرور - كبير القوم - يده وقال:" نعم والذي بعثك بالحق، نمنعك مما نمنع منه أرزنا؛ فبايعنا يا رسول الله، فنحن والله أهل الحرب والحلقة، ورثناها كابرا عن كابر"، وهنا اعترض أبو الهيثم ابن التيهان الأوسي الأمر؛ قائلا:" يا رسول الله إن بيننا وبين أقوام حبالا، وإنا قاطعوها؛ فهل عسيت إن أظهرك الله، أن ترجع الى قومك وتدعنا؛ فقال رسول الله " بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أسالم من سالمتم، وأحارب من حاربتم ... فأخذ البراء بن معرور بيد رسول الله فضرب عليها، وكان أول من بايع، وتتابع الناس فبايعوا"، ثم " أخذ عليهم العباس بن عبد المطلب المواثيق لرسول الله بالوفاء، وعظم العباس الذي بينهم وبين رسول الله وذكر أن أم عبد المطلب، سلمى بنت عمر بن زيد بن عدي بن النجار". وقبل أن ينصرفوا، أراد أهل الحرب والحلقة استعراض قدراتهم القتالية وفنونهم الحربية للنبي؛ فقال له ابن عبادة:" إن شئت لنميلن غدا على أهل منى بأسيافنا"، فأجّل النبي الإمالة بالسيف الى ما بعد الخروج من مكة بقوله:" لم نؤمر بعد". تاريخ الطبري ج٢، ص٣٦٥.

الأغتيالات بأمر الرسول

ونذكر منها: خبر اغتيال عبد الله بن أنيس لخالد بن سفيان بن نبيح الهذلي. وخبر اغتيال خمسة رجال من بني سلمة من الخزرج يقودهم عبد الله بن عتيك لسلام بن أبي الحقيق. وخبر ارسال النبي لعمرو بن امية الضمري وسلمة بن اسلم لقتل أبي سفيان بن حرب ولم يقدرا عليه فقتلا

عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي. وقد قال النبي لبياميين بن عمير بن كعب لقد آذانا ابن عمك يريد عمرو بن جحاش فجعل جعلا لرجل فقتله وقد أذن له النبي.

كتاب السيرة النبوية لإبن إسحاق يذخر بوقائع أمر محمد بقتل العديد من الناس .

محمد يبغي ضرب عنق عبد الله بن سعد بن أبي سرح:

(سبب أمر الرسول بقتل سعد وشفاعة عثمان فيه):

وإنما أمر رسول الله (ص) بقتله أنه قد كان أسلم، وكان يكتب لرسول الله الوحي، فإرتد مشركا راجعا الى قريش، ففر الى عثمان بن عفان، وكان أخاه للرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسول الله بعد أن إطمأن الناس، وأهل مكة، فاستأمن له: فزعموا أن رسول الله صمت طويلا، ثم قال: نعم؛ فلما انصرف عنه الأنصار: فهلا أو مات الى يا رسول الله؟ قال: إن النبي لا يقتل بالإشارة.

(السيرة النبوية)

قتل ابنة مروان نصر لله ورسوله: (بغرس سيف في صدرها وإخراجه من ظهرها وهي نائمة ورضيعها فى حضنها).

(خروج الخطمي لقتلها):

فقال رسول الله (ص) حبن بلغه ذلك، ألا أخذ لي من ابنة مروان؟ فسمع ذلك من قول رسول الله (ص) عمير بن عدي الخطمي، وهو عنده؛ فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها في بيتها فقتلها،

ثم أصبح مع رسول الله، فقال: يا رسول الله، إني قد قتلتها. فقال نصرت الله ورسوله يا عمير، فقال: هلى على شيء من شأنها يا رسول الله؟ فقال: لا ينتطح فيها عنزان.

(السيرة النبوية)

وقال فيه الرسول أيضا : إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا إلى عمير بن عدي - راجع الصارم المسلول في شاتم الرسول ص ٩٥ - ٩٦

باب: قتل كعب بن الأشرف:

عن جابر بن عبد الله قال رسول الله: من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله؟ فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله (أنا يا رسول الله) أتحب أن أقتله؟ قال نعم. قال: فأأذن لي أن أقول شيئاً (وهو استئذان من النبي بأن يتكلم كلاماً وحتى لو كان منافياً للإيمان وذلك لإظهار الكفر أمام كعب بن الأشرف). قال النبي: قل (فأذن له النبي بأن يقول ما شاء) صحيح البخاري ٥: ١١٥، باب كعب بن الأشرف. وأيضاً انظر أحكام القرآن لابن العربي المالكي ٢: ١٢٥٧ – الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ص٧٠ –٧١ – البخاري ٢٣٢٧ , وصحيح مسلم ١١٧٠ ولا يخفى أن ما طُلبه محمد بن مَسْلَمَة من الإذن إنما هو لأجل الحصول على ترخيص نبوي بالقول المخالف للشرع بغية الوصول إلى مصلحة إسلامية لا تتحقق إلاّ من هذا الطريق، فجاء الإذن النبوي بأن يقولوا ما يشاءون بهدف الوصول إلى تلك

الأشرف. وأيضاً انظر أحكام القرآن لابن العربي المالكي ٢: ١٢٥٧ – الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية ص٧٠ –٧١ – البخاري ٢٣٢٧ , ولا يخفى أن ما طُلبه محمد بن مَسْلَمَة من الإذن إنما هو لأجل الحصول على ترخيص نبوي بالقول المخالف للشرع بغية الوصول إلى مصلحة إسلامية لا تتحقق إلاّ من هذا الطريق، فجاء الإذن النبوي بأن يقولوا ما يشاءون بهدف الوصول إلى تلك المصلحة. ومنه يعلم صحة ما مر سابقاً بأن التقية كما قد تكون بدافع الإكراه، قد تكون أيضاً بغيره، كما لو كان الدافع إليها غاية ومصلحة.

محمد يقطع الأيدي والأرجل ويسمل الأعين:

(قتل البحليين وتنكيل الرسول بهم):

فلما صحوا وانطوت بطونهم، عدوا على راعي رسول الله (ص) يسار، فذبحوه وغرزوا الشوك في عينيه، واستاقوا اللقاح. فبعث رسول الله في آثارهم كرز بن جابر، فلحقهم، فأتى بهم رسول الله مرجعه من غزوة ذي قرد، فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم.

(السيرة النبوية)

الأعمى الذي قتل اليهودية:

روى الشعبي عن أن اليهودية كانت تشتم النبي وتقع فيه، فخنقها رجل حتى ماتت، فأطل رسول الله دمها (أي أهدره). هكذا رواه أبو داود في سننه وابن بطة في سننه. وهو من جملة ما استدل به الإمام

أحمد في رواية ابنه عبد الله – الصارم المسلول في شاتم الرسول لابن تيميه ص٦١ – ٦٦. وهذا ما جاء في رواية أخرى عن ابن عباس – أخرجه النسائي وأبو داود ٣٦٦٥.

- قال ابن تيمية في الصارم، ص٦٢: وهذا الحديث نص في جواز قتلها لأجل شتم النبي، ودليل على قتل الرجل الذمي، وقتل المسلم والمسلمة إذا سبا بطريق الأولى.

وعن أبي بكر الصديق أنه كتب إلى المهاجر بن أبي ربيعة في المرأة التي غنت بهجاء النبي: "لولا ما سبقتني فيها لأمرتك بقتلها، لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود، فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد أو معاهد فهو محارب غادر" – الصارم المسلول في شتم الرسول ٤١٨.

قتل اليهودي ابن أبي حقيق:

عن البراء بن عازب قال: بعث رسول الله إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار، وأمر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله، وكان في حصن له بأرض الحجاز .. قال عبد الله لأصحابه: أجلسوا مكانكم فإني منطلق .. فدخلت فكمنت .. وكان أبو رافع يسمر عنده، وكان في علية له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه .. قلت: أبا رافع، قال من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف .. ثم وضعت ضبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته .. – رواه البخاري في صحيحه ٤٠٣٩

- قال ابن حجر: "وفي هذا الحديث من الفوائد: جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصر، وقتل من أعان على رسول الله بيده أو ماله أو لسانه وجواز التجسس على أهل الحرب وتَطلُّب غرتهم، والأخذ بالشدة في محاربة المشركين، وجواز إبهام القول للمصلحة، وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين" – فتح الباري ٣٤٥/٧. وقد أخرجه البخاري في كتاب الجهاد "باب قتل النائم المشرك".

وفي هذه المسألة يقول الشيخ عبد الرحمن الدوسري عند ذكره لمراتب العبودية في تفسيره لقول الله تعالى: } *إياك نعبد وإياك نستعين* { .. فالعابد الصحيح لله لا يَعْتَوِرُه التسويف في هذا فضلاً عن تركه أو التساهل فيه، وأيضاً فالعابد لله المصمم على الجهاد في ذاته يكون منفذاً للغيلة في أئمة الكفر من

دعاة الإلحاد والإباحية وكل طاعن في وحي الله أو مسخر قلمه أو دعايتَه ضد الدين الحنيف لأن هذا مؤذٍ لله ورسوله. لا يجوز للمسلمين في بقاع الأرض من خصوص وعموم أن يدعوه على قيد الحياة، لأنه أضرُّ من ابن أبي الحُقَيقْ وغيره ممن ندب رسول الله إلى اغتيالهم فتَرْكُ اغتيال ورثتهم في هذا الزمان تعطيل لوصية المصطفى وإخلال فظيع بعبودية الله وسماح صارخ شنيع للمعاول الهدامة في دين الله .. وذلك نقصٌ عظيم في حب الله ورسوله وتعظيمهما – من صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم ١/٢٦٨. طبعة دار الأرقم ١٤٠٤هـ

- عن أبي هريرة قال: بعثنا رسول الله في بعث فقال: إن وجدتم فلاناً وفلاناً فاحرقوهما بالنار – صحيح البخاري ٣٠١٦.

قال شيخ الإسلام (ابن تيمية) في الصارم المسلول في شاتم الرسول: أمر الله قتال الطاعنين في الدين، وضمن لنا – إن فعلنا ذلك – أن يعذبهم بأيدينا ويخزيهم وينصرنا عليهم، ويشفي صدور المؤمنين الذين تأذوا من نقضهم وطعنهم وأن يذهب غيظ قلوبهم، .

النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط:

ومن ذلك أن النبي لما قفل من بدر راجعاً إلى المدينة قتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط، ولم يقتل من أساري بدر غيرهما، وقصتهما معروفة.

قال ابن إسحاق: وكان من الأساري عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث فلما كان رسول الله بالصفراء قتل النضر بن الحارث قتله علي بن أبي طالب كما أخبرت، ثم مضى رسول الله فلما كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبي معيط، قتله عاصم بن ثابت – وهكذا قال موسى بن عقبة – والواقدي.

وقد روى البزار عن ابن عباس أن عقبة بن أبي معيط نادى: يا معشر قريش مالي أقتل من بينكم صبراً؟ فقال النبي: بكفرك وافترائك على رسول الله. قال رسول الله: النار، قدمه يا عاصم فأضرب عنق عقبة ابن أبي معيط فقدمه عاصم فضرب عنقه، فقال رسول الله: بئس الرجل كنت – والله – ما

علمت كافراً بالله وبكتابه وبرسوله، مؤذياً لنبيه، فأحمد الله الذي هو قتلك وأقر عيني منك – راجـع: الصارم والمسلول في شاتم الرسول ١٤٣ – الترمذي ٢٦٨٦.

الحويرث بن نقيذ:

ومن ذلك أنه أمر يوم الفتح بقتل الحويرث بن نقيذ، وهو معروف عند أهل السير، قال: وأمـرهم رسول الله أن يكفوا أيديهم فلا يقاتلوا أحداً إلا من قاتلهم، وأمرهم بقتل أربعة نفر؛ منهم الحويرث بن نقيذ.

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله عهد إلى المسلمين في قتل نفر ونسوة، وقال: إن وجدتموهم تحت أستار الكعبة فاقتلوهم، وسماهم بأسمائهم ستة، وهم: عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعبـد الله بـن خطل، والحويرث بن نقيذ، ومقيس بن صبابة، ورجل من بني تيم بن غالب.

ابن الزبعري:

ومما لا خفاء فيه أن ابن الزبعرى إنما ذنبه أنه كان شديد العداوة لرسول الله بلسانه، فإنه كان مـن أشعر الناس، وكان يهجي شعراء الإسلام مثل حسان وكعب ابن مالك، ثم إن ابن الزبعرى فر إلـى نجران، ثم قدم على النبي تائباً مسلماً وله أشعار حسنة في التوبة والاعتذار، فأهدر دمه للسب.

ومن ذلك أن النبي كان يتوجه إلى قتل من يهجو، ويقول: من يكفيني عدوي؟ قال الأموي سعيد بن يحيى بن سعيد في مغازية : حدثنا أبي قال: أخبرني عبد الملك بن جريج عن عكرمة عن عبد الله بن عباس أن رجلاً من المشركين شتم رسول الله، فقال رسول الله: من يكفيني عدوي ؟ فقام الزبير بن العوام، فقال: أنا، فبارزه، فأعطاه رسول الله سلبه.

وروى أن رجلاً كان يسب النبي فقال: من يكفيني عدوي؟ فقال خالد: أنا، فبعثه النبي إليه، فقتله.

<u>مقتل ابن سنية اليهودي:</u>

روى بإسناده عن محيصة أن رسول الله قال: من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه، فوثب محيصة بن مسعود على ابن سنية رجل من تجار يهود كان يلابسهم ويبايعهم، فقتله.

<u>قصة ابن خطل وقتله وهو متعلق بأستار الكعبة:</u>

في الصحيحين من حديث الزهري عن أنس أن النبي دخل مكة عام الفتح، وعلى رأسه المغفر، فلما نزعه جاء رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة. فقال: اقتلوه. كما ذكره أيضاً الواقدي

<u>قصة جماعة أمر النبي بقتلهم حيثما وجدوا:</u> كان في السنة الثانية عشرة أن النبي أمر بقتل جماعة لأجل سبه، وقتل جماعة لأجل ذلك مع كفه وإمساكه عمن هو بمنزلتهم في كونه كافراً حربياً، فمن ذلك ما قدمناه عن سعيد بن المسيب أن النبي أمر يوم الفتح بقتل ابن الزبعرى وسعيد بن المسيب – الصارم المسلول في شاتم الرسول لابن تيمية.

وأيضاً عن قتل أنس بن زنيم الديلى – راجع الصارم المسلول في شاتم الرسول ص ١٠٦

<u>المهجر ابن أبي أمية:</u>

ذكر سيف بن عمر التميمي في كتاب الردة والفتوح عن شيوخه، قال: ورُفع إلى المهاجر – يعني المهاجر بن أبي أمية، وكان أميراً على اليمامة ونواحيها – امرأتان مغنيتان غنت إحداهما بشتم النبي، فقطع يدها، ونزع ثنيتيها، وغنت الأخرى بهجاء المسلمين، فقطع يدها، ونزع ثنيتها، فكتب إليه أبو

بكر: بلغني الذي سرت به في المرأة التي تغنت وزمزمت بشتم النبي، فلولا ما سبقتني لأمرتك بقتلها – راجع الصارم المسلول في شاتم الرسول ص ٤١

<u>أبو عفك اليهودي:</u>

ذكر أهل المغازي والسير قال الواقدي: أن شيخاً من بني عمرو بن عوف يقال له أبو عفك كـــان يحرض على عداوة النبي، فلما خرج رسول الله إلى بدر ظفره الله بما ظفره، ذكر قصيدة تتضـــمن هجاء النبي وذم من اتبعه، فقال سالم بن عمير: عليّ نذر أن أقتل أبا عفك أموت دونـــه .. فوضـــع السيف على كبده حتى خش في الفراش – راجع الصارم المسلول في شـــاتم الرســـول ص ١٠٥ – ١٠٦

<u>أم قرفة وغزوة زيد بن حارثة:</u>

أمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر أن يقتل أم قرفة فقتلها قتلاً عنيفاً؛ ثم قدموا على رسول الله بابنة أم قرفة وبابن مسعدة. حدثنا أحمد بن إسحاق بن بهلول: حدثنا أبي: حدثنا محمد بن عيسى عن الوليد بن

مسلم عن سعيد بن عبد العزيز أن أبا بكر قتل أم قرفة الفزارية في ردتها قتلة مثلـــة شـــد رجليهـــا بفرسين ثم صاح بهما فشقاها وأم ورقة الأنصارية كان رسول الله يسميها الشهيدة فلما كان في خلافة عمر قتلها غلامها وجاريتها فأتى بهما عمر بن الخطاب فقتلهما وصلبهما – راجع سيرة ابن هشام ١٤ ١٤١٧

إذن يتضح لنا وبشكل جلي مما تقدم أن من شتم الرسول أو عابه أو انتقص من قدره أو كذَّبه يُقتـــل وإن استتاب. هذا ما أجمع عليه أكثرية علماء الإسلام.

رغم هذا الإجماع الإسلامي والمتشدد في حكم من آذى الرسول، نُفاجأ أن شريعة الإسلام قد أباحـــت للمسلمين تجويزهم سب النبي في حال التقية (الذي لم يقع فيها إكراه) – راجع: فتـــاوى قاضـــيخان للفرغاني الحنفي ٥ : ٤٨٩ وما بعدها، مطبوع بهامش الفتاوى الهنديـــة، ط٤، دار إحيـــاء التـــراث العربي، بيروت.

قتل خالد بن سفيان الهُذَلي:

وكانت في السنة الرابعة وسببها أن النبي بلغه أن خالد بن سفيان الهُذلي يقيم بعُرنة وأنــه يجمــع الجموع لحرب المسلمين، فأمر رسول الله عبد الله بن أنيس بقتله. قال: واستأذنت رسول الله أن أقول (هو نفس ما فعله إذن محمد بن مسلمة) فأذن لي ثم قال لي: انتسب إلى خزاعة .. وهذا كذب ولكنــه مباح .. فلما انتهيت إليه قال: ممن الرجل؟ قلت: من خزاعة ... سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك (ففي هذا القول إظهار الموالاة). قال: أجل إني لأجمع له. قال عبد الله: فمشيت معــه وحدثتــه فاستحلى حديثي .. قال أبي سفيان إنه لم يلقَ أحد يشبهني .. وتفرق عنه أصحابه إلى منازل قريبــة منه وهم يطيقون به، فقال: هلم يا أخا خزاعة فدنوت منه .. فقال: اجلس .. قال عبد الله: فجلست معه حتى إذا مدَّ الناس وناموا اغتلته فقتلته وأخذت رأسه ثم خرجت .... قدمت المدينة وجدت رسول الله فلما رآني قال: أفلح الوجه .. قلت أفلح وجهك يا رسول الله ثم وضعت الرأس بين يديــه وأخبرتــه خبري. – راجع الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية.

ونظير هذا الحديث بالضبط ما رواه أحمد في مسنده، والطبري، وعبد الرزاق، وأبو يعلى، والطبراني وغيرهم من حديث الصحابي الحجاج بن علاط السلمي وقصته بعد فتح خيبر، إذ اســتأذن النبــي أن يذهب إلى مكة لجمع أمواله من مشركي قريش على أن يسمح له النبي بأن يقول شيئاً يسرّ المشركين، فأذن له النبي. انظر: مسند أحمد ٣: ٥٩٩ ــ ٦٠٠ حديث ١٢٠٠١ – والمعجم الكبير للطبراني ٣: ٢٢٠ | ٣١٩٦ – وتاريخ الطبري ٢: ١٣٩ في حوادث سنة ٧ هجرية – ومثله في الكامل لابن الأثير ٢: ٢٢٣ – والبداية والنهاية لابن كثير ٤ : ٢١٥ – والإصابة لابن حجر ١: ٣٢٧ – ومجمع الزوائد ٦: ١٥٥.

إذن من الممكن للمسلم إظهار موالاته الكاملة لغير السلم ولو وصل الأمر به إلــى إظهــار الشــرك والكفر وشتم النبي!

سؤال: أليس هذا هو النفاق والإرهاب بعينه؟

سيوف الرسول

فقد جاء عنه (ص): معه قضيب من حديد يقاتل به وذكرت صفته في التوراة. فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أنه يركب البعير ويلبس الشملة ويجتزئ بالكسرة وسيفه على عاتقه.

وكان النبي (ص) قدوة العرب في الإعتزاز بالسيف شهامة وجهادا وأداة للقتال في سبيل الحق. وتجمع كتب التاريخ كما يقول الفريق محمد حسن التهامي نائب رئيس الوزراء الأسبق في كتابه القيم (سيوف الرسول وعدة حربه) الذي يقع في ٤٨٣ صفحة من القطع الكبير على أن الرسول كانت له عدة سلاح وآلة حرب. فكانت له تسعة سيوف هي: المأثور والعضب وذو الفقار والبتار ورسوب والمخذم وقلعي وقضيب وحتف.

وهناك من الرماح المثنى والمثوى من الثوى وهو الإقامة لأن المطعون به يقيم في موضعه. ومن الدروع ذات القصل وذات الوشاح وذات الحواشي والسغدية وفضة والبتراء والخرنق والسغدية هي درع سيدنا داود. وقد أصابها النبي من بني قينقاع. وكانت البتراء على سيدنا الحسين رضي الله عنه يوم كربلاء. ومن التروس الزلوق وفتق. ومن القسى الزوراء والصفراء والروحاء والبيضاء. والكتوم وهي التي استخدمها (ص) يوم أحد. ومن الجعبة الكافور ومن الخوذ: الموشح وذات السبوغ، وأخيرا الفسطاط. واتخذ النبي القائد الرايات والألوية فكانت له العقاب وهي راية سوداء مربعة طولها ذراع وعرضها ذراع يتوسطها هلال أبيض. وهي أول راية للجهاد، وظلت منذ غزوة بدر راية الجيوش الإسلامية. وكان له لواء المدينة من قماش أبيض مكتوب عليه (لا إله إلا الله عليه الصلاة والسلام) لحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه.

المـأثور

ونحن هنا نستعرض مع الفريق محمد حسن التهامي سيوف النبي (ص) فهو يقول عن السيف المأثور إنه أول سيف ملكه النبي وورثه عن أبيه .. وهو السيف الذي كان يمتلكه عليه الصلاة والسلام في شبابه عند البعث وبقي معه في مكة المكرمة، وآثره على كل ما عداه من عدة ومتاع. فهاجر من مكة الى المدينة المنورة وبصحبته سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وقد سار النبي (ص) في موكب زفاف ابنته الزهراء شاهرا سيفه يحيط به بنو هاشم بسيوفهم كعادة العرب. ومن ثم فالأرجح أن يعلو في سماء الحفل للسيد الهاشمي (السيف المأثور). فالزوجان هاشميان، والمحتفلون هاشميون والسيف وراثة من هاشمي.

وبقي هذا السيف معه حتى انتقل مع عدة الحرب الى سيدنا علي بن أبي طالب بعد اختيار النبي للرفيق الأعلى. حيث أجمعت كتب التاريخ كلها على إيثاره (ص) لهذا السيف. ولم يعط لأحد من الصحابة ليقاتل به في المعارك كما حدث في بدر وأحد والخندق وما عداها من الغزوات. وبقي هذا السيف معروفا في التاريخ حتى يومنا هذا بسيف سيدنا رسول الله (ص) وهو مودع في اسطمبول في غرفة الأمانات المقدسة مع سيف ثان له .. ومن تشرف باستلال هذا السيف من غمده يجده

منقوشا على صفحته اسم صاحب السيف (عبد الله بن عبد المطلب) والد سيدنا رسول الله (ص).

ومما يروى أن الخلفاء العثمانيين كانوا يستلون هذا السيف من غمده قدر شبر. ثم يدعون الله تعالى بالنصر كلما خرج الجيش من جيوشهم للفتح أو للزود عن أرض الخلافة والأمة الإسلامية. كما كان الخليفة العثماني يتقلده عند توليه الخلافة وسط التكبير والتهليل والدعاء لله ولرسوله ولخليفة المؤمنين. وأول ما عرف هذا السيف كان في حرب الفجار في الجاهلية حيث حضرها النبي مع أعمامه وهو في سن الخامسة عشرة.

القضيب:

كان لرسول الله (ص) سيف يسمى (القضيب) وهو سيف دقيق يشير اسمه الى وصفه حيث القضيب يطلق على العصا. فكأنه كان يشبه العصا في خفته وسهولة حمله ومثله يكون سيفا للدفاع أو يصحبه المسافر في حله وترحاله. ولا يقدم للقتال تحسبا للسيف المضاد. هذه الأوصاف تتوافر في سيف محفوظ بمتحف (طوب قابو) منسوب الى سيدنا رسول الله ومرافقا للسيف المأثور. ومكتوب عليه على جانب النصل بالفضة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) محمد بن عبد الله بن عبد المطلب.

ولم يستدل في أي من المراجع التاريخية على استخدام هذا السيف في أية معركة من المعارك .. وهناك احتمال بقاء هذا السيف في بيت سيدنا رسول الله شأنه في ذلك شأن السيف المأثور والذي لم يرد أنه استخدم إلا مرة في عرس السيدة فاطمة المزهراء سيدة نساء العاملين علي الإمام علي كرم الله وجهه.. وذلك بعد البعثة.

العضب:

ومعناه السيف القاطع ثم جعل علما لأحد الأسياف النبوية .. وكانت لرسول الله ناقة تسمى (القضباء) لنجابتها وهذا السيف أرسل به سعد بن عبادة الأنصاري الى سيدنا رسول الله قبيل توجهه الى بدر .. وأجمع المؤرخون على أن سيدنا محمد (ص) تقلده في بدر ولبس درعه (ذات الفضول)

وعاد به من بدر بعد أن غنم (ذا الفقار) ثم خرج سيدنا محمد الى أحد ومعه العضب وذو الفقار.. فأعطى ذا الفقار لمولانا الإمام علي كرم الله وجهه ليقاتل به وبقى ذو الفقار مع سيدنا الإمام علي طيلة المعركة حتى عاد به الى المدينة المنورة.

والسيف العضب مهدى للرسول من سعد بن عبادة كما هو ثابت من الكتابة المنقوشة عليه (محمد رسول الله .. من سعد بن عبادة). وقد آل ميراثه الى سيدنا ومولانا الإمام الحسين رضي الله عنه، كما استقر به المطاف في مصر.

ذو الفقار:

ذو الفقار بكسر الفاء وفتحها .. وهو من أشهر سيوف النبي (ص)، ولم يفارقه وقد ورد في تسميته بهذا الإسم أنه كان في وسطه مثل فقار الظهر، وقيل سمي بذلك لأنه كان فيه حفر صغار، والفقر من السيوف ما فيه جزوز وسمي ذو الفقار لأنه ما ضرب به أمير المؤمنين أحدا إلا إفتقر في الدنيا من الحياة وفي الآخرة من الجنة.. ويروي أبو يعقوب أن طوله كان سبعة أشبار وعرضه شبر وفي وسطه كالفقار.

البتـار:

وهو سيف رسول الله (ص) الذي أخذه من يهود بني قينقاع عندما أجلاهم لخيانتهم ومحاولتهم الغدر به ونقضهم العهد النبوي الذي أخذه عليهم عندما هاجر الى المدينة. وهو سيف الأنبياء طوله ١٠١ سم عليه كتابات ورسوم آدمية تمثل سيدنا داود وقد قطع رأس جالوت ومضاف إلى هذا الرسم بعض كلمات نبطية وعربية تقول (داود وسليمان وموسى وهارون ويوشع وزكريا ويحيى وعيسى ومحمد عليهم السلام). هذه هي سيوف الرسول التي رفعها في وجه الباطل إظهارا للحق .. وهناك منها الكثير ولكننا اكتفينا بما ألقينا الضوء عليه.

هذا ما جاء عن أسلحة نبي الإسلام الذي قال عن نفسه أنه رحمة مهداة ويقول عنه القرآن قد بعث رحمة للعالمين.

حروب دولة الرسول

مشورة الأنصار

بقيادة النبي – عليه الصلاة والسلام – خرج المسلمون لضرب الأرستقراطية المكية اقتصاديا ، بقطع طريق الإيلاف الشامي ، على كبرى القوافل القافلة من الشام إلى مكة بقيادة أبي سفيان ، والتي أسهم فيها البيت الأموي بما ينوف على الأربعة أخماس .

وحتى وصول المسلمين إلى الصفراء ، لم يكن النبي قد علم بعد أيًّا من أخبار القافلة ، سوى إجراء حسابات تنبؤية لموعد عودتها من الشام ، قياسا على موعد مغادرتها مكة ، لهذا ، وبالتصرف البشري والممكنات الإنسانية ، أرسل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (بسبس بن عمرو الجهني) ومعه (عدي بن أبي الزغباء الجهني) ، يتحسسان له الأخبار ويتسقطان الأنباء عن قافلة أبي سفيان فأتاه الخبر أن أبا سفيان قد علم بدوره بخروج النبي وأصحابه إليه ، وأنه أرسل إلى قريش يستنفرها أموالها .

وكان الموقف الجديد دقيقا ، يحتاج إلى حكمة في المعالجة ، فقد تحول الأمر ، عن مواجهة ثلاثين فردا يحرسون القافلة ، إلى مواجهة عدد غفير من أهل مكة ، خرجوا ليمنعوا أموالهم من النهب ، وربما كان موقف المهاجرين محسوما ، بما يتأجج في صدورهم من ذكرى الهوان في مكة ، وخروجهم من ديارهم وأبنائهم إلى يثرب ، إلا أن وضع الأنصار كان يقتصر حتى الآن على حسن الضيافة ، وصدق الإيمان ، بينما الموقف الجديد يحتاج – ليس فقط – إلى عدد كبير من الرجال ، بل وإلى قدر كبير من الفدائية ، بينما الأنصار – فيما يروى ابن هشام – عندما بايعوه بالعقبة ، قالوا : يا رسول الله : إنا براء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا ، نمنعك مما نمنع منه آباءنا ونساءنا ، فكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره ، إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو يبعد من بلادهم .

وهنا قال النبي عليه الصلاة والسلام :

"أشيروا عليَّ أيها الناس ..."

فلما قال ذلك ، قال له سعد بن معاذ : "والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل ، قال : لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ... فسر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال :

سيروا وأبشروا ، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين – إما العير وإما قريش – والله ، لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم[١] .

وهكذا ، تحول اتفاق الأنصار مع النبي في العقبة الثانية إلى غايته المضمرة ، وأدرك الأنصار أنه قد آن أوان الإفصاح عن كامل بنود ذلك الحلف ، التي وعوها مبكرا في قولهم للنبي آنذاك : "إن شئت لنميلن غدا على أهل مني بأسيافنا ، فأجل النبي الإمالة بالسيف إلى فيما بعد ، وقد جاء أوان الما بعد ، الذي طور البنود المعلنة ، من ميثاق دفاعي لتسفر عن البند المرجأ الذي يجعل الميثاق حلفا هجوميا محاربا ، فتحولت عناصر الجماعة الإسلامية كلها ، مهاجرين وأنصار ، إلى دولة محاربة هجومية ، دولة عسكر ومغانم متكاملة مقاتلة ، كالقبيلة تماما ، وبذات منطقها ، لكن بعد أن تحول الولاء عن القبيلة وسلفها المعبود إلى الدولة ممثلة في رجال الحرب والدم والحلقة ، الذين تحولوا عن الإجارة إلى الإغارة .

وهنا نقطة التحول المادية الخطيرة ، التي لعبت دورا عظيما في جذب الأتباع من مستضعفي القبائل ومحاربيهم ، بعد أن ظل النبي في مكة ثلاثة عشر عاما يدعو دون إجابة العدد الكافي من المستضعفين إلى دعوته ، حيث كانت الدعوة تؤجل الوعد بالنعمة والرفاه إلى الآجل في رغد جنة الخلد ، وهو ما ظهر كما لو كان تأجيلا ميتافيزيقيا لحل قضيتهم ، وإرجاء رفع الشقاء المادي عن حياتهم الآنية ، في مجتمع تجاري مادي بحت ، ولهذا عندما تم الإعلان عن مغانم أحلها الله لرسوله والمؤمنين من أموال المشركين ، أصبح الحل حقيقة مادية دنيوية ملموسة ، ومكاسب عينية ماثلة أمام المستضعفين ، تدعوهم إلى دخول جيش الدولة الجديدة ، وهو الهدف الذي سيفصح عن نفسه عمليا في المكاسب التي ستحققها الغزوة البدرية لجماعة المسلمين ، لتحول حالهم الشظف إلى حال آخر ، وفي تحالف القبائل المحيطة بالمدينة مع القوة الإسلامية .

ولم يترك القائد شيئا للصدفة ، فأي خطأ – مع الفارق العددي – يمكن أن يؤدي إلى كارثة ، ومن ثم ، وقبل أن يصل بدرا ، امر رجاله فتوقفوا صامتين ، ثم ركب ومعه أبو بكر ليتسقط بنفسه أخبار عدوه ..

حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابه ، ما بلغه عنهم . فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : إذا أخبرتنا أخبرناك ، قال أذاك بذاك ؟ قال : نعم ، قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإذا كان الذي أخبرني صدقني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، المكان الذي به رجال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي فيه قريش ، فلما فرغ من خبره قال : ممن أنتما ؟

فقال رسول الله – عليه الصلاة والسلام - : نحن من ماء .

وفي الإمتاع أنه قال "نحن من ماء وأشار بيده إلى العراق" ثم يتفق رواة السيرة على رد الشيخ المندهش على نفسه – وهو يغمغم – "ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟!"[٢].

وينزعج الحلبي راوي السيرة من رد النبي – صلى الله عليه وسلم – ولا يدرك الحذر المفترض في قائد عسكري مقبل على معركة ، ولا يرى في ذلك القائد سوى الجانب النبوي المتعالي ، وأن للنبوة صفات تتناقض مع رد الرسول على الأعرابي ، فيقول في تساؤل استنكاري ، أو في استنكار متسائل :

وقد تقدم في أوائل الهجرة ، أنه لا ينبغي لنبي أن يكذب ، ولو صورة ، ومنه التورية .

ومن ثم يبحث الحلبي عما يطمئن قلبه ، فيكشف أنه لا بأس من كذب النبي ، ليس لضرورات يقتضيها الظرف الموضوعي ، ولكن لأنه وجد في كلام القاضي البيضاوي حديثا عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أن النبي إبراهيم سبق وكذب ثلاث كذبات[٣] ، ويقصد الحلبي هذا الحديث : "كذب إبراهيم ثلاث كذبات كلها في الله ، قوله : إني سقيم وقوله : فعله كبيرهم هذا ، وقوله للرجل الذي عرض لسارة : إنها أختي" ، وهنا يطمئن الحلبي ويكتفي بذلك تبريرا لنفسه وتطمينا لها ، إزاء رد قول النبي للشيخ الأعرابي ، ولم ير إطلاقا في ذلك الرد ، غرضا عسكريا وحذرا مباحا ، يصرف البدوي عن معرفة قائد المسلمين ، ويشككه في معلوماته عن موقع الجيش الإسلامي ، ويصرفه عن تقصي أمرهم ، احتياطا لسرية وأمان مسيره .

كان الوحي يتحول بالأمر من الصبر الجميل ، والدفاع الهادئ إلى الهجوم والقتال بعد أن أتى الله بأمره :

"يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون" (الأنفال ٦٥) ... عن عبد الله بن عباس قال : لما نزلت هذه الآية اشتد على المسلمين ، وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين ، ومائة ألفا ، فخفف الله عليهم ، فنسخها بالآية الأخرى : "الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين" (الأنفال ٦٦)[٤] .

ولو أخذنا الأمر بظاهره ، لكان المعنى أن الله جل وعلا لم يكن يعلم بضعف المسلمين ، ثم علمه متأخرا (الآن ... علم أن فيكم ضعفا) ، وحاشا لله أن يقصر علمه عما يليق بكماله ، ومن ثم لا يكون هناك معنى لنسخ الآية الأولى بالثانية ، سوى تفاعل الوحي الكريم مع ظرف الواقع ، حيث تتناسب الآية الأولى مع خبر أول بعدد أفراد قريش ، وهو ما كان يعادل عشرة إلى واحد بالنسبة إلى عدد المسلمين ، بينما تتناسب الآية الثانية مع الخبر التالي الذي جاء يحمل نسبة أخرى هي اثنين إلى واحد ، وهو ما يطابق العدد المقبول لقريش بالنسبة لعدد المسلمين ، بعد انحزال بنو زهرة عنها بثلث الناس ، وكذب سراقة بن مالك أو إبليس بشأن مجئ كنانة مع قريش ، فكان النسخ ، وجاء صدق الوحي مطابقا للواقع ، وإعلاما للمسلمين المحاربين بعدد عدوهم النهائي .

وإعمالا لكل ما تم الحصول عليه من معلومات استخبارية ، تقرر أن يسبق المسلمون قريشا إلى بدر ، فيروى ابن كثير :

فخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يبادرهم إلى الماء ، حتى جاء أدنى ماء من بدر فنزل به ... فذكروا أن الحباب بن المنذر بن الجموح – محارب أنصاري – قال : يا رسول الله ؛ أرأيت هذا المنزل ؛ أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، قال يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فامض حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغور ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضا ونملؤه ماء ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : لقد أشرت بالرأي[٥] .

وهنا يأتي خبر السماء مصدّقا على الخطة البشرية ومشورة الأنصار ، ورجلهم المقاتل (الحباب) المشهود له بالدربة والحنكة والخبرة القتالية ، فيأتي جبريل إلى أخيه المصطفى – عليهما السلام – ليقول :

يا محمد ؛
ربك يقرأ عليك السلام ، ويقول لك :
إن الرأي ما أشار به الحباب[٦] .

وحتى نتمكن من وضع تصور لخريطة المواقع في بدر ، وموقع كل من الطرفين فيها ، نقف مع القائد وموقعه بين أتباعه المسلمين ، وهو ما أوضحه قول سعد بن معاذ له :

"يا نبي الله ؛ ألا نبني لك عريشا تكون فيه ، ونعد عنك ركائبك ، حتى نلقي عدونا ، فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى ، جلست على ركائبك ، فلحقت بمن وراءنا من قومنا ... فأثنى عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – خيرا ، ودعا له بخير ، ثم بنى للرسول عريشا كان فيه"(٧) .

وتتفق كل كتب السير على موقع ذلك العريش ، بأنه كان "فوق تل مشرف على المعركة" ، وبعد بناء العريش ، دخل إليه النبي ومعه أبو بكر ، واتفق على أن تحيطه حراسة من الأنصار بقيادة سعد بن معاذ .

خوفا عليه من أن يدهمه العدو من المشركين ، والجنائب النجائب مهيأة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن احتاج ركبها ورجع إلى المدينة(٨) .

ومرة أخرى وليست أخيرة نجد الإعداد الجيد ، والتخطيط البشري ، والحرص على حماية صاحب الدعوة والحفاظ على حياته ، بإيقاف الحراس عليه في تل بعيد عن متناول المشركين ، تحت حراسة مسلحة من رجال الحرب اليثاربة ، وركائبه معدة للعودة السريعة إلى يثرب إن حدثت الهزيمة ، هذا رغم حراسة السماء ، لحبيبها ورغم الوعد الإلهي بالمدد العلوي من مقاتلي الملائكة المقدمين .

وقد جاء الوعد بالملائكة ، دافعا لمزيد من الطمأنينة لصحابة الرسول الأمين ، ومدعاة لهدوئهم النفسي والعصبي ، وإخلادهم للنوم في ظل تلك الحراسة السماوية ، لأخذ قسط مناسب من الراحة ، انتظارا لوصول قريش في الغد عطشى مجهدة متعبة ، وهو ما وعته كتب الأخبار والسير ، وساقته على عجالة تقول :

وبشرهم النبي – صلى الله عليه وسلم – بنزول الملائكة ، فحصل لهم الطمأنينة والسكون ، وقد حصل لهم النعاس الذي هو دليل الطمأنينة(٩) .

وعند الصباح ، عدل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – صفوف رجاله ، وألويتهم ، ثم دخل عريشه يناجي ربه :

اللهم إن تَهلِك هذه العصابة اليوم ، لا تعبد بعد في الأرض أبداً(١٠) .

ثم عاد فخرج إلى رجاله يحرضهم على القتال مناديا :

والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل ، فيقتل صابرا محتسبا إلا دخل الجنة ..

فقال عوف بن الحارث : يا رسول الله ؛ ما يضحك الرب من عبده ، قال : غمسة يده في العدو حاسرا(١١) .

أما الجزاء الدنيوي لمن سيبقى حيا ، فهو ما جاء في نداء آخر ، يمنح المقاتلين ما يحصلون عليه من غنائم ، ومن فداء أسراهم :

من قتل قتيلا فله سلبه ، ومن أسر أسيرا فهو له(١٢) .

أحداث في بدر الكبرى

وبينما المسلمون يسحبون قتلى المشركين إلى القليب ، وقف (أبو حذيفة بن عتبة) يتطلع إلى أبيه وهم يجرجرونه ، وهو من سبق واحتج قبل الوقعة على أمر النبي بعدم قتل بني هاشم ، حيث قال :

أنقتل آباءنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس ؟ والله لئن لقيته لألحمنه السيف ، فبلغت مقالته رسول الله – عليه الصلاة والسلام – فقال لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص ، أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف ؟ فقال عمر : يا

رسول الله ائذن لي فأضرب عنقه ، فوالله لقد نافق ، فكان أبو حذيفة يقول : والله ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت[١٣] .

ويروي ابن هشام مستكملا المشهد :
وأخذ عتبة بن ربيعة فسُحب إلى القليب ، فنظر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في وجه أبي حذيفة بن عتبة ، فإذا هو كئيب قد تغير ، فقال : يا أبا حذيفة ، لعلك قد دخلك في شأن أبيك شئ؟ فقال : لا والله يا رسول الله ، ما شككت في أبي ولا في مصرعه ، ولكنني كنت أعرف من أبى رأيا وحلما وفضلا ، فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام[١٤] .

أما النبي الذي أجمعت الروايات الصادقة على أنه كان بعريشه فوق التل طول المعركة ، يدعو ربه ويصلي طالبا الأزر والنصرة ، فإن روايات أخرى تضعه في مقدمة الصفوف محاربا ، فيما نسب إلى (حارثة بن مضرب) وهو يقول :

لما كان يوم بدر ، اتقينا المشركين برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكان أشد الناس بأسا .

وهو ما أخرجه (الإمام أحمد) في مسنده (١/ ٢١٦) ، وحدثنا إسرائيل بنحوه ، وزاد :

ما كان أحد أقرب إلى المشركين منه[١٥] .

وعن قتادة بن النعمان يروى أنه أصيبت عينه يوم بدر ، فسالت حدقته على وجنته ، فأرادوا أن يقطعوها ، فسألوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : لا ، فدعاه ، فغمز حدقته براحته ، فكان لا يدري أي عينيه أصيب ، وفي رواية : فكانت أحسن عينيه ... وعن رافع بن مالك : رُميت يوم بدر بسهم ، ففقئت عيني ، فبصق فيها رسول الله ودعا لي ، فما آذاني منها شئ[١٦] .

ويروى أن خبيب بن عدي ضرب يوم بدر ، فمال شقه ، فتفل عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولأمه ورده ، فانطبق ، ثم يتقدم صاحب دلائل النبوة بمجموعة من الروايات يراها من تلك الدلائل ، ومنها "وعكاشة بن محصن قاتل بسيفه يوم بدر حتى انقطع في يده ، فأتى رسول الله فأعطاه جذلا من حطب وقال : قاتل بها يا عكاشة ، فلما أخذه من يد رسول الله هزه فعاد سيفا ، طويل القامة ، شديد المتن ، أبيض الحديدة ، فقاتل به حتى فتح الله تعالى على رسول الله ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد ... وكان ذلك السيف يسمى القوي ... وانكسر سيف سلمة ابن أسلم بن حريش يوم بدر ، فبقي أعزل لا سلاح معه ، فأعطاه رسول الله قضيبا كان في يده ، من عراجين بن طاب ، فقال : اضرب به ، فإذا هو سيف جيد ، فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيدة"[١٧] .

وهكذا احتشدت كتب السير والأخبار بالمزايدات ، والروايات التي تنزع نحو الأسطورة ، بمجرد أن فتح لها الباب ، وبات بالإمكان سلخ أي حدث عن واقعه ، ونقله إلى مستوى آخر ، يكسر الواقع ويدعم الأسطورة بالشهادات ، وهو ما تمثل في قصة حدثت عند بدء وقعة بدر ، عندما أمسك النبي عليه الصلاة والسلام بحفنة من الحصباء ، ورمى بها قريشا ثم قال : شُدُّوا .

ولأن إلقاء الحصباء على العدو لا يحمل أية دلالة عسكرية بعينها ، ولأن ذلك التصرف النبوي لا بد له معنى محدد يؤدي دوره في المعركة ، فقد انتقلت المزايدة بإلقاء الحصباء إلى المستوى السحري ، لتؤدي دورا عسكريا كاملا ، وكثيرا ما وردت تلك المزايدات على لسان مشركين أسلموا متأخرين ، ومنهم الطلقاء الذين أرادوا التحبب للإسلام والمسلمين ونبي الإسلام ، ببعض المجاملات والملاطفات ، ومنهم المؤلفة قلوبهم بالطبع الذين أرادوا أن يردوا التحية بأحسن منها ، ومن تلك المزايدات رواية تقول : "سمعت نوفل بن معاوية الديلي يقول : انهزمنا يوم بدر ، ونحن نسمع صوتا كوقع الحصى في الطاس في أفئدتنا ، ومن خلفنا ، فكان ذلك من أشد الرعب علينا"[١٨] .

ومثله قول حكيم بن حزام : "التقينا فاقتتلنا ، فسمعت صوتا وقع من السماء إلى الأرض ، مثل وقع الحصى في الطست ، وقبض النبي القبضة فرمى بها ، فانهزمنا ، ... وسمعنا صوتا من السماء وقع إلى الأرض كأنه صوت حصاة في طست ، فرمى رسول الله تلك الحصاة يوم بدر ، فما بقي منا أحد"[١٩] .

الحصوات هنا لم تعد قبضة من حصى تل بدر ، إنما حصوات سماوية تقوم بفعل عسكري ، لكنه إعجازي ، ما أن رمى بها النبي المشركين حتى قتلهم جميعا ، أما دور تلك الحصى كإحدى أدوات الجيش الإسلامي ، بل وأكثر الأدوات فاعلية ، فهو ما توضحه رواية لا تخرج عن الاعتقاد في الأثر السحري للفعل النبوي ، فتقول : "لم يبق من المشركين رجل إلا ملأت عينيه"[٢٠] .

وإذا كان يوم بدر ، هو يوم هبوط الملأ الأعلى من الملائكة على خيولها ، تحمل سيوفها ، فلا بأس على مؤمن إن زاد فقال : "ويقال : إنه كان مع المسلمين يوم بدر من مؤمني الجن سبعون" ، وحتى يحبك الراوي روايته التي تفرد بها يستدرك قائلا : "لكن لم يثبت أنهم قاتلوا ، فكانوا مجرد مدد"[٢١] .

ملائكة بدر

في أول مشهد تقدمه كتب السير لمقدم الملأ السماوي إلى بدر ، يروي ابن إسحق :

وقد خفق رسول الله خفقة وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع[٢٢] .

وفي رواية أخرى ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -:

أبشر يا أبا بكر ، هذا جبريل معتجر بعمامة صفراء ، آخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض ، فلما نزل إلى الأرض تغيب عني ساعة ، ثم طلع على ثنايا النقع يقول : أتاك نصر الله إذ دعوته[٢٣] .

ثم تتوالى الروايات ، عن بعض رجال من بني مازن لا نعرف من هم تحديدا ، عن أبي داود المازني ، أنه قال : إني لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه ، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفت أنه قد قتله غيري[٢٤] .

فهذا رجل يقتل في المعمعة ، وسط سيوف عديدة متشابكة ورماح تطير ونبال تئز وغبار وسنابك خيول ، ورؤوس تغطيها الخوذ ، وأجساد مدرعة بالدروع ، ويقول المازني أن غيره قد قتل القتيل ، لكن هذا الغير القاتل بمجهوليته في المعمعة يتم التقاطه ليصبح أحد الملائكة ، ليؤكده قول أبي إمامة لولده :

يا بنيّ لقد رأيتنا يوم بدر ، وإن أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك ، فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف[٢٦] .

وتتتالى الروايات التي عادة ما يشار إلى روايتها بالقول : قال رجل كذا وكذا ، أو عن رجل من بني كذا ، ومثلها قول ابن عباس :

بينما رجل من المسلمين يومئذ ، يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه ، وصوت الفارس يقول : أقدم حيزوم (وحيزوم هو فرس الملاك جبريل) ، إذ نظر المشرك أمامه فخر مستلقيا ، فنظرنا إليه فإذا هو خطم من أنفه ، وشق وجهه كضربة السوط ، فاخضر ذلك جميعا ، فجاء الأنصاري فحدث ذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : صدقت ، ذلك مدد من السماء الثالثة[٢٦] .

ويروي بعض بني ساعدة ، عن أسيد مالك بن ربيعة ، بعد أن ذهب بصره ، "لو كنت اليوم معي ببدر ومعي بصرى ، لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة ، لا أشك في ولا أتمارى"[٢٧] . وهكذا ، فالرجل الوحيد الذي رأى الملائكة رؤى العين ، ورأى الشعب الذي انسلت منه صفوفهم إلى جبال بدر ووواديه ، قد ذهب بصره ، حتى لا يتمكن من تحديد المكان ، ويظل القص هلاميا ، وقفا على رواية عن بعض بني ساعدة .

ومثل تلك الروايات ، روايات أخرى ، منها رواية أبي بردة بن نيار حيث قال : "جئت يوم بدر بثلاثة رؤوس ، فوضعتها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله : أما رأسان فقتلتهما ، أما الثالث فإني رأيت رجلا أبيض طويلا ضربه ، فأخذت رأسه ، فقال رسول الله : ذاك فلان من الملائكة"[٢٨] . أما عن أبي جهل الذي بات معلوما عدد من اشتركوا في قتله بالاسم ، فإن هناك من روى عن النبي قوله : "قتله ابنا عفراء والملائكة ، وابن مسعود قد شرك في قتله"[٢٩] .

هذا ناهيك عن روايات أخرى مجهولة المصدر ، مثل رواية ابن عباس إذ قال :

حدثني رجل من بني غفار ، قال : أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف على بدر ، ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة ، فننهب مع من ينتهب ، قال : فبينا نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة ، فسمعنا فيها حمحمة الخيل ، فسمعت قائلا يقول : أقدم حيزوم ، قال : فأما ابن عمي فانقشع قناع قلبه فمات مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت[٣٠] .

أما المشركون (والرواة أسلموا بعد ذلك عند الفتح) ، فوجد بعضهم – فيما يبدو – في هبوط الملائكة ، تبريرا لهزيمتهم المخجلة أمام المسلمين ، فحاك بعضهم على ذات النول ، فهذا المغيرة ابن الحارث يذكر أنه كان قال زمن بدر ، لأبي لهب "وأيم الله ما لمت الناس ، لقينا رجالا بيضا على خيل بلق ، بين السماء والأرض ، والله ما تليق شيئا ، ولا يقوم لها شئ"[٣١] .

وهكذا تقدم الطلقاء بدلائهم إلى مائدة المزايدات ، ومنها رواية ابن حجر في الإصابة (٢/٩) ، عن السائب بن أبي حبيش الذي أسم يوم الفتح الإسلامي لمكة ، ونال من الرسول نصيبه من الأعطيات ، ثلاثين وسقا في خيبر ، فكان يحدث الناس زمن عمر بن الخطاب عندما قرر عمر قطع أنصبة المؤلفة قلوبهم عنهم ، بقوله :

والله ما أسرني أحد من الناس ، فيقال : فمن ؟ فيقول : لما انهزمت قريش انهزمت معها ، فأدركني رجل طويل على فرس أبيض بين السماء والأرض ، فأوثقني رباطا ، وجاء عبد الرحمن بن عوف فوجدني مربوطا ، وكان عبد الرحمن ينادي في العسكر : من أسر هذا ؟ فليس أحد يزعم أنه أسرني ، حتى انتهى بي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال رسول الله : يا ابن أبي حبيش ، من أسرك ؟ فقلت : لا أعرفه ، وكرهت أن أخبره بالذي رأيت ، فقال رسول الله : أسرك ملك من الملائكة ، اذهب يا ابن عوف بأسيرك فذهب بي عبد الرحمن بن عوف ، فقال السائب : ما زلت تلك الكلمات أحفظها ، وتأخر إسلامي ، حتى كان من أمري ما كان .

أما البيهقي ، فيعقب على رواية السائب بقوله الكاشف :

ولا أعلمه روى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – شيئا[٣٢] .

ثم يجد المطالع لسيرة ابن هشام ، كشفا رصده (ابن هشام) راوى السيرة عبر عدد من الصفحات على استطالتها ، بأسماء قتلى قريش في بدر ، وأسماء الذين قتلوهم من المسلمين ، كل قتيل ، وكل قاتل ، دون إسقاط لاسم مقتول أو لاسم قاتل من الطرفين[٣٣] .

وربما كانت مثل تلك المزايدات التي أوردناها ، مدعاة لتهكم رجل ملحد مثل ابن الراوندي ، وهو يتساءل :

من هؤلاء الملائكة الذين أنزلهم الله يوم بدر لنصرة نبيه ؟ إنهم كانوا مفلولي الشوكة قليلي البطش ، فإنهم على كثرتهم واجتماع أيديهم وأيدي المسلمين معهم ، لم يقتلوا أكثر من سبعين رجلا ؟ وأين كانت الملائكة يوم أحد حين توارى النبي بين القتلى ولم ينصره أحد؟[٣٤] .

وإذا كنا نورد كلام ذلك الملحد ، فلكي نرى إلى أي حد يمكن أن تبلبل تلك الروايات الفؤاد ، ولا شك أن موقفه كملحد مرفوض بالقطع من جانبنا ، لكنا ربما تساءلنا تساؤلا مشروعا من مسلم يريد الاطمئنان لطوية فؤاده ، حرصا على صيانة إيمانه ونقائه ، مع تساؤل من سأل (أبي الحسن السبكي) ، وهو يقول :

سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي ببدر ، مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه ، فأجبت : وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي وأصحابه ... وكان يكفي ملك واحد ، فقد أهلكت مدائن قوم لوط بريشة من جناح جبريل ، وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة[٣٥] .

أما الأهم برأينا في خبر الملائكة ، فهو أن إعلام النبي للمسلمين قبل القتال بالمدد السماوي ، كان كفيلا بتقوية روحهم المعنوية ، وإنزال السكينة على قلوبهم ، وهو ما أدى بالفعل إلى نومهم ليلة القتال نوما أخذوا به راحتهم ، استعدادا لاستقبال قريش في الصباح ، كما كان وجود الملائكة – في حالة أخرى – حلا مثاليا لمشكلة توزيع الأنفال ، عندما اختلف المسلمون حول أنصبتهم في أنفال بدر ، فنزعت من أيديهم ووضعت بيد رسول الله – عليه الصلاة والسلام – ليقرر ما يراه لشأنها ، باعتبار الله وملائكته هم أصحاب ذلك النصر ، وهو ما قالت بشأنه الآيات :

"يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم" (الأنفال ١) .

وهي الآيات التي كان سببها ما يرويه أبو إمامة الباهلي :

سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال : فينا أصحاب بدر نزلت ، حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا ، فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسوله ، فقسمه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين المسلمين عن بواء ، أي على السواء[٣٦] .

والعجيب بشأن ما روي عن الملائكة البدريين ، قصصا أخرى ، كان واضحا أن أصحابها لم يجدوا أية دلائل ظاهرة يمكن تأويلها ونسبتها إلى الملائكة ، فالتقطت نمل الوادي الذي ربما سال من جحوره بفعل المعركة ، وما سكب من ماء القلب المغورة ، لترى في ذلك النمل ملائكة السماء ، وهو ما جاء في قول جبير بن مطعم ، "رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون ، مثل البجاد الأسود أقبل من السماء مثل النمل الأسود ، فلم أشك أنها الملائكة ، فلم يكن إلا هزيمة القوم ... وعن حكيم ابن حزام قال : لقد رأيتنا يوم بدر وقد وقع بوادي خلص بجاد من السماء قد سد الأفق ، وإذا الوادي يسيل نملا ، فوقع في نفسي أن هذا شئ من السماء أُيّد به محمد – عليه الصلاة والسلام – فما كانت إلا الهزيمة ، وهي الملائكة" . لكن الملاحظ هنا أن الرواية خرجت بنمل الوادي إلى فضاء الأسطورة ، لتضع جملة تقول : إنه نمل سماوي ، سقط من السماء على الأرض .

والحاسم في أمر تلك الروايات جميعا ، والذي يضع أمر الملائكة في موضعه الصحيح ، ولا يسمح بسلب الرواة للعقلانية المعهودة عن دين الإسلام ، فهو ما جاء بين الروايات هادئا رصينا يقول :

لولا أن الله تعالى حال بيننا وبين الملائكة التي نزلت يوم بدر ، لمات أهل الأرض خوفا من شدة صعقاتهم وارتفاع أصواتهم[٣٧] .

أما القاطع في المسألة فهو:
أن الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه ... وكان الملك يتصور في صورة من يعرفون[٣٨] .

تخميس الغنائم

تخميس الغنائم يعود إلى أمر الوحي :

"واعلموا أنما غنمتم من شئ فإن لله خمسه وللرسول" (الأنفال ٤١) .

وهي الحصة التي سبق واشترعها لأول مرة ، ابن عمة الرسول (عبد الله بن جحش) في سريته إلى نخلة ، والتي خرق فيها الأشهر الحرم ، واستولى على مغانم القافلة ، وكانت أول غنم للمسلمين ، ثم قال لرفاقه :

إن لرسول الله مما غنمناه الخمس ، ثم فرق الباقي بينه وبين أصحابه . وهو ما جاء الوحي بعد ذلك مصدقا عليه في الآية السالفة[٣٩] .

قتال اليهود

من الجدير بالذكر أنه في زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان ، ذكر قتل (كعب بن الأشرف) عنده ، فقال (ابن يامين) وكان يهوديا أسلم في غزو النبي للنضير : لقد كان قتله غدرا ، وسكت معاوية ولم يعقب كما لو كان راضيا عما يقال ، أو سامعا للقصة كما تروى بموضوعية لا مجال فيها للمجاملة ، وكان (محمد بن مسلمة) قاتل (كعب) حاضرا رواية (ابن يامين) لمعاوية ، فنهض ثائرا يقول : يا معاوية ، أيُغدر عندك رسول الله ثم لا تنكر ، والله لا يظلني وإياك سقف بيت أبدا ، ولا يخلو لي دم هذا إلا قتلته .

وبعد مقتل (كعب) ، وعودة الرجال ، قام النبي ينادي ورجع الصدى منه يسري مجلجلا :

من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه .

ومن ثم يروي ابن هشام :

فوثب محيصة بن مسعود من الخزرج ، على ابن سنينة ، رجل من تجار يهود ، كان يلابسهم ويبايعهم ، فقتله ، وكان حويصة بن مسعود (أخو محيصة) إذ ذاك لم يسلم ، وكان أسن من محيصة ، فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أي عدو الله قتلته ، أما والله لرب شحم في بطنك من ماله ، قال محيصة : والله لقد أمرني بقتله ، من لو أمرني بقتلك ، لضربت عنقك ، قال : أو الله لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني ؟ قال نعم ... فأسلم حويصة[٤١] .

وعليه ؛ آذن فجر الأيام البدرية ، بمغرب مرحلة آن غروبها ، وأخذت آيات القرآن تتتالى تحمل روح السياسة الجديدة ، تنسخ ما قد سلف من آيات المرحلة السابقة ، بآيات تنبئ بما هو آت ، توطئة لخلاص يثرب الكامل لسادتها الجدد .

نعم ، قالت الآيات في المرحلة السابقة يقينا :

- **"إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون" (البقرة ٦٢) .**
- **"وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله" (المائدة ٤٣) .**
- **"إنا أنزلنا التوراة فيهما هدى ونور" (المائدة ٤٤) .**

لكن السياسة الجديدة ، جاءت بقرارات جديدة وحاسمة تقول :

- **"إن الدين عند الله الإسلام" (آل عمران ١٩) .**
- **"أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها" (آل عمران ٨٣) .**
- **"ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه" (آل عمران ٨٥) .**

وهي السياسة التي ابتغت انضواء اليهود الكامل ، السياسي ، والعقدي ، بحيث لا يكونون أحلافا على ذات القدر من الندية السياسية والدينية ، أو العمل على إجلائهم عن يثرب ، أو استئصال شأفتهم ، وهو الأمر الذي سيتم تحقيقه بإصرار ودون هوادة ، والذي كان سببه الوضع الخاص لليهود كأصحاب كتاب سماوي ، ودستور عقدي ، وهو ما جعلهم المنكر السماوي الحي لنبوة النبي العربي ، وهو ما كان يشكل خطرا دائما وحقيقيا على الدولة وأيديولوجيتها .

غزوة قينقاع

عن ابن عباس قال :

لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر ، فقدم المدينة ، جمع يهود في سوق قينقاع فقال : يا معشر اليهود ، أسلموا قبل أن يصيبكم بمثل ما أصاب قريشا[٤٢] .

فكان رد قينقاع المتحدى :

يا محمد إنك ترانا كقومك ؟ لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس[٤٣] .

وهنا يعلن الواقدي ما كان مقدور الحدوث في باطن الأيام بقوله : فحاصرهم رسول الله خمس عشرة ليلة ، لا يطلع فيهم أحد ، ثم نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتفوا وهو يريد قتلهم[٤٤] .

ويتقدم رواة السير المسلمون بتقديم التبرير الذي رأوه مناسبا لنقض الصحيفة ، والسير إلى قينقاع وأسرهم ، بحكاية عن امرأة عربية ، ذهبت تبتضع في سوق قينقاع ، فتلاعب بها شباب اليهود ، بأن ربطوا ثوبها بظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها فضحكوا منها ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله ، فشد اليهود على المسلم فقتلوه[٤٥] .

ومثل تلك القصة التبريرية واضحة الضعف والوهن ، فالمرأة العربية التي سببت تلك الوقعة الهامة في تاريخ الدولة الإسلامية ، لا ذكر لاسمها ، ولا لقبيلتها ، ولا ما إذا كانت مسلمة أم لا ؟ ولا نعرف اسم الصائغ اليهودي ، ولا من هؤلاء الذين تلاعبوا بها ، بل والأخطر لا نعلم اسم ذلك المسلم الذي استشهد وهو يدافع عن المرأة ، ولا إلى أي قبيلة ينتمي ، ولم تزعم قبيلة أنه قد حدث مثل ذلك لأحد من رجالها ، وهو الأمر الذي يخالف ما ألفناه مع المتفق عليه بكتب الأخبار والسير ، والقصة بكاملها – في رأينا – مختلقة ، صيغت على مثال نموذج قديم حدث زمن حرب الفجار الأولى وكان سببا لها ، وقد لاحظ الحلبي راوي السيرة ذلك التشابه بين الحادثتين ، فتطوع بتذكير القارئ الفطن بقوله : "وقد تقدم وقوع مثل ذلك وأنه كان سببا لوقوع حرب الفجار الأولى"[٤٦] .

وربما وافقنا قارئ حصيف في رفضنا للقصة أعلاه ، إذا ما أحطناه علما بالتبرير الحقيقي لما حدث ، وهو ما جاء مرويا عن الزهري عن عروة :

نزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية : "وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين" (الأنفال ٥٨) . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أخاف من بني قينقاع فسار إليهم ، ولواؤه بيد حمزة[٤٧] .

ولما كان يهود قينقاع ، حلفاء للخزرج وسيدهم عبد الله بن أبي بن سلول ، فقد قام عبد الله وهو يرى حلفاءه يساقون إلى الذبح مكتفين ، بعد أن استسلموا ، ليخاطب النبي ويقول : يا محمد أحسن في مواليّ ، فلم يرد عليه النبي ، فقام يكرر ، يا محمد أحسن في مواليّ ، ومرة أخرى يعرض عنه النبي ، فيأخذ الغضب بعبد الله حتى يدخل يده في جيب درع الرسول يمسكه من لحمه الشريف وهو يقول : يا محمد أحسن في مواليّ ، حتى غضب النبي

غضبا شديدا ، ورؤى لوجهه ظلل وهو يقول لعبد الله : ويحك ، أرسلني ، أرسلني ، بينما ابن سلول لا زال ممسكا به ويقول : لا والله لا أرسلك حتى تحسن في مواليّ ، أربعمائة حاسر ، وثلاثمائة دارع ، قد منعوني من الأحمر والأسود من الناس ، تحصدهم في غداة واحدة ؟ إني والله امرؤ أخشى الدوائر !! وهنا قال له النبي : هم لك[٤٨] .

وهكذا ألغى الأمر النبوي بقتل بني قينقاع ، لكن شرط جلاءهم من المدينة خلال أيام ثلاثة لا تزيد ، وبالفعل لم تمض الأيام الثلاثة حتى كان بنو قينقاع يحملون متاعهم راحلين ، تاركين مزارعهم وحصونهم وما لم يقدروا على حمله ، متجهين إلى أذرعات ببلاد الشام ، وبذلك كان أول صدام بين النبي وبين يهود المدينة ، وأول قرار يصدر يؤكد سيادة الرسول ويعني قيام حاكم واحد لدولة المدينة ، وهو القرار الذي أدى دورا عظيما في انكماش بقية المعارضين في يثرب لسلطان الدولة الجديدة ,كما أدى من جانب آخر إلى تقليم آظافر ابن سلول وإضعاف مركزه ، بهجرة حلفائه الذين كانوا حماية له من الأحمر والأسود من الناس ، أي من اليهود والعرب ، ويكفي أن نعلم مدى ذلك الأثر على ابن أبي ، في فارق الساعات ما بين إمساكه بلحم جنب النبي الشريف ، وإصراره على مطلبه ، وبين مغادرتهم يثرب بقرار آخر ، ما أن سمعه ابن أبي حتى عاد مسرعا إلى النبي ليسأله بقاء قينقاع في يثرب ، فحال بينه وبين الدخول إلى النبي جماعة من الصحابة ، فلما حاول الدخول دفعوه إلى الحائط فشج وجهه ، بينما قينقاع في طريقها وهي تقول : والله لا نمكث في بلد يفعل فيه ذلك بأبي الحباب ، ولا نستطيع أن ننتصر له ، وغادروا يثرب ، بل والجزيرة جميعا إلى الشام[٤٩].

وقد عقبت الآيات على موقف ابن سلول بقولها : "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ، فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين" (المائدة ٥١-٥٢) .

أما الحلبي كاتب السيرة ، فلم يرض فيما يبدو بخروج قينقاع سالمين من يثرب ، والرجوع عن قتلهم ، فقال إن النبي دعا عليهم بالهلاك ، فما بلغوا أذرعات الشام ، حتى هلكوا جميعا بتلك الدعوة[٥٠] .

هزيمة أحد

أنزل الله تعالى وتبارك من وعد وبشرى حيث يقول:

- "سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب" (آل عمران ١٥١).
- "وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم" (آل عمران ١٢١).
- "فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان" (الأنفال ١٢).

والأمر على الترتيب في الوحي هو :

- "فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منّا بعد وإما فداء" (محمد ٤).
- "إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون . ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون . إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين . بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين" (آل عمران ١٢١:١٢٥).

ومن ثم ؛ فإن موقف ابن سلول إنما يعني عدم أخذه الوعد الإلهي مأخذ الجد ، واعتماده معطيات الواقع فقط في اتخاذ القرار ، مما يشير إلى عدم إيمان حقيقي ، لكن الواجب هنا التنبيه إلى أن ابن سلول وهو يدعو إلى عدم الخروج من يثرب ، وإشارته إلى أنه ما هاجمها أحد وانتصر ، إنما يعني اعتمادا واثقا على حصانة يثرب ، وما بها من حصون وآطام ، كما يعني أن الرجل يغامر بمدينته وأهله بالكامل في حال انتصار المهاجمين ، وهو احتمال

وارد أمام العدد الهائل لجيش قريش ، وإن كان ضعيفا ، وهي مغامرة قبلها على بلده وأهله ، مع خيار النصر المحتمل في رد المهاجمين ، مفضلا ذلك على أن تنزل بالمسلمين إذا خرجوا هزيمة محققة ، قد يفنى فيها الرجال جميعا ، وهو نصح لو أخذناه بإنصاف لأنصفنا الصدق والحق على الأقل ، خاصة أن ما حدث في وقعة أحد بعد ذلك ، كان هزيمة حقيقية للمسلمين على مستويات عدة .

وكانت تلك الهزيمة النكراء لجيش المسلمين ، مدعاة لمحاولة بعض المفسرين القول : إن وعد الآيات بالإمداد بالثلاثة وبالخمسة آلاف ملك ، كان يوم النصر البدرى ، وليس يوم أحد ، بينما وقف آخرون موقفا صارما ، يلتزم التأريخ وأسباب النزول وسياق الآيات في السور مقارنا بالحدث ، بحجج فقهية تؤكد أن الآيات نزلت في أحد تحفيزا للمسلمين ، أما السر في عدم انتصار المسلمين – رغم هذا المدد العظيم ، وهو ما كان يعني عدم نزول الملائكة ، لأنهم لو جاءوا لحققوا نصرا سهلا دون جهد يذكر للمسلمين – فهو أن الإمداد كان معلقا بشرط ، هو التقوى ومصابرة عدوهم ، لكن المسلمين لم يصبروا بل فروا ، فسقط الشرط ، فتوقف الإمداد ، ولم يمدوا بملك واحد ، أما ذكر بدر في الآيات السالفة فقد جاء اعتراضا في سياق آيات أحد ، تذكيرا بنعمة الله على المؤمنين ونصره لهم في بدر رغم ضعفهم ومذلتهم ، ليحفزهم على خوض أحد بذات الثقة في نصر الله ، مع حجة أخيرة تقول : إن القصة الواردة في سورة آل عمران هي قصة أحد وحدها مستوفاة مطولة ، وإن مقارنتها بسورة الأنفال التي تعلقت ببدر ، يقطع باليقين أن الآيات نزلت في أحد وليس في بدر[٥١] .

وقائع أحد

وتجمع كل كتب السير والأخبار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يكره الخروج إلى أحد ، لكنه خرج لرغبة أصحابه ، ولما لبس لامته ، جاءه الذين استكرهوه على الخروج يراجعون موقفهم ويعتذرون ، فكان رد النبي : ما كان لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يحارب ، وجعل النبي لأصحابه في ذلك اليوم شعارا يشبه شعار بدر ، مع اختلاف بسيط ، فقد أسقط من شعار بدر (يا منصور) ، ليصبح بدلا من (يا منصور أمت) كلمة واحد تقول : (أمِتْ ، أمِتْ)[٥٢] .

وعند خروج النبي إلى أحد قال له الأنصار :

- يا رسول الله ، ألا نستعين بحلفائنا من يهود ؟
- فقال : لا حاجة لنا فيهم[٥٣] .

ولما سار بجيشه ووصل رأس الثنية ، وجد كتيبة كبيرة ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي من يهود ... فقال :

إنا لا ننتصر بأهل الكفر على أهل الشرك[٥٤] .

ويبدو لنا أن تلك الكتيبة كانت من قبيلة بني قريظة ، خرجت إعمالا لبنود الصحيفة ، وانتصارا لحليفتها الخزرج ، لكن الواضح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن على ثقة كافية بهم ، ومرة أخرى عرض الأوس على النبي بعد رجوع ابن سلول ، الاستعانة بحلفائهم من يهود بني النضير ، حلفاء سعد بن معاذ ، ومرة أخرى رفض النبي[٥٥] ، ومع ذلك فقد أصر مخيريق اليهودي على الخروج إلى أحد ، وهو على دينه ، وأوصى بماله للنبي إن هو قتل ، وبالفعل قاتل الرجل حتى قتل ، وآل ما يملكه إلى رسول الله ، وفيه قال النبي الكريم : "مخيريق خير يهود"[٥٦] .

ولاحت بوادر النصر ، وتقهقر المشركون وهم يلقون بدروعهم وجحفهم وتروسهم ، تخففا للهرب ، بينما علا صراخ نساء قريش المنعمات وهن يولولن ، يبرز صراخهن الخائف مفاتن أنوثتهن ، وأخذن يهربن أمام أعين المسلمين .

وقصدن الجبل ، كاشفات عن سيقانهن يرفعن الثياب ، وتبع المسلمون المشركين يضعون فيهم السلاح وينتهبون الغنائم[٥٧] .

بينما يصف عبد الله بن الزبير الموقف بقوله :

والله لقد رأيتني أنظر إلى هند بنت عتبة وصواحباتها ، مشمرات هاربات ، ما دون أخذهن قليل ولا كثير[٥٨] .

بينما يقول آخر :

والله لقد رأيت النساء يشتددن على الجبل ، قد بدت خلاخيلهن وسوقهن ، رافعات ثيابهن ، فقال أصحاب عبد الله بن جبير – الرماة – الغنيمة ، الغنيمة[٥٩] .

وهكذا نزل الرماة يلهثون وراء الغنيمة ، وهو ما يصوره أحدهم : "والله ما نجلس هنا لشئ ، قد أهلك الله العدو ، فتركوا منازلهم التي عهد إليهم النبي ألا يتركوها"[٦٠] . "ونهاهم أميرهم عبد الله ابن جبير ، فقالوا له : انهزم المشركون فما مقامنا ها هنا ؟ وانطلقوا ينتهبون وثبت عبد الله بن جبير ، وثبت معه دون العشرة[٦١] .

لكنها لقارئ مدقق ، كانت الخطة والتكتيك ، فقد تقهقر قلب جيش المشركين ، وشمرت النساء عن سوقهن يصعدن الجبل في المعتليات ، وانطلق المسلمون خلفهن ، وترك الرماة مواقعهم ، بينما كانت ميمنة (خالد بن الوليد)في مكانها لا تتزحزح ، كذلك ميسرة (عكرمة بن أبي جهل) ، ظلت ثابتة دون حراك ، حتى إذا ما نزل الرماة ، أطبقت الأجنحة على الوسط ، وثبت القلب المتقهقر ليعاود الهجوم ، في هجمة مرتدة سريعة ، ثم ثنى (خالد) و (عكرمة) على الرماة ، فحملوا على من بقى منهم فقتلوهم مع أميرهم ابن جبير .
وأحاطوا بالمسلمين ، فبينما المسلمون قد شغلوا بالنهب والسلب ، إذ دخلت خيول المشركين تنادي فرسانها بشعارها : يا للعزى ، يا لهبل ، ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون ... واختلط المسلمون ، وصار يضرب بعضهم بعضا من غير شعار ، وهو أمت ، أمت ، مما أصابهم من الدهش والحيرة[٦٢] .

أما الأخطر من نسيان المسلمين لشعارهم ، نتيجة الدهشة والذهول ، وقتلهم بعضهم بعضا ، هو تمكن المشركين من الانغراس في العمق إلى نهايته ، والوصول إلى موقع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لتأخذ منه ثأرها ، وتنال منه فيخمد الجسد الإسلامي ويستسلم ، وهو ما خرجت من أجله ، لإيقاف نهر الدم ، وإنقاذ ما بقي من مصالحها ، بقتل النبي عليه الصلاة والسلام بالذات وبالتحديد .

صرخة الشيطان

وعندما وصل المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هرب أصحابه من حوله ، حتى صار ينادي :

إليّ يا فلان ، إليّ يا فلان ، أنا رسول الله ، فما يعرج إليه أحد ، والنبل يأتي إليه من كل ناحية[٦٣] .

ويروي الطبري إنه عند الهجوم على النبي ، تفرق عنه أصحابه ، فهرب بعضهم وعاد إلى المدينة لا يلوى على شئ ، بينما صعد البعض الآخر إلى صخرة فوق الجبل ، بينما استمر النبي ينادي :

إليّ عباد الله ، إليّ عباد الله[٦٤] .

واستطاع عتبة بن أبي وقاص أن يصل إلى النبي ، ويهشم بيضته فوق رأسه ، بينما تمكن عبد الله بن شهاب من أن يشجه في جبهته ، ثم كر عليه ابن قملة الحارثي ، فكسر أنفه ورباعيته ، وضربه بالمغفر فدخلت حلقتان من حلقات المغفر في وجنته الشريفة ، كل هذا والرسول ينادي أصحابه[٦٥] . ثم وقع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

في حفرة ، عندما هاجمه ابن قمئة في كرة ثانية ، فضربه على عاتقه ضربة شديدة ، لكن الدرعين كانا وقاء له ، لكن عزم الضربة جعل رسول الله يشكو من عاتقه بعدها شهرا أو أكثر[٦٦] .

وهنا لمح المحارب الصلب أبو دجانة رسول الله وهو على حاله هذا ، فانطلق إليه ليرتمي فوقه يحميه ، والنبل يتساقط عليه بغزارة حتى ملأ ظهره وهو لا يتحرك ، في الوقت الذي أخذ فيه المهاجمون دورتهم الواسعة في كرة جديدة ، انطلق أثناءها إلى النبي عدد من أصحابه ، فأنهضوه من الحفرة ، وأسرعوا به يصعدون شعب الجبل نحو صخرة منيعة ، في اللحظة التي عادت فيها كرة المهاجمين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ألا أحد لهؤلاء ؟ فقال طلحة : أنا لهم يا رسول الله ، فقال : كما أنت يا طلحة ، فقال : رجل من الأنصار : فأنا يا رسول الله ، فقاتل عنه ، وصعد رسول الله ومن بقي معه ، فلحقوه ، فقال : ألا أحد لهؤلاء ؟ فقال له : طلحة : أنا لهم يا رسول الله ، فقال : كما أنت يا طلحة ، فقال : رجل من الأنصار : فأنا يا رسول الله ، فقاتل عنه ، وصعد رسول الله ومن بقي معه ، فلحقوه ، فقال : ألا أحد لهؤلاء ؟ فقال له : طلحة مثل قوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل قوله ، فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله ، فأذن له ، فقاتل مثل قتاله وقتال أصحابه ، ورسول الله وأصحابه يصعدون ، ثم قتل ، فلحقوه ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل قوله الأول ، ويقول طلحة : أنا يا رسول الله ، فيحبسه ، فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال فيأذن له ، حتى لم يبق معه إلا طلحة فقال رسول الله : من لهؤلاء ؟ فقال طلحة : أنا[٦٧] .

وتصف كتب السير أبا طلحة بأنه "كان رجلا راميا شديد الرمي ، فنثر نبله ، وأخذ يرمي والرسول يجلس خلفه محتميا به ، بينما كان النبي يرسل قوله الآسف على هرب أصحابه المهاجرين عنه : "ما أنصفنا أصحابنا" ، ويشرح البيهقي "معناه ما أنصفت قريش (المهاجرين) الأنصار ، لكون القرشيين لم يخرجوا للقتال دفاعا عن النبي ، بل خرجت الأنصار واحدا بعد واحد"[٦٨] .

وظل أبو طلحة يرمي دفاعا عن النبي يومذاك ، ويترس دونه ، حتى كسر ثلاثة أقواس ، وكان المسلم يفل هاربا فيمر عليهما فيناديه رسول الله صلى الله عليه وسلم : انثر نبلك لأبي طلحة[٦٩] ، حتى وتره رام أصاب يده في أوتارها فشلت من فورها فصرخ متألما : حس ، فقال له النبي ؛ لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة ، والناس ينظرون إليك ، حتى تلج بك في جو السماء[٧٠] .

وبينما النبي وطلحة والزبير يتسللون متخفيين في الشعب يريدون صرخة عالية تصادف أنها كانت الصرخة التي فر إليها بعض المسلمين الفارين ولجأوا إليها لمنعتها ، فكان أن رآه كعب بن مالك من أعلى الشعب وهو قادم مع صاحبيه ويروى :

قد عرفت عينيه الشريفتين تزهران تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي :

يا معشر المسلمين أبشروا ، هذا رسول الله فأشار إليّ : أنصت ، فلما عرف المسلمون رسول الله نهضوا ، ونهض معهم نحو الشعب على بن أبي طالب ، وأبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، ... في نفر من المسلمين[٧١] .

لكن ليلمحهم أبي بن خلف وهم يخفون إلى النبي يساعدونه على الصعود ، وقد تطرف أُبي عن قومه ، فسمع صيحة كعب بن مالك ، فعلم أن الرسول ما زال حيا ، وبينما النبي يسند رأسه تعبا في الشعب ، كر أُبي بن خلف بفرسه وهو يهتف متسائلا : أي محمد (؟!) لا نجوت إن نجا، فقال القوم : يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال رسول الله : لا ، دعوه فلما دنا تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة ، ... وانتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض ، .. ثم استقبله فطعنه في عنقه ، طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا[٧٢] ، وجعل يخور كما يخور الثور إذا ذبح[٧٣] .

ولمزيد من المنعة ، بعيدا عن متناول قريش نهض النبي صلى الله عليه وسلم إلى صخرة في الجبل ليعلوها ، وقد كان بدن رسول الله بين درعين ، فلما ذهب لينهض لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيدة ، فنهض به حتى استوى عليها[٧٤] ، وهكذا نال الإجهاد من النبي كل منال ، وأخذ منه الألم كل مأخذ ، حتى أنه بعد العودة ذكر عمرو

مولى عفرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صلّى الظهر يوم أحد قاعدا من الجراح التي أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعودا[٧٥] .

وبعد أن امتنع المسلمون الذين بقوا مع نبيهم على الصخرة المنيعة – التي ما كان لأحد أن يصعد عليها إلا ويصاب برماح وسهام الممتنعين فوقها – ومعهم سيوفهم ، لا مجال لأخذهم ، تقدم أبو سفيان حتى اقترب من سفح الصخرة ثم نادى : "أفي القوم محمد ؟ أفي القوم محمد ؟ ثلاثا ، فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه" ، وهكذا كانت حصافة القائد تملى على رجاله رغم الامتناع فوق الصخرة ، أن يتركوا قريشا تتوهم قتله ، حتى لا يحاولوا الكر عليهم مرة أخرى ، كما سبق وأمر كعب بن مالك بعدم الإعلان عنه وأمره بالصمت ، لكن أبو سفيان استمر ينادي "أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن الخطاب ؟ أفي القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل على أصحابه فقال : أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم ، فما ملك عمر نفسه أن قال : كذبت والله يا عدو الله ، إن الذين عددت لأحياء كلهم ، وقد بقى لك ما يسوؤك"[٧٦]. فكان أن رد عليه أبو سفيان ومن معه ينادون شامتين متوعدين :

يوما بيوم بدر ، إن موعدكم بدر للعام القابل .

"فقال رسول اله لرجل من أصحابه : قل : نعم هو بيننا وبينكم موعد ... ثم بعث رسول الله علي بن أبي طالب فقال : اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون . فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فإنهم يريدون المدينة ، والذي نفسي بيده ، لئن أرادوها ، لأسيرن إليهم فيها ، ثم لأناجزهم ، قال علي : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون . فجنبوا الخيل وامتطوا الإبل ، ووجهوا إلى مكة"[٧٧] .

وهكذا ، انتهت غزوة أحد بثأر قريش ، الذي أعملت له حسابات دقيقة ، وهم تجار أصحاب حسابات ، يدققون فيما لهم وفيما عليهم ، تحدوهم المصلحة والمكاسب في الأول وفي الآخر ، فتؤكد كتب الأخبار أنهم قتلوا على التدقيق سبعين مسلما ، بسبعين مشركا يوم بدر ، وأسروا سبعين مسلما بسبعين مشركا يوم بدر ، وهو ما يردفه المفسرون بالآية الكريمة :

"أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا". (آل عمران ١٦٥)

(ومثليها هنا تعنى مثل الأمرين ، السبعين قتيلا ، والسبعين أسيرا) ، وهو ما عبر عنه منطق التاجر الأموي ، أبي سفيان صخر بن حرب ، وهو ينادي المعتصمين بالصخرة ، مقدما كشف حساب تجاري دقيق ، يقول :

يوما بيوم بدر ، وإن موعدكم بدر العام القابل .

هو ما عقب عليه الطبري في حديثه عن أحد مقارنا ببدر ، وهو يقول :

فلما كان العام القابل في أحد ، عوقبوا بما صنعوا ، قُتل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعون ، وأسر سبعون ، وكسرت رباعيته ، وهشمت البيضة على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، وفر أصحاب النبي وصعدوا الجبل[٧٨] .

وقد عدد البلاذري في أنساب الأشراف (٣٢٦/١) أسماء بعض الفارين من الميدان تماما – الذين يمثلون موقفا خامسا – بعد أن تركوا إخوانهم ورسولهم إلى مصيرهم ، وهم عثمان بن عفان ، وسواد بن غزية ، والحارث بن حاطب ، وسعد بن عثمان ، وعقبة بن عثمان ، وخارجة بن عامر ، وأوس بن قيظى ، حتى أبعدوا عن المدينة بما يصل إلى ثلاثين ميلا[٧٩] ، ولم يعودوا إلى يثرب إلا بعد أن وصلتهم الأخبار بعودة النبي إليها مع من بقي من أصحابه ، فعادوا إليها من مهربهم بعد أيام ثلاثة ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد ذهبتم فيها عريضة ، ثم جاء الوحي بشأنهم يقول :

"إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم". (آل عمران ١٥٥).

ويقول ابن حبيب : "الذين تولوا يوم التقى الجمعان فعفا الله عنهم من المهاجرين عثمان بن عفان بن العاص بن أمية ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسعد بن عثمان من الخزرج وأخوه عقبة بن عثمان"[٨٠] . وكان لهرب عثمان بن عفان من أحد ، مدعاة بعد ذلك بسنين في الصراع السافر الذي قام على السلطة في الدولة الإسلامية ، للتدليل على أن الموقف العدائي لبني أمية من الهاشميين بل من النبي ودعوته ، كان متأصلا في نفوسهم ، فحكى البخاري عن عثمان ابن وهب قوله : "جاء رجل حج البيت فرأى قوما جلوسا ، فقال : من هؤلاء القعود ؟ قالوا : قريش ، قال : من الشيخ ؟ قالوا : ابن عمر ، فأتاه فقال : إني سائلك عن شئ أتحدثني ؟ أنشدك بحرمة هذا البيت أتعلم أن عثمان بن عفان فر يوم أحد ؟ قال : نعم ، قال : فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدها ؟ قال : نعم ، قال : فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟ قال : نعم فكبر ، فقال ابن عمر : تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه ، فأما فراره يوم أحد ، فأشهد أن الله عفا عنه ، وأما تغيبه عن بدر ، فإنه كان تحته بنت النبي وكانت مريضة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لك أجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه ، أما تغيبه عن بيعة الرضوان ، فإنه لو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه ، فبعث عثمان وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة"[٨١] .

مقتل أسد الله حمزة بن عبد المطلب

يرسم رواة السيرة صورة حية لمقتل حمزة رضي الله عنه بلسان قاتله وحشي الحبشي الذي يروى أنه بينما كان حمزة يصول بسيفه مر به سباع بن عبد العزى الغبشاني وكان يكنى أبا نيار فقال له حمزة : هلم إلي يا ابن مقطعة البظور .. وكانت أمه ختانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله" . وهنا عثر حمزة فوقع ، فانكشف درعه الحديدي عن بطنه ، فهززت حربتي حتى إذا رضيت منها ، دفعتها عليه ، فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه ، فأقبل نحوي ، فغلب ، فوقع ، وأمهلته حتى إذا مات ، جئت فأخذت حربتي ثم تنحيت عن العسكر ، ولم تكن لي بشئ حاجة غيره"[٨٢] .

وهنا هرولت بنت عتبة المدللة الثائرة ، لتبقر بطن حمزة رضي الله عنه ، وتخرج كبده وتلوك منه قطعة تشفيا ، حتى إذا انتهت المعركة ورحلت قريش ، مر رسول الله بعمه وهو على تلك الحال ، فوقف على رأسه وقد أخذ منه الكمد مأخذا ، حتى جعل يقول :

لولا أن تحزن صفية ، ويكون سنة بعدي ، لتركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير ، ولئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن ، لأمثلن بثلاثين رجلا منهم[٨٣] .

وقد عقب بعض المفسرين بالقول : إن الوحي جاء يرد النبي عن ذلك بقوله : "وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به" (النحل ١٢٦) ، لكن ابن كثير بحصافته ، يدرك أمرا ، فيقول :

قلت هذه الآية مكية ، وقصة أحد بعد الهجرة بثلاث سنين !! فكيف يلتئم هذا ؟![٨٤] .
أما ابن مسعود فيروى القول عن حال النبي يوم مقتل حمزة :

ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا ، أشد من بكائه على حمزة رضي الله عنه ، وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته ، وانتحب حتى نشق ، وحتى بلغ به الغشى ، وهو يقول : يا حمزة يا فاعل الخيرات ، يا حمزة يا كاشف الكربات ، يا حمزة يا ذاب[٨٥] .

أما الأنصار ، ورغم مصابهم في قتلاهم ، فإنهم عندما شاهدوا حزن ابن أختهم على عمه قالوا :

والله لئن ظهرنا عليهم يوما من الدهر ، لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط[٨٦] .

وقالت اليهود : لو كان نبيا ما ظهروا عليه ، ولا أصيب منه ما أصيب ، لكنه طالب ملك تكون له الدولة وعليه ، وقال المنافقون مثل قولهم ، وقالوا للمسلمين : لو كنتم أطعتمونا ما أصابكم الذي أصابوا منكم[٨٧] .

والإشارة هنا إلى ثلاثمائة أنصاري ، قرروا قبل المعركة البقاء في المدينة ، وعدم الخروج إلى أحد ، برأي عسكري عركته خبرتهم بمناعة مدينتهم ، وإزاء ذلك الفوران ، الذي بات يهدد هيبة الدولة الناشئة ، ويعطي الفرصة للرؤوس المحنية للتعالي والتغامز ، وما قد يجره ذلك من تردي هيبة صنعها المجاهدون بدمائهم في بدر ، كان لا بد من خطوة أولى لتهدئة روع المسلمين ، ومن ثم استرسل الوحي يرد على هؤلاء بالقول الكريم :

- "الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين" (آل عمران ١٦٨).
- "وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين ..." (آل عمران ١٦٦).
- "وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا" (آل عمران ١٤٥).
- "أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم" (آل عمران ١٤٢).

أما الذين حزنوا على المغانم الزائلة من عرض الدنيا ، فقد توجه إليهم الوحي يقول :

- "ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب" (آل عمران ١٤).
- "ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون" (آل عمران ١٥٧).
- "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون" (آل عمران ١٦٩).

العلاج النفسي

والدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقبلهم ، قالوا : من يبلغ إخواننا عنا أننا أحياء في الجنة نرزق ، لئلا ينكلوا عند الحرب ، ولا يزهدوا في الجهاد ، قال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله تعالى : "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله ..."[٨٨] .

ثم يلتفت المصطفى إلى جابر رضي الله عنه ويقول له : "يا جابر ؛ ألا أبشرك ؟ قال : بلى بشرك الله بالخير . قال : شعرت أن الله أحيا أباك فقال : تمن على عبدي ، ما شئت أعطكه ، قال : يا رب ما عبدتك حق عبادتك ، أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا فأقتل مع نبيك ، وأقتل فيك مرة أخرى ، قال : إنه قد سلف مني القول ، لا يُرجع إليها"[٨٩] .

وهكذا كان العلاج النفسي ، والبلسم الشافي المداوي ، ولم شتات الأنفس المبعثرة فرقا وهلعا ، وتقوية العزائم بتثبيت الإيمان ، لكن مؤرخينا لا يجدون – عافاهم الله – في تلك الخطة المداوية ، والكلام السديد بالرأي الرشيد ، كفاية وشفاء وغناء ، إنما يطمحون دوما كدأبهم إلى حديث الأحاجي والمعجزات ، وهو حديث ما كان يشفي أصحاب أحد وهم مهزومون ، قدر ما يشفيهم الوحي الصادق ، والقيادة الحكيمة ، لكن أحاديث الأحاجي كتبت على ما يبدو لأجيال بعد ذلك ستقرأ التاريخ ، وربما تتساءل في ضوء المشروع عقلا ، فكان إلقامهم سلفا تلك الدلائل على الإعجاز ، رغم تجرع المسلمين مرارة الهزيمة في هدوء وبطولة ، فجاءتنا الروايات تقفو بعضها ، لتعيد حديث الملائكة ، وتؤكد أن الملأ الأعلى المحارب قد هبط إلى أحد ، وأعمل خبرته القتالية في المعركة ، غير مدركين إلى أي منزلق يذهبون بتلك المزاعم ، ومنها ما جاء يحكي عن الوقعة في حميتها ، والرسول يتعرض للهجوم ، وأمامه سعد بن أبي وقاص ، فقال عليه الصلاة والسلام لسعد : اردده ، قال : كيف أردهم وحدي ؟ فقال له : اردده ، قال سعد رضي الله عنه : فأخذت سهما من كنانتي فرميت به رجلا منهم فقتلته ، ثم أخذت سهما آخر

فإذا هو سهمي الذي رميت به ، فرميت به آخر فقتلته ، ثم أخذت سهما فإذا هو الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته ، فهبطوا من مكانهم ، فقلت : هذا سهم مبارك ، فكان عندي في كنانتي لا يفارق كنانتي" .

ولا تفطن الروايات إلى أن سعدا لو استمر بسهمه المبروك هذا ، لأفنى المشركين ، ثم تؤكد أن هذا السهم "كان بعده عند بنيه ... وروى عنه أنه قال : لقد رأيتني أرمى بالسهم يوم أحد ، فيرده عليّ رجل أبيض حسن الوجه لا أعرفه ، حتى كان بعد ... فظننت أنه ملك" .
ثم ينسب لسعد حديث آخر يقول فيه :

رأيت يوم أحد عن يمين النبي عليه الصلاة والسلام وعن يساره ، رجلين عليهما ثياب بيض ، يقاتلان عن رسول الله أشد القتال ، ما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده[٩٠] .

بل وتحدد كتب التراث الرجلين البيض بالثياب البيض بالاسم فقد كانا الملكين جبريل وميكائيل[٩١] .

ورواية أخرى ، تضع سعدا مرة أخرى ، في حبكة أخرى ، تقول :

لما كان يوم أحد انكشفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسعد يرمى بين يديه ، وفتى ينبل له كلما ذهبت نبلة أتاه بها ، يقول : ارم أبا إسحق ، فلما فرغوا نظروا : من الشاب ؟ فلم يروه ولم يُعرف[٩٢] .

ومثل تلك الروايات التي تصر على نزول الملائكة إلى أحد وحربها مع المسلمين ، رواية تحكي عن أمر تعلمه كتب الأخبار ، وهو أن أبا الروم أخو مصعب بن عمير ، حمل اللواء من مصعب بعد سقوط أخيه شهيدا ، وفي زحمة المعركة وهو لها ، ومع إصابة النبي تلك الإصابات الشديدة ، ظن أبا الروم مصعبا ، لكن الرواية تتم حياكتها لتخبرنا خبرا آخر يقول :

ولما قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه ، وسقط اللواء ، أخذه ملك في صورة مصعب ... وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم للملك الذي على صورة مصعب : تقدم يا مصعب ، فالتفت إليه الملك فقال : لست بمصعب ، فعرف عليه الصلاة والسلام أنه ملك أيّد به .

هذا بينما يعقب الحلبي في سيرته على الرواية فيقول : "... رأيت في رواية أنه لما سقط اللواء ، أخذه أبو الروم أخو مصعب ، ولم يزل في يده حتى دخل المدينة"[٩٣] .

وفي سياق سوق المعجزات ، لا يرضى الحلبي في موضع آخر من سيرته ، إلا بموتة قميئة لابن قمئة الذي شج النبي في وجهه وضربه بالمغفر ، فيقول :

إن هذه الشجة لم تشنه ، بل زادته جمالا ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقمأك الله ... وقد استجاب فيه دعوة نبيه ، فإنه بعد الوقعة خرج إلى غنمه فوافاها على ذروة الجبل ، فأخذ يعترضها ، فشد عليه كبشها ، فنطحه أرداه من شاهق الجبل فتقطع[٩٤] .

كذلك تثنى الروايات على أبي بن خلف الذي قتله النبي بالحربة ، حتى يسكته عن إسماع المشركين ندائه وهو يهتف : أي محمد ؟ لا نجوت إن نجا ، لتقول بلسان عبد الله بن عمر :

مات أبي بن خلف ببطن رابغ ، فإني لأسير ببطن رابغ بعد هوى من الليل ، إذا نار تتأجج لي فهبتها ، وإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتنبها وهو يصيح : العطش العطش ، وإذا رجل يقول : لا تسقه ، فإن هذا قتيل رسول الله ، هذا أبي بن خلف[٩٥] .

ثم لا يجد مؤرخونا بأسا هنا من تكرار بعض ما صاغوه لبدر الكبرى ، ومنها القول : "أخبرنا أشياخنا أن عبد الله بن جحش جاء إلى النبي يوم أحد وقد ذهب سيفه ، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم عسيبا من نخل ، فرجع في يد عبد الله سيفا ... وأصيبت يومئذ عين قتادة بن نعمان حتى وقعت على وجنته ، فردها رسول الله صلى الله

عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وأحدّهما ، وتفصيل إعادة تركيب العين في موضعها ، في أن النبي "رفع حدقته فوضعها موضعها ثم غمزها براحته ، وقال : اللهم اكسه جمالا ، فمات وما يدري من لقيه أي عينيه أصيبت"[٩٦] .

ثم يعرج رواة السير والأخبار على ألوان أخرى من الروايات ، قصدوا بها التدليل على صدق نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وعصمته ، وطهارته ، وطهارة جسده ، وما قد ينال المؤمن الصادق إذا ما نال من ذلك الجسد شيئا ، يرفع من مكانته ويزكيه ، لكنها من جانب آخر – إن كانت قد حدثت – فإنها تلقي ضوءا على المكانة التي وصل إليها رسول الله بين أتباعه وربما قصد بتلك الروايات وضعها في مقابلة مع أخبار من شك أو فر وهرب ، لإثبات وجود المؤمنين الصادقين الثابتين ، الواثقين بنبيّهم إلى حد التبتّل فيه ، حداً لم يصله قبله إنسان ولا بعده ، ومن تلك الروايات أن مالكا بن سنان الخدري ، أبا سعيد الخدري ، قد امتص دم النبي من جروحه في أحد ، وازدرد تلك الدماء ، فقال النبي :

من سره أن ينظر إلى رجل لا تمسه النار، فلينظر إلى مالك بن سنان، من مس دمي لم تصبه نار.

ويعقب الحلبي على ازدراد دم النبي تعقيبا شارحا مطولا يقول فيه : "ولم ينقل أنه صلى الله عليه وسلم ، أمر هذا الذي امتص دمه بغسل فمه ، ولا أنه غسل فمه بعد ذلك ، كما لم ينقل أنه أمر حاضنته أم أيمن بركة الحبشية رضي الله عنها ، بغسل فمها ، ولا هي غسلته بعد ذلك لما شربت بوله صلى الله عليه وسلم ، ففيها رضي الله عنها أنها قالت : قام رسول الله من الليل إلى فخارة تحت سريره ، فبال فيها ، فقمت وأنا عطشى فشربت ما في الفخارة ، وأنا لا أشعر ، فما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : يا أم أيمن ، قومي إلى تلك الفخارة فأهرقي ما فيها ، فقالت : والله لقد شربت ما فيها ، فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال : لا يجفر بطنك بعده أبدا ... أي لا تشتكي بطنك ... وقد شربت بوله أيضا امرأة يقال لها بركة بنت ثعلبة بنت عمرو ، وكانت تخدم أم حبيبة رضي الله عنها ، جاءت معها من الحبشة ، ... وفي كلام ابن الجوزي ، بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان الحبشية ، خادمة أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ... فقال لها حين علم أنها شربت ذلك : صحة يا أم يوسف ، فما مرضت قط ، حتى كان مرضها الذي ماتت فيه"[٩٧] .

قتل ابنة مروان

قال الرسول بين أصحابه هاتفا :

ألا آخذ لي من ابنة مروان ؟

فسرى إليها ليلا واحد من بني عشيرتها ، هو عمير بن عدي فكلاهما من بني خطمة ، فأعمل سيفه في أحشائها وهي مستسلمة لنومها في فراشها ، "ثم أصبح مع رسول الله فقال : يا رسول الله إني قتلتها ، فقال : نصرت الله ورسوله يا عمير" .

أما سرية زيد بن حارثة إلى بني فزارة بوادي القرى ، فكانت إلى فاطمة بنت ربيعة المعروفة بأم قرفة ، وكانت عجوزا كبيرة تجاوزت من عمرها قرنا ، وكانت مطاعة في قومها ، ذات منعة وشرف وسيادة ، بلغ صيتها كل العربان ، وضربوا بعزها الأمثال ، وبقي من الأمثال التي تتعلق بأم قرفة مثلان على الأقل ، وهما "أمنع من أم قرفة" ، و "لو كنت أعز من أم قرفة ما زدت"[٩٨] ، وهي كلها أسباب تكشف عن ملامح غزوة زيد بن حارثة وغرضها الذي تم بهبوطه عليها على غرة ، فأعمل السيوف في الفزاريين ، ثم أسر أم قرفة وابنتها هندا ، وبينما أبقى على هند سبية ، فقد أمر بقتل أم قرفة قتلا ذكر ابن هشام أنه كان عنيفا[٩٩] ، وهو ما جاء تفصيله في الطبري شارحا : أنه تم ربط رجليها بحبلين ، ثم ربط الحبلان ببعيرين متعاكسين ، ثم ضرب البعيران فانطلقا ، فشقاها شقا[١٠٠] .

مراحل إنشاء الدولة

كان طبيعيا أن تسفر الدعوة عن عداء جهير بعد الجفوة ، أدى بالنبي – صلى الله عليه وسلم – إلى وجهة مرحلية على خطوات الطريق الاستراتيجي الطويل ، تحول بموجبها نحو المستضعفين والمعدمين والعبيد ، يدعوهم

إلى النسب والامتلاك ، بل وامتلاك كنوز تتضاءل أمامها كنوز الملأ القرشي ، إنها كنوز كسرى وقيصر بهدف تشكيل نواة جماعة أولى لأمة جديدة واحدة من دون الناس ، وعليه كان إعلان الوحي : "ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين" (القصص ٥) .

ويروى البلاذري : "كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا جلس في المسجد جلس إليه المستضعفون من أصحابه : عمار بن ياسر وخباب بن الأرت وصهيب بن سنان وبلال بن رباح وأبو فكيهة وعامر بن فهيرة ، وأشباههم من المسلمين ، فتهزأ قريش بهم ويقول بعضهم لبعض : هؤلاء جلساؤه كما ترون ، قد منّ الله عليهم من بيننا"(١٠١) .

وإعمالا لذلك بات واضحا أن المستضعفين هم من سيشكلون مادة الأمة الطالعة ، وهم من سيكونون القادة والأئمة ، وهم من سيرثون الملأ وحكومته ، والسبيل أمة جديدة ، تقوم على مبدأ جديد ، يوحد ولا يفرق ، يجمع أصحاب المصلحة في التغيير في مصهر واحد ، عبرت عنه الآيات الكريمة بقولها : "أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه" (الشورى ١٣) ، ومن هنا ، وفي تلك المرحلة ، قام الإسلام يضرب القبلية ، بإحلال الولاء لجماعة الإسلام محل أي ولاء آخر .

ولعل أهم وقعة كبرى حولت بالفعل مسار التاريخ بعدها ، كان سببها قافلة كبرى لقريش بقيادة صاحب اللواء أبي سفيان بن حرب ، وهي وقعة بدر الكبرى ، حين تحول اتفاق الأنصار مع النبي في العقبة الثانية إلى غايته المضمرة ، من ميثاق دفاعي إلى حلف هجومي محارب ، تحولت معه عناصر الجماعة الإسلامية كلها – مهاجرون وأنصار – إلى دولة محاربة هجومية ، دولة عسكر ومغانم ، كالقبيلة تماما ، وبذات منطقها ، لكن بعد أن تحول الولاء عن القبيلة وسلفها المعبود إلى الدولة ، ممثلة شخصيا في رسول الله ورمزيا في ذات الله ، وإلى المصالح المادية المباشرة التي جمعت بالفعل أعضاء الدولة ، وكان بدء الغزوات والمغانم نقطة التحول الكبرى التي لعبت دورا عظيما في جذب الأتباع من مستضعفي القبائل ومحاربيهم ، بعد أن ظل النبي – صلى الله عليه وسلم – يدعو في مكة ثلاثة عشر عاما دون إجابة ، ولم يتبعه خلال كل تلك السنوات سوى حوالي المائة نفر ، حيث كانت الدعوة تؤجل الوعد بالنعمة إلى جنة الخلد ، ولكن عندما تم الإعلان عن تحلَّة الغنيمة من أموال الآخرين المخالفين للدعوة ودولتها ، أصبح حل مشكلة المعدمين حقيقة ملموسة ، ومكاسب عينية تدعوهم إلى الانخراط مع العصبية الإسلامية ، وبعد فترة من الزمن ستصبح تلك المكاسب كبيرة إلى الحد الذي سيدفع رجالات قريش المميزين إلى الانخراط في جيش المسلمين ، وهو ما يفصح عنه إسلام عمرو بن العاص الذي ذهب إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – يؤكد أن هجرته ليست للمال بل لله ورسوله ، لكن ليجيبه النبي – صلى الله عليه وسلم – بكل صراحة ووضوح : "نعما بالمال الصالح للرجل الصالح" . ثم أرسله قائدا عسكريا غازيا وهو يقول له : "إني أريد أن أبعثك وجها يسلمك الله فيه ويغنمك ، وأزغب لك زغبة من المال" ، ومن ثم كان إعلان النبي – صلى الله عليه وسلم – تميز عمرو بقوله : "أسلم الناس وآمن عمرو"(١٠٢) .

غيرت الغزوات – والفتوحات بعدها – حال الصحابة من الضنك والفقر إلى الثراء والغنى .

عن علي رضي الله عنه .. "لقد رأيتني مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع ، وإن صدقتي اليوم لتبلغ أربعين ألف دينار"(١٠٣) .

بالإضافة إلى الترغيب بالغنائم كان على النبي أن يوحد بين أتباعه على اختلاف توجهاتهم .

ومن ثم خرجت إلى تاريخ العرب تلك الحالة الوسطية التي تتوازن بين النقائض ، على كل المستويات : بين القبلية وبين الطبقية ، بين العشائرية وبين الأممية ، بين الوحدة الشاملة وبين تضمن تلك الوحدة للقبائل في شكل حزم وأضمومات ، وبين إلغاء الشفعاء واستبدالهم بشفيع واحد هو نبي الإسلام ، وبين الوحدانية المطلقة للإله التي لا تقبل شراكة ، ومن ثم كانت التراجعات التي اعترفت بمقدسات القرشيين والتي كانت تعد وثنيات ، كالاعتراف بالكعبة ، ثم في فتح مكة يتم تقديس الكعبة ذاتها وحجرها الأسود ، وشعائر الوثنيين القديمة كالطواف والسعي ، وتكريس المقامات والمواضع كالصفا والمروة وعرفات . لقد باتت الدولة بحاجة إلى معبد مؤسسي له

تاريخه ، بعد الرجوع عن القدس (أورشليم) ، معبد يجتمع عنده جميع العربان ، لكنه معبد قريش قبيلة الرسول في المقام الأول ، وسدنته الهاشميون آل البيت .

والشئ الآخر الذي كانت تحتاجه الدولة هو الدعم المادي ولهذا بين بدر وأحد لم تتوقف سرايا المسلمين عن مداهمة طريق الإيلاف ، وشن حملاتها التأديبية على القبائل ، مع ظاهرة جديدة تمثلت في شرع نظام الاغتيال ، باغتيال رؤوس القبائل وأشراف الناس وسراتهم وحكمائهم ، وبدأ تطبيق ذلك النظام باغتيال كعب بن الأشرف الذي رثى قتلى بدر شعرا ، وتبعه قطع عدد من الرؤوس خاصة بعد وقعة أحد .

لم يقف الحد عند هذا ، بل تعداه إلى التخلص من اليهود وإجلائهم من المدينة ، فعند العودة الظافرة من بدر الكبرى ، كان الوحي يسترسل طالبا من المسلمين اليقظة والاستعداد لقتال أعدائهم ، وذلك في النص "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم" (الأنفال ٦٠) ، فأما عدو الله وعدو المسلمين فمعروف ، وهم ملأ مكة ، أما من هم أولئك الآخرون غير الملأ المكي الذين يعلمهم الله ولا يعلمهم سواد المسلمين ؟ إنه ما أوضحته الأحداث التالية بنداء النبي – صلى الله عليه وسلم – لرجال ÷ "من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه" ، وهو ما تم تنفيذه بالفعل في عدة رؤوس يهودية ، وهو المنحى الذي جاءت مفاصله في آيات تنسخ حرية الاعتقاد ، لتنهي العمل بآيات من قبيل "لكم دينكم ولي دين" (الكافرون ٦) ، وتلغى الصفح الجميل والصبر الأجمل ، لتؤكد معنى جديدا هو "إن الدين عند الله الإسلام" (آل عمران ١٩) .

وهي السياسة التي ابتغت انضواء اليهود الكامل ، السياسي والعقدي ، تحت لواء الدولة الجديدة وسيادة مؤسسها ، أو استئصال شأفتهم من يثرب ، وهو الأمر الذي كان سببه الوضع الخاص جدا باليهود ، كأصحاب كتاب سماوي ودستور عقدي وأيديولوجيا تاريخية موثقة ، وهو ما جعلهم المنكر الحضارى الحي لنبوة النبي العربي ، مما كان يشكل خطرا دائما وحقيقيا على الدولة الوليدة وأيديولوجيتها العربية ، وهو ما صب في إعلان واضح يسفر عن الهدف ، فيما جاء مرويا عن الزهري عن عروة :

نزل جبريل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بهذه الآية : "وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين" (الأنفال ٥٨) ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : أنا أخاف من نبي قينقاع ، فسار إليهم ولواؤه بيد حمزة[١٠٤] .

ومن ثم انجلت غزوة قينقاع عن هجرتهم من يثرب كأول قبائل يهود يتم إجلاؤها عن المدينة ، مع استيلاء المسلمين على كراعهم وأسلحتهم وأرضهم .

توابع أحد

ترنحت الدولة الطالعة ، وكان لا بد من اتخاذ عمل سريع وحاسم ودءوب لا يكل ولا يهدأ ، لإصلاح ما أفسدته أحد ، وذلك بضرب كل من سولت له نفسه الطمع في النيل من سلطان الدولة ، ولما لم يكن ممكنا الخروج في ذلك الظرف إلى قريش ، والجروح لم تزل طازجة ، ومعنويات المسلمين في حضيضها ، فقد اتجه السيف الإسلامي إلى اجتثاث الرؤوس التي أخذت ترتفع وتتطاول على السلطان المحمدي في يثرب أو خارجها ، ومن ثم تدحرجت رؤوس عدة ، منها رأس سلام بن أبي الحقيق المعروف بأبي رافع ، وأبي عفك عمرو بن عوف ، وعصماء بنت مروان عقيلة ابن خطمة (كما أسلفنا) ، وخالد بن سفيان سيد هذيل ، وفاطمة بنت ربيعة زعيمة فزارة ومحل شرفها وفخرها (كما أسلفنا) ليكون هذا المسلسل من العنف والاغتيالات والتصفية الجسدية ، إعلانا عن أن السيف المحمدي وإن كسرت منه الذؤابة في أحُد ، فإنه ما زال قويا مقتدرا بل وعنيفا ، إعلانا عن إصرار لا يتزحزح على استدامة الدولة والحفاظ على مستقبلها ولو مع التضحية بأرواح كثيرة .

اجتمعت بنو النضير بالغدر ، فأرسلوا إلى النبي – صلى الله عليه وسلم - :

اخرج إلينا في ثلاثين رجلا من أصحابك ، وليخرج منا ثلاثون حبرا ، حتى نلتقي بمكان المنصف ، فيسمعوا منك ، فإن صدقوا وآمنوا بك ، آمنا بك ، فلما كان الغد ، غدا عليهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالكتائب

فحصرهم فقال لهم : إنكم والله لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه ، فأبوا أن يعطوه عهدا ، فقاتلهم يومهم ذلك ، ثم غدا على بني قريظة بالكتائب وترك بني النضير ، ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه فانصرف عنهم[١٠٥] .

ويفهم من الحديث هنا أن يهودا أرادت اختبار نبوة النبي بالحوار المعرفي والفقهي الديني ، لكن النبي رأى أن يتعامل معهم بمنطق آخر فجرد عليهم كتائبه العسكرية ، وقاتل النضير حتى نزلت على عهد مكتوب معه ، ثم أن قريظة رضيت بالعهد دون قتال .

غزوة النضير

يقول الطبري في تاريخه إن يهود النضير عندما أجابوا النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى ما طلب:

قام وقال لأصحابه : لا تبرحوا حتى آتيكم ، وخرج راجعا إلى المدينة ، فلما استلبث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أصحابه ، قاموا في طلبه ، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة ، فسألوه عنه ، فقال : رأيته داخلا المدينة ، فأقبل أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى انتهوا إليه .. فقالوا : يا رسول الله ، انتظرناك ومضيت ، فقال : يهود همت بقتلي وأخبرنيه الله عز وجل .

أما كيف همت نضير بقتل النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو جالس وسط رجاله ، وكيف علم النبي وحده بتلك المؤامرة ، فهو ما تخبرنا به رواية ابن إسحاق وهو يقول : "فأتى رسول الله الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج عائدا إلى المدينة"[١٠٧] ، وقد أخبرته السماء عبر وسيطها جبريل أن يهود نضير قد خلا بعضهم ببعض فقالوا : "إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذا ، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى جنب جدار من بيوتهم قاعدا ، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة ويريحنا منه"[١٠٨] .

ومن ثم لم يكن هناك سوى رد واحد على خبر السماء الصادق بخيانة بني نضير الواضحة ، وهو الجلاء عن يثرب ، وزيادة في النكاية بهم أرسل النبي لهم واحدا من الأوس هو محمد بن مسلمة ، يحمل إليهم رسالة النبي – صلى الله عليه وسلم – تنذر وتقول بلا لبس :

اخرجوا من بلدي فلا تساكنونني بها ، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر ، وقد أجلتكم عشرا ، فمن رُئى بعد ذلك ، ضربت عنقه[١٠٩] .

لقد كانت نضير تظن عبر تاريخها الطويل أن يثرب بلدها هي ، لكن ها هي الرسالة واضحة مفصحة تؤكد أنها قد أصبحت بلد الرسول ، وأنه سيدها ، وأن عليهم مغادرتها فورا وخلال أيام عشرة أو يكونوا في خسر تقطع بعدها منهم الرقاب إن ظلوا قائمين وذلك بعد أن تغيرت القلوب أو بنص الطبري "تغيرت القلوب ومحا الإسلام العهود" .

ويقول ابن كثير أن النضير لما "نابذوه بنقض العهود ، عند ذلك أمر الناس بالخروج إليهم .. فحاصرهم ست ليال .." ، لكن يهود لم تستسلم ، وهنا أمر النبي بهدم مساكنهم المنتشرة حول حصونهم ، كما أمر بالمعاول وتقطيع النخل والأشجار وحرق المزروعات ، فنادوه :

يا محمد ؛ قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه ، فما بال تقطيع النخل وتحريقها ؟![١١٠]

ما ذنب شجرة وأنتم تزعمون أنكم مصلحون ؟[١١١] .

وقال الحلبي في سيرته :

لما قطعت العجوة ، شق النساء الجيوب ، وضربن الخدود ، ودعون بالويل . وعند ذلك نادوه .. يا أبا القاسم .. ما هذا الفساد ؟ .. يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح ، أفمن الصلاح قطع النخل ؟ وهل وجدت فيما زعمت أنه أنزل عليك الفساد في الأرض ؟ وقالوا للمؤمنين : إنكم تكرهون الفساد وأنتم تفسدون ؟![١١٢] .

قال السهيلي في شروحه :

فوقع في نفوس المسلمين شئ من هذا الكلام[١١٣] .

هنا لم يكن الأمر مسألة مبادئ توجه إليها الانتقادات والملامات ، أو أفكار تعاب ، فالمعركة يجب أن تحسم ، ولن تحسمها سوى القوة العسكرية لا الأخلاقيات التي قعدها قوم مزارعون وضعوا لها الأعراف لحماية زروعهم ، وعليه فقد جاء الرد وحيا يرفع الملامة عن النبي وصحبه ، يؤكد ألا ملامة في قطع الزرع وحرق النخيل ، فكله بأمر الله وحده وإرادته ، ليقول الآي الكريم "ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين" (الحشر ٥) .

واستمر الحصار يوما وراء آخر حتى بلغ خمسة عشر يوما ، وهنا "صالحوه على أن يحقن دماءهم وله الأموال والحلقة"[١١٤] . ولهم ما حملت الإبل ، ووافق النبي الكريم – صلى اله عليه وسلم – لكن حتى لا تحمل الإبل متاعا ، فقد أعطى لكل ثلاثة أفراد بعيرا واحدا يركبون عليه ويحملون عليه ما يمكن حمله .

وحاء وقت توزيع الغنائم ، وفي ذلك يقول الحلبي "كان نخل بني النضير لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – خاصة ، أعطاه الله تعالى إياه .. وأكثر الروايات ، أن أموال بني النضير أي مواشيهم كالخيل ومزارعهم وعقارهم ، حق لرسول الله خاصة له .. حبسا لنوائبه ، وكان ينفق على أهله منها ، وكانت صدقاته منها"[١١٥] . وفي الحديث عن عمر بن الخطاب أنه قال : "إن أموال بني النضير كانت مما أفاء الله على رسوله ، مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، وكانت لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – خالصة[١١٦] . وهو ما جاءت بشأنه الآيات لتحسم أمره ، حيث أوضحت أن المسلمين لم يبذلوا في سبيله ولم يحاربوا من أجله ، ومن ثم فهو أمر قد حدث بتفاوض بين النبي – صلى الله عليه وسلم – وبين بني النضير ، لذلك فهو من حق النبي وحده ، حين تقول الآيات "وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب" (الحشر ٦) ، أما ما حدث لنضير فهو بأمر الله ، حيث تؤكد الآيات "ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شئ قدير" (الحشر ٦) .

أما الآيات الكريمة فكانت تختتم الحدث ، يتردد صداها بين فيافي الجزيرة ويسري مع الرياح يسمع مضارب القبائل في كل مكان ، ورجع الصدى منه يرجف قلوب العرب ويصك أسماعهم ، حيث تقول :

"سبح لله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم . هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار. ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب" (الحشر ٤/١) .

ولم تنقض أيام بيثرب على الجند المكدود ، حتى صدع الناس بأمر نبيهم للخروج على غطفان ، التي كانت حليفا للنضير ، والتي وعدت بإمدادهم وتراجعت ، لكن معنى ذلك أنها ركبت مركب العداء لحكومة يثرب ولصاحب الدعوة ، ومن ثم كان من الضروري إرهابها وتقليم أظافرها بغزوة تأديبية ، هي الغزوة المعروفة بذات الرقاع ، التي أراد بها النبي بني محارب وبني ثعلبة من غطفان ، لكن غطفان علمت بمسيره فجمعت حشودها واستعدت استعدادا عسكريا متميزا لملاقاة الجيوش ووصل المسلمون ليجدوا أنهم قد فقدوا عنصر المفاجأة ، ويروا أمامهم جيشا مستعدا متجهزا . ليروي لنا الطبري ما حدث في قوله : "الناس ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضا ، حتى صلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالمسلمين صلاة الخوف ، ثم انصرف بالمسلمين"[١١٧] .

ومع الحملات الفاشلة على التوالي ، كان لا بد أن يجد رواتنا عافاهم الله ما يسدون به الفراغ بين الانتصارات ، فالتجأوا كعادتهم إلى حديث المعجزات ففي غزوة ذات الرقاع ، يروي لنا الإمام النويري رواية عجيبة تقول ، وفي هذه الغزوة جاءته – أي إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – امرأة بابن لها ، فقالت : يا رسول الله هذا ابني قد غلبني عليه الشيطان ، ففتح فاه فبزق فيه وقال : أخسأ عدو الله ، أنا رسول الله ، ثم قال – صلى الله عليه وسلم -: شأنك بابنك ، لن يعود إليه شئ مما كان يصيبه ، فكان ذلك"(١١٨) .

وفي تلك الغزوة التي لم تحقق شيئا ، نجد حديثا آخر يملأ الفراغ بالمسليات من معجزات ، حيث لا ملائكة ، ولا دور عسكري يقوم به جبريل ، فتقول إحدى الروايات أن المسلمين عانوا من الجوع إزاء ذلك الالتفاف الطويل ، فنفدت ميرتهم من الطعام ، فعثروا على ثلاث بيضات نعام ، فقال النبي للصحابي جابر : "دونك يا جابر فاعمل هذه البيضات ، قال جابر : فعملتهن ثم جئت بهن في قصعة ، فجعلنا نطلب خبزا فما نجد ، فجعل النبي وأصحابه يأكلون من ذلك البيض بغير خبز ، حتى انتهى كل إلى حاجته ، أي إلى الشبع ، والبيض في القصعة كما هو"(١١٩) .

ويبدو أن تلك الغزوة التي خاف فيها النبي والمسلمون القتال ، حتى صلوا صلاة الخوف ، كانت مدعاة لكثير من حديث المعجزات ، لملئ فراغ كان يجب أن يملأه جند السماء ، وهي معجزات شبيهة بالمعجزات اليسوعية ، فطرد الشيطان من الأجساد ، وإطعام الجمع الغفير في القفر بالقليل من الطعام ، معجزات معلومة للمسيح ، فيسوع قد سبق وأخرج الشيطان من جسد ابن المرأة الكنعانية ، كما أطعم جمعا غفيرا برغيف وسمكتين بعد أن باركها ، وبقيت فضلات تملأ أجولة ، ثم تأتي هنا معجزة شبيهة بالمعجزات السليمانية ، يتحول فيها النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى قدرة التحادث مع الحيوانات ، وهو ما ورد في قصة البعير الذي جاء وحدث النبي بشكواه فأنصفه(١٢٠) .

غزوة الخندق

لم تتوان قريظة عن الوفاء بمعاقلها مع النبي ، فأمدت جيشه بآلات عظيمة للحفر ونقل الأتربة ، وهو ما قررته كتبنا الإخبارية وهي تمر على الخبر سريعة دون توقف ، في برقية موجزة مقتضبة تقول : "واستعاروا من بني قريظة آلة كثيرة ، ومساحى وكرازين ومكاتل"(١٢١) .

عن سلمان الفارسي : أنه قال : ضربت في ناحية من الخندق ، فغلظت على صخرة ، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – قريب مني ، فلما رآني أضرب ، ورأى شدة المكان عليّ ، نزل فأخذ المعول من يدي ، فضرب ضربة ، فلمعت تحت المعول برقة ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته برقة أخرى ، ثم ضرب به ثالثة فلمعت تحته برقة أخرى ، قلت :

بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما هذا الذي رأيت يلمع تحت المعول وأنت تضرب ؟
قال : أوقد رأيت ذلك يا سلمان ؟
قلت : نعم .
قال : أما الأولى فإن الله قد فتح عليّ بها اليمن ، أما الثانية فإن الله فتح عليّ بها الشام والمغرب وأما الثالثة ، فإن الله فتح عليّ بها المشرق(١٢٢) .

فندر ثلث الحجر ، وسلمان الفارسي قائم ينظر ، فبرق مع ضربة رسول الله برقة ، ثم ضرب الثانية وقال : وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلمات الله ، وهو السميع العليم ، فندر الثلث الآخر وبرقت برقة ، فرآها سلمان ، ثم ضرب الثالثة وقال : وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلمات الله وهو السميع العليم ، فندر الثلث الباقي ، وخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخذ رداءه وجلس ، فقال سلمان : يا رسول الله رأيتك حين ضربت ، لا تضرب ضربة إلا معها برقة ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رأيت ذلك يا سلمان ؟ قال : أي والذي بعثك بالحق ، قال : فإني حين ضربت الضربة الأولى ، رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة ، حتى رأيتها بعيني ، قالوا : يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا ، ويغنمنا ذراريها ونخرب بأيدينا بلادهم ، فدعا بذلك .

قال : ثم ضربت الضربة الثانية ، فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها حتى رأيتها بعيني ، قالوا : يا رسول الله : دعوا الحبشة ما وادعوكم ، واتركوا الترك ما تركوكم[١٢٣] .

ولا ينتهي حديث الصخرة والبرقات الثلاث إلى هنا ، إنما يتزايد ويتضخم ، لتتحول الشرارات الثلاث – التي رآها سلمان ، لأنه كان بجوار النبي – صلى الله عليه وسلم – والتي استدعت دهشة النبي وهو يسأل سلمان : أو قد رأيت ذلك يا سلمان ؟ - تتحول إلى برق إعجازي أسطوري يسجل آية عظمى ، فيدوّنها ابن الأثير بعد صياغتها الجديدة ، ليس فقط لإبراز المعجزة ، إنما أيضا لإبراز قوى النبي الجسدية الهائلة التي صدعت الصخرة ، فيقول :

فأخذ المعول ، وضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتي المدينة فكبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – وكبر المسلمون ، ثم الثانية كذلك ، ثم الثالثة كذلك ، ثم خرج وقد صدعها ، فسأله سلمان عما رأى من البرق ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - :

أضاءت الحيرة وقصور كسرى في البرقة الأولى ، وأخبرني جبرائيل أن أمتي ظاهرة عليها ، وأضاء لي في الثانية القصور الحمر من أرض الشام والروم ، وأخبرني أن أمتي ظاهرة عليها ، وأضاء لي في الثالثة قصور صنعاء . وأخبرني أن أمتي ظاهرة عليها[١٢٤] .

أما البيهقي ، باعتباره صاحب كتاب دلائل النبوة ، وجامع تلك الدلائل التي رآها جميعا إعجازية ، فقد وجد في قصة الصخرة مناسبة طيبة ليقدمها بما يليق بها من دلائل النبوة ، ليكرر ، ولكن ليفصل القول بقوله:

فأخذ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المعول من سلمان ، فضرب الصخرة ضربة صدعها ، وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها (أي لابتي يثرب) ، حتى لكأن مصباحا في جوف ليل مظلم ، فكبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تكبيرة فتح ، فكبر المسلمون ، ثم ضربها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الثانية فصدعها ، وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها ، حتى لكأن مصباحا في جوف ليل مظلم ، فكبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تكبيرة فتح وكبر المسلمون ، ثم ضربها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الثالثة فكسرها ، وبرق منها برقة أضاءت ما بين لابتيها ، حتى لكأن مصباحا في جوف ليل مظلم ، فكبر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكبر المسلمون .

فقال سلمان : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لقد رأيت شيئا ما رأيته قط ، فالتفت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى القوم فقال : هل رأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا ، قد رأيناك تضرب ، فخرج البرق كالموج ، فرأيناك تكبر ولا نرى شيئا غير ذلك ، فقال : صدقتم ، ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم ، أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى ، كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتي الثانية ، فبرق الذي رأيتم ، أضاء لي منها قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب ، وأخبرني جبريل – عليه السلام – أن أمتي ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق منها الذي رأيتم أضاءت منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل – عليه السلام – أن أمتي ظاهرة عليها ، فأبشروا .

ويعقب البيهقي تعقيبا واضح المدلول بقوله : إن الرسول أراد بذلك أن "يبلغهم النصر"[١٢٥] . وقد استدعى حديث تلك الصخرة تداعيات وأخبارا عن صخور أخرى وصياغات أخرى ، وهو ما جاء في رواية ابن هشام عن ابن إسحاق ، تقول :

وكان في حفر الخندق أحاديث بلغتني فيها من الله عبرة في تصديق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون ، فكان مما بلغني ، أن جابر بن عبد الله كان يحدث : أنه اشتدت عليهم في بعض الخندق كدية ، فشكوها إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ، فدعا بإناء من ماء فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية ، فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحق نبيا ، لانهالت حتى عادت كالكثيب[١٢٦] .

ولكن كان لمعتب بن قشير رأيا آخر فها هو يعقب على حديث الصخرة والفتوح المقبلة ساخرا يقول برواية ابن الأثير :

ألا تعجبون ؟ !

يعدكم الباطل !!

ويخبركم أنه ينظر من يثرب الحيرة ، ومدائن كسرى ، وأنها تفتح لكم وأنتم لا تستطيعون أن تبرَّزوا؟!؟(١٢٧) .

أو برواية ابن هشام :

كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط؟!(١٢٨).

ومع الحصار ، واشتداد الأزمة ، يستطيب رجالاتنا حديث الأحاجي ليستمرئوا الاستمرار فيه ، فيروي ابن اسحاق :

وحدثني سعيد بن مينا أنه حدث أن ابنة بشير بن سعد أخت النعمان بن بشير ، قالت : دعتني أم عمرة بنت رواحة فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي ، ثم قالت : أي بنية اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغذائهما .

قالت : فأخذتها فانطلقت بها ، فمررت برسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأنا ألتمس أبي وخالي ، فقال : تعالي يا بنية ؛ ما هذا معك ؟ قالت : قلت : يا رسول الله هذا تمر بعثتني أمي به إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله ابن رواحة ، يتغذيانه ، فأمر بثوب فبسط له ثم دحا بالتمر عليه فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ في أهل الخندق أن هلم إلى الغداء ، فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى صدر أهل الخندق عنه ، وإنه ليسقط من أطراف الثوب(١٢٩) .
عن ابن إسحاق عن سعيد بن مينا عن جابر بن عبد الله قال :

عملنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الخندق ، فكانت عندي شويهة غير جد سمينة ، فقلت: والله لو صنعناها لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأمرت امرأتي فطحنت لنا شيئا من شعير فصنعت لنا منه خبزا ، وذبحت تلك الشاه فشويناها لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلما أمسينا وأراد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الانصراف من الخندق ، وكنا نعمل فيه نهارنا فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا ، قلت : يا رسول الله إني قد صنعت لك شويهة كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئا من خبز هذا الشعير ، فأحب أن تنصرف معي إلى منزلي ، وإنما أريد أن ينصرف معي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وحده .

فلما أن قلت ذلك ، قال : نعم ، ثم أمر صارخا فصرخ أن انصرفوا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى بيت جابر بن عبد الله ، قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فأقبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأقبل الناس معه ، فجلس وأخرجناها إليه ، فبارك وسمى ثم أكل ، وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها(١٣٠) .

وذات الرواية تروي عن جابر أيضا ، لتفسر السر وراء زيادة ذلك الطعام القليل ليكفي ألف رجل على الأقل ويفيض عنهم ، فتقول :

وجئت امرأتي فقالت : بك وبك .. فأخرجت لنا عجينا فبسق فيه وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا فبسق وبارك ، ثم قال : ادع خبازة فلتخبز معك ، واقدحي من برمتك ، ولا تنزلوها ، وهم ألف ، فأسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن برمتنا لتغط كما هي ، وإن عجيننا كما هو(١٣١) .

الإيقاع بين الأحزاب وقريظة

رغم أن ابن هشام يعلم أين كانت الخديعة ، وكيف دبرت ، ومن دبرها ، للإيقاع بين الأحزاب وقريظة ، فإنه يقول بهدوء المؤمن الواثق : "وخذلك الله بينهم" . وحتى يتضح ذلك التدخل الإلهي ، الذي يجب أن تظهر له مظاهر واضحة ، في أدوات فاعلة تليق بحجم فاعلها فقد ورد القول عند ابن قتيبة :

أما رياح الشمال والجنوب فقد ساءلت بعضها عمن يتوجه لمساعدة رسول الله ، عن عكرمة قال : لما كانت ليلة الأحزاب قالت الجنوب للشمال : انطلقي نمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت الشمال : إن الحرة لا تسري بالليل ، فكانت الريح التي أرسلت عليهم الصبا[١٣٢] .

وهو الأمر الذي جاء تأكيده وحيا يقول :

"يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا" (الأحزاب ٩) .

وهي الجنود الملائكية التي لم تحارب أبدا في الخندق ، وهو ما جاء مشروحا عن مجاهد : "وجنود لم تروها يعني الملائكة ، ولم تقاتل الملائكة يومئذ"[١٣٣] ، وهو ما يعني أن الملائكة كانت وراء تلك الريح الصرصر العاتية ، وأنها أخذت تعبث بالمهاجمين وتقلع خيامهم وتكفأ قدورهم وتطفئ نارهم .

وهكذا يعود ابن هشام من قوله : "وخذل الله بينهم ، إلى القول بقدرات لله أعظم بكثير من أساليب الخداع الإنساني ، فيتابع القول : "وبعث الله عليهم الريح في ليال شاتية باردة شديدة الرد ، فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح أبنيتهم ،" ، مصورا فعل الطبيعة قاصرا فقط على الأحزاب ، لكن بعد سنوات من الخندق ، نجد الصحابي أبا حذيفة يحكي لجلسائه مشاهده القتالية مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيقول له جلساؤه : والله لو كنا شهدنا ذلك ، لكنا فعلنا وفعلنا ، فيغتاظ أبو حذيفة من سهولة الكلام ، بعيدا عن واقع الفعل ، ليحكي لهم عن تلك الليالي الشاتية قوله :

لا تمنوا ذلك ؛ لقد رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعود ، وأبو سفيان ومن معه فوقنا وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا ، وما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة ولا أشد ريحا منها ، في أصوات ريحها أمثال الصواعق ، وهي ظلمة ما يرى أحدنا إصبعه ، فجعل المنافقون يستأذنون النبي – صلى الله عليه وسلم – ويقولون : إن بيوتنا عورة وما هي بعورة ، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له ، ويأذن لهم ويتسللون ، ونحن ثلاثمائة أو نحو ذلك[١٣٤] .

مذبحة قريظة

عن عائشة : أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما فرغ من الأحزاب دخل المغتسل ليغتسل وجاءه جبريل فرأيته من خلال الباب قد عصب رأسه الغبار ، فقال : يا محمد أوضعتم أسلحتكم ؟ فقال : وضعنا أسلحتنا ، فقال : إنا لم نضع أسلحتنا بعد ، أنهد إلى بني قريظة ، ثم قال البخاري .. عن أنس بن مالك قال : كأني أنظر إلى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم ، موكب جبريل حين سارع رسول الله – صلى الله عليه – إلى بني قريظة[١٣٥] .

أو برواية الطبري :

فلما كان الظهر أتى جبريل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – معتجرا بعمامة من استبرق ، على بغلة عليها رحالة ، عليه قطيفة من ديباج ، فقال : أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ، قال جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بني قريظة ، وأنا عامد إلى بني قريظة ، فأمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مناديا فأذن في الناس :
من كان سامعا ومطيعا ، فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة[١٣٦] .

ولمزيد من التأكيد على أن المسير إلى قريظة كان أمرا إلهيا ، حمله جبريل إلى الرسول الأمين ، يقدم البيهقي الشواهد الدالة على مقدم مبعوث الإله الأول جبريل ، يحمل ذلك الأمر السماوي ، في قوله :

وخرج النبي فمر بمجالس بينه وبين قريظة ، فقال : هل مر بكم من أحد ؟ قالوا : مر علينا دحية الكلبي على بغلة شهباء ، تحته قطيفة من ديباج ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم - : ليس ذلك بدحية ، ولكنه جبريل عليه السلام ، أرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب .

هذا ؛ ومن المعلوم أن دحية هذا رجل معلوم الشأن لأهل يثرب ، فهو دحية بن فروة بن فضالة ، من الخزرج ، وكان صاحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –[١٣٧] .

وطاعة لأمر السماء ، خرج المسلمون إلى بني قريظة ليضربوا عليهم الحصار ، ولما يهدأ بعد غبار سوائم وخيول الأحزاب المغادرة . واصطف جنود الرحمن يتحلقون حول الحصون القرظية ، ويصل الرسول إلى مقدمة الدوائر المقاتلة مقتربا من الحصون ، وبينما يصنع له أصحابه بالحجف ما يشبه البوق ليسمعهم كلامه ، كان يهود قريظة يرهفون الأسماع وهم يرجفون لندائه – صلى الله عليه وسلم - :

يا إخوة القردة والخنازير :

لكن ليرد المرتعدون :

يا أبا القاسم ما كنت فحاشا !![١٣٨] .

ليعود النبي يناديهم :

يا إخوان القردة :

هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟

وتفهم قريظة الرسالة لترد راعشة :

يا أبا القاسم ما كنت جهولا!![١٣٩] .

وأما ما تراه قريظة ، أخذت تصرخ طالبة من محمد – صلى الله عليه وسلم – أن يرسل إليهم من حلفائهم أبا لبابة بن عبد المنذر الأوسي ، وسمح الرسول لأبي لبابة بالمرور إلى حصونهم ليسمع منهم ، وننصت مع كتب السير لذلك المسمع يقول :

قالوا : يا أبا لبابة : ماذا ترى وماذا تأمرنا به فإنه لا طاقة لنا بالقتال ؟

ولم نجد قولا لأبي لبابة ، بل إشارة وحركة ذات معنى ، فيورد ابن كثير رده على التساؤل :

فأشار أبو لبابة بيده إلى حلقه وأمره عليه ، يريهم أنه إنما يريد بهم الذبح[١٤٠] .

وهو ذات ما يرويه الطبري في قوله :

ثم أنهم بعثوا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف ، - وكانوا حلفاء الأوس – نستشيره في أمرنا ، فأرسله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إليهم ، فلما رأوه قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرقَّ لهم وقالوا له : يا أبا لبابة ، أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم . ثم أشاره بيده إلى حلقه: إنه الذبح[١٤١] .

وندخل مع الطبري إلى حصن قريظة الكبير ، نستمع لما يدور في الداخل ، في تلك الهنيهات البارقة الراجفة من الزمن ، لنسمعه يطالع ما يحدث ويقول :

وقد كان حيي بن أخطب النضري ، قد دخل على بني قريظة في حصونهم ، حيث رجعت عنهم قريش وغطفان ، وفاء لكعب بن أسد بما كان قد عاهده عليه ، فلما أيقنوا أن رسول الله غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم :

يا معشر يهود ؛ إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإني عارض عليكم خلالا ثلاثا ، فخذوا أيها شئتم ، قالوا : وما هي ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه .. قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدا .. قال : فهلمَّ نقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد .. ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد .. قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ؟! فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن الليلة ليلة سبت ، وأنه عسى يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة ، قالوا : نفسد سبتنا ؟! .. قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة حازما !![١٤٢] **.**

وينتهي المشهد داخل الحصن بقرار من قريظة ، أنها لن تقاتل ، وأنها ستنزل على حكم رسول الله وتستأسر جميعا ، وبالفعل ينزلون في طابور طويل يكتف فردا فردا بالحبال التي تصلهم ببعضهم ، لينتظروا مصيرهم ، آملين في موقف الأوس أحلافهم لحقن دمائهم ، مثلما فعلت الخزرج من قبل مع قبائل يهود التي خرجت بأرواحها ، وتركت المال والعقار والعتاد ، وبينما هم في وهمهم هذا ، نسمع الطبري يقول :

ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في دار امرأة من بني النجار (أي من الخزرج وليس من الأوس) ، ثم خرج – صلى الله عليه وسلم – إلى سوق المدينة .. فخندق بها خنادق[١٤٣] **.**

وقد بدا الأمر كما لو كان يسير حسبما توقعت قريظة من الأوس ، حيث تواثبت الأوس حول النبي تذكره بأن قريظة مواليها دون الخزرج ، وأنه سبق ومنح حياة يهود لمواليهم من الخزرج ، يطلبون كرامتهم إزاء كرامة الخزرج في المواقف السابقة ، وهنا يجيبهم الرسول – صلى الله عليه وسلم – بقوله : "ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فذاك سعد ابن معاذ"[١٤٤] **.**

في ذلك الوقت كان سعد يعاني من قطع أصاب أكحله (شريانه) بسهم غارب جاءه من خارج الخندق إبان الحصار ، ولم تلجأ كتبنا التراثية هنا إلى حديث الأحاجي والمعجزات التي ينسبونها للنبي – صلى الله عليه وسلم – لأن سعداً لقى نهايته الفاجعة خلال أيام ، حيث قام النبي – صلى الله عليه وسلم – يحسم له جرحه بنفسه كيًّا بالنار ، لكن يده انتفخت ثم انفجر الشريان بالنزيف ، فعاد النبي إلى كيّه مرة أخرى ليسد مخرج الدم بالنار فانتفخت يده مرة أخرى ، أما الرواة فقد رأوا أن المعجزة لم تحدث هنا ، لأن الأكحل إن قطع فلا علاج له كما أفادوا ، فهناك ما يمكن علاجه بالمعجزات وهناك ما لا يمكن علاجه كقطع الأكحل .

وبينما سعد على حاله هذا ، أرسل إليه النبي وجاء به في مشهد يرويه الطبري بقوله :

فلما انتهى سعد إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال – صلى الله عليه وسلم - : قوموا إلى سيدكم .. فانزلوه ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : أحكم فيهم ، قال : فإني أحكم فيهم بأن تقتل الرجال ، وتقسم الأموال ، وتسبى الذراري والنساء ..

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لسعد :

حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة[١٤٥] **.**

وهنا يكشف لنا الطبري سر الخنادق التي أمر النبي بخندقتها ، بينما كان القرظيون يكتفون بالحبال ، حيث يقول : إن النبي قد "بعث إليهم ، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ، يخرج إليه إرسالا ، وفيهم عدو الله حيي بن أخطب ، وكعب بن أسد رأس القوم ، وهم ستمائة أو سبعمائة ، المكثر لهم يقول كانوا نحو الثمانمائة إلى التسعمائة"[١٤٦] **.**

ويبدأ مشهد المذبحة كالتالي :

أُتي بعدو الله حيي بن أخطب .. مجموعة يداه إلى عنقه بحبل ، فلما نظر إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال :

أما والله ما لمت نفسي في عداوتك أبدا .

ثم أقبل على الناس فقال :

أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب الله وقدره ، ملحمة قد كتبت على بني إسرائيل ثم جلس فضربت عنقه[١٤٧] .

ويشرح لنا رجالاتنا من أهل السير كيف كانت المذبحة ، فيصور لنا الواقدي أحد المشاهد بقوله :

إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أمر لنا يشق لبني قريظة في الأرض أخاديد ، ثم جلس ، فجعل علي والزبير يضربان أعناقهم بين يديه[١٤٨] .
ويحدد لنا البيهقي مكان المقتلة بدقة فيقول :

قتلوا عند دار أبي جهل التي بالبلاط ، ولم تكن يومئذ بلاطا ، فزعموا أن دماءهم بلغت أحجار الزيت التي كانت بالسوق[١٤٩] .

ويشرح لنا ابن هشام أنه بينما كان الأوس حلفاء قريظة في الجاهلية ، فإن الخزرج لذلك السبب كانوا يحملون لقريظة العداوة ، ولما كان الخزرج أخوال النبي ، فقد حبس الأسرى القرظيين لديهم ، ثم عند المذبحة أمرهم هم بإجراء المذبحة ، فيقول مصورا لنا مشهدا أوسع للمذبحة :

فجعلت الخزرج تضرب أعناقهم ، ويسرهم ذلك ، فنظر رسول الله – صلى الله عليه وسلم إلى الخزرج ، ووجوههم مستبشرة ، ونظر إلى الأوس فلم ير ذلك فيهم ، فظن أن ذلك للحلف الذي بين الأوس وقريظة ، ولم يكن بقي من بني قريظة إلا اثنا عشر رجلا ، فدفعهم إلى الأوس ، فدفع إلى كل رجلين من الأوس رجلا من بني قريظة ، وقال : ليضرب فلان ، وليذفف فلان[١٥٠] .

أما شأن سعد بن معاذ فنعرف من خبره أن أكحله الذي حسمه له النبي – صلى الله عليه وسلم – قد عاد وانفجر بعد مذبحة قريظة ، ولما كان هو صاحب الحكم الذي هو حكم الله ، فقد وجبت مكافأته ، فيما يرويه البيهقي :

إن جبريل أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – في جوف الليل ، معتجرا بعمامة من استبرق ، فقال : يا محمد ؛ من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء ، واهتز له العرش ؟

فقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يجر ثوبه ، مبادرا إلى سعد بن معاذ ، فوجده قد قبض . ومن ثم وقف النبي يشير إلى سعد وهو يعلن :

إن هذا الذي تحرك له العرش ..

وشيع جنازته سبعون ألف ملك[١٥١] .

أما ابن سيد الناس فيؤكد مشاركة الملائكة في تشييع جسد سعد إلى مثواه الأخير بقوله :

ولما حمل سعد على نعشه ، وجدوا له خفة ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم - : إن له حملة غيركم[١٥٢] .

ثم نعلم من مأثورنا علما جديدا بشأن تلك المذبحة ، حيث يعلمنا أنها لم تقتصر على الرجال فقط ، بل نالت أيضا من الصبية ، حيث يقول الطبري مدعما من كل رجال السير والأخبار أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد أمر بقتل كل من أنبت منهم[١٣٥] .

وهو أيضا ما يأتينا تأكيده في حكاية ابن إسحاق عن صبي نجا من المذبحة هو عطية القرظي ، حيث يقول :

وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد أمر بكل من أنبت منهم .. عن عطية القرظي قال : كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد أمر أن يقتل من بني قريظة كل من أنبت منهم ، وكنت غلاما ، فوجدوني لم أنبت ، فخلوا سبيلي ، رواه أهل السنن الأربعة .. وقد استدل به من ذهب من العلماء ، إلى أن إنبات الشعر الخشن حول الفرج دليل البلوغ[١٥٤] .

وعن كثير بن السائب أن بني قريظة عرضوا على النبي – صلى الله عليه وسلم – فمن كان محتلما أو نبتت عانته قتل ، ومن لم يكن قد احتلم ولا نبتت عانته ترك[١٥٥] .

واصطفى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ريحانة بنت عمرو لنفسه ، وأمر بالغنائم فجمعت ، فأخرج الخمس من المتاع والسبي ، وأمر بالباقي فبيع في من يزيد ، وقسمه بين المسلمين[١٥٦] .
أما ريحانة بنت عمرو ، التي اختارها النبي ، فقد قال بشأنها ابن كثير :
عرض عليها النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يعتقها ويتزوجها فاختارت أن تستمر على الرق ، ليكون أسهل عليها ، فلم تزل عنده حتى توفى عنها عليه الصلاة والسلام[١٥٧] .

ويؤكد الطبري موقف ريحانة في قولها لسيدها الجديد :

تتركني في ملكك ، فهو أخف عليّ وعليك ، فتركها ، وكانت حين سباها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد تعصّت بالإسلام ، وأبت إلا اليهودية[١٥٨] .

تلك كانت غزوة الخندق ونتائجها وهي النتائج التي أوجزتها الآيات الكريمة بإيجازها البليغ تبلغ العربان وتذكرهم بقولها :

"ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم . وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا . وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأوها وكان الله على كل شئ قديرا" (الأحزاب ٢٧/٢٦/٢٥) .

انتقام النبي من غدر الأعراب

تعرضت لقاح الرسول لغدر الأعراب ، الذين أطمعتهم سوائمه ، فقدم على النبي ثمانية رجال من عرينة ، وأظهروا الإسلام ، وبعد أيام اشتكوا للنبي سوء حالتهم الصحية بداخل يثرب ، وأنهم أهل بوادي لا يطيقون المدن والزروع ، فأذن لهم بالخروج لرعاية لقاحه ، الذي يرعى بذى الحدر بناحية قباء ، فظلوا فيها فترة ، ثم عدوا على لقاح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقتلوا واحدا من عبيد النبي[١٥٩] ، فكان أن أرسل وراءهم سرية كرز بن جابر الفهري ، ليقبض عليهم ، ويلقوا جزاء ما قدمت أيديهم بحق النبي وبحق الدولة ، وهو الجزاء الذي جاءنا ذكره في البيهقي وهو يروي :

فلم ترتفع الشمس ، حتى أُتي بهم ، فأمر بمسامير فأحميت ، فكواهم ، وقطع أيديهم وأرجلهم ، وألقاهم في الحرة ليستسقون فلا يسقون ، حتى ماتوا[١٦٠] .

ويضيف ابن سيد الناس أنه قد أمر إضافة لذلك بسمل عيونهم[١٦١] .

غزوة المصطلق

هبط عليهم رسول الله (ص) برجاله في جمادي الآخرة من عام ستة للهجرة . فأخذتهم المفاجأة وشلّتهم الصاعقة ، فلم يفيقوا إلا على قتلاهم وأسراهم وسباياهم وأموالهم تُجمع بيد القائد المنتصر . ومن بين السبايا كانت جويرة بنت الحارث .

وهنا تقول لنا أم المؤمنين السيدة عائشة الغيور :

فوالله ما أن رأيتها على باب حجرتي ، فكرهتها وعرفت أنه – صلى الله عليه وسلم – سيرى منها ما رأيت .

ثم إذ جويرية الأسيرة تدخل على النبي – صلى الله عليه وسلم – وتقول :

يا رسول الله :

أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار
سيد قومه
وقد أصابني من البلاء ما لم يخف عليك
فوقعت في السهم لثابت بن الشماس
فكاتبته على نفسي
فجئت أستعينك في كتابتي

وهنا يتطلع سيد الخلق ، العارف بمواطن الجمال والملاحة ، ويملأ عينيه منها ، ليعقب السهيلي على ذلك التطلع الطويل بقوله : "أما نظره عليه السلام لجويرية ، حتى عرف من حسنها ما عرف ، فإنما ذلك لأنها كانت امرأة مملوكة ، ولو كانت حرة ، ما ملأ عينه منها ، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء ، ويجوز أن يكون نظر إليها ، لأنه نوى نكاحها ، كما نظر إلى المرأة التي قالت له : إني وهبت نفسي لك .. وقد ثبت عنه عليه السلام . الرخصة في النظر إلى المرأة ، عند إرادة نكاحها" .

وكل ما توقعته جويرية الحسناء ، التي تعرف قدر حسنها ، وقدمت لها الأقدار تحقيق رؤياها ، حين قال لها النبي بعد تأمله الطويل :

فهل لك في خير من ذلك ؟
قالت : وما هو يا رسول الله ؟
قال : أقضي عنك كتابك وأتزوجك .
قالت : نعم يا رسول الله قد فعلت .

وهنا تعقب السيدة عائشة – رضي الله عنها -: "وخرج الخبر إلى الناس ، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد تزوج جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، فقال الناس : أصهار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأرسلوا ما بأيديهم ، قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها[١٦٢] .

غزوة الحديبية

ما أن بلغت أخبار بدء يثرب بالمسير إلى مكة ، حتى أخذت مكة تهيئ رجالها على الطريق ، لتقف في وجه الغزو الآتي . وبلغ النبي أن على الطريق قد وقف بنو لؤي بجموعهم وخيلهم ، فتوجه إلى رجاله قائلا:

أشيروا عليّ ، أترون أن نميل على ذراري هؤلاء الذين أعانوهم ، فنصيبهم فإن قعدوا قعدوا موتورين محرومين ، وإن نجوا تكن عنقا قطعها الله ؟ أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه؟(١٦٣) .

ويجلس سهيل مع النبي ، ويعرض عليه عروض مكة ، وهي الصلح بهدنة مدتها عشر سنوات ، لا يتعرض فيها أحد للآخر ، وهو ما يضمن عودة الأمان للطريق التجاري ، ويوافق النبي .

وأن من أحب أن يحالف قريشا من العرب حالفها ، ومن أحب محالفة محمد حالفه ، ويوافق النبي .

وترتفع المطالب المكية تدريجيا للاختبار وجس النبض ليقول سهيل :

ومن أتى محمدا بغير إذن وليه رده إليهم ، ويوافق النبي .

ثم تتعالى نبرة التشدد أكثر فيقول سهيل : وأنه من أتى قريشا من أصحاب محمد لم يردوه إليه ، ويوافق النبي .

ويستمر سهيل : ويعود محمد برجاله عن مكة هذا العام ليعودوا في العام المقبل دون سلاح أو حديد إلا سلاح الراكب المسافر العادي ، حيث يتركها لهم أهلها ثلاثة أيام ، يعتمر بها ثم يتركها مغادرا ، ويوافق النبي .

ويقول ابن كثير : إن المسلمين وهم يرون تشدد سهيل وتساهل النبي أمامه كادوا يهلكون غما وغيظا ونكدا ، ويزداد الغم عندما تبدأ كتابة كتاب الصلح الرسمي ، فعندما بدأ النبي يملي عليا بن أبي طالب الكتاب قائلا : "اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم" ، رد سهيل على الفور :

أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ؟!
اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب .

ويهتف المسلمون بالرفض والاستهجان والشجب ، يصرّون على "بسم الله الرحمن الرحيم ، لكن النبي يقول لعلي : "اكتب باسمك اللهم ؛ هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو" ، لكن ليعترض سهيل : بالقول :

لو كنا نعلم أنك رسول الله
ما قاتلناك . لكن اكتب اسمك
واسم أبيك .

فيأمر النبي عليا أن يمحو "رسول الله" ، فيرفض علي رفضا قاطعا قائلا : "والله لا أمحاك أبدا ، فيسمك النبي الصحيفة – فيما روى البخاري – ويمحو "رسول الله" ، ويكتب بخط يده "محمد بن عبد الله"(١٦٤) .

ويروي البيهقي عن البراء :

كنا مع النبي أربع عشرة مئة ، والحديبية بئر فنزحناها ، فلم نترك فيها قطرة ، فبلغ ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – فأتاها فجلس على شفيرها ، ثم دعا بإناء ماء منها ، فتوضأ ثم مضمض ودعا ، ثم صبه فيها ، فتركها غير بعيد ، ثم أنها أصدرتنا نحن وركائبنا .

ومعجزة مائية أخرى ، يرويها لنا الصحابي جابر في حوار له مع شعبة إذ يقول :

أتى رسول الله بماء في تور ، فوضع يده فيه ، فجعل الماء يخرج من بين أصابعه كأنه العيون ، قال : فشربنا ووسعنا وكفانا ، قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا ألفا وخمسمائة[١٦٥] .

ثم معجزة ثالثة حول تكثير الطعام عندما جاع الجيش في قول الصحابة للنبي : "يا رسول الله ، لو انتحرنا من ظهورنا ، فأكلنا من لحومها وشحومها وحسونا من المرق ، أصبحنا غدًا إذا غدونا عليهم وبنا جمام ، قال : لا ، ولكن ائتوني بما فضل من أزوادكم ، فبسطوا أنطاعا ثم صبوا عليها فضول ما فضل من أزوادهم ، فدعا عليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالبركة ، فأكلوا حتى تضلعوا شبعا ، ثم لفلفوا فضول ما فضل من أزوادهم في جربهم .. عن عبد الله قال .. كنا نأكل مع النبي ونحن نسمع تسبيح الطعام" [١٦٦].

أحداث بعد فتح خيبر

وبانتهاء المعركة ، جاء دور السبايا وتقسيم الأموال ، فأما الأموال التي أوجف عليها المسلمون بالخيل والركاب ، فقد قسمت بينهم ، أما التي استسلمت وعقدت الاتفاق ، فعائدها كان خاصا لرسول الله ، أما السبايا فقد تم تقسيمهن بين المقاتلين من جند الله .

ويؤكد لنا رواة السير والأخبار جميعا ، أن غزوة خيبر قد فشى فيها إتيان المسلمين لنساء يهود على ملأ ، ففشت السبايا الخيبريات في المسلمين ، إلى الحد الذي دفع النبي لوقف اغتصاب النساء الحبالى ، يناشد رجاله بندائه الراقي الرحيم :

لا يحل لامرئ أن يسقي ماءه زرع غيره[١٦٧] .

وكان النبي قد قتل كنانة بن أبي الحقيق ، زوج صفية بنت حيي بن أخطب سيد النضير ، وكان قد سبق وقتل أباها حيي في مذبحة قريظة ، لذلك ، وحتى لا ينصرف ذهن كائد للإسلام ونبيه الكريم ، إلى أن قتل زوجها كنانة ، كان للاستيلاء على صفية ، فإن كتب الأخبار تأتي هنا واضحة لا تحمل في خبرها لبسا ، فتعلمنا أن النبي لم يعلم بجمال صفية بنت حيي زوجة كنانة ، إلا بعد أن قتل زوجها بالفعل ، لنقضه العهود والمواثيق ، وتتفق جميعا حول رواية أنس بن مالك الذي قال :

قدمنا خيبر ، فلما فتح – صلى الله عليه وسلم – الحصن ،
ذُكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب
وقد قتل زوجها
وكانت عروسا
فاصطفاها لنفسه[١٦٨] .

وقد قدرت الأقدار ، أن تحظى صفية بالإكرام ، فتحظى بسيد الخلق أجمعين ، - صلى الله عليه وسلم - ، رغم أنها بنت عدو الله حيي بن أخطب ، الذي حزب الأحزاب ، وزوج زعيم يهود خيبر كنانة بن أبي الحقيق ، الذي نقض العهود والمواثيق ، بعد اتفاقه السلمي مع النبي ، وهو ما يشرحه أنس في قوله :

جُمع السبي
فجاء دحية الكلبي فقال : يا رسول الله اعطني جارية من السبي ،
قال : اذهب فخذ جارية ،
فأخذ صفية بنت حيي ،
فجاء رجل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال :

يا نبي الله ، أعطيت دحية صفية بنت حيي سيد قريظة والنضير ؟ ما تصلح إلا لك !!
قال : ادعوا بها ، فلما نظر إليها – صلى الله عليه وسلم –
قال : خذ جارية من السبي غيرها(١٦٩) .

وفي رواية أخرى أن دحية الكلبي صديق النبي ، تم تعويضه عن صفية بسبعة رؤوس دفعة واحدة ، وهو ما أخبرنا به ثابت في قوله : "وقعت صفية في سهم دحية ، وكانت جارية جميلة ، فاشتراها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بسبعة رؤوس ، ودفعها إلى أم سليم تصنعها وتهيئها" .

وما أن ارتحل الجيش عن خيبر ، حتى أناخ في سد الصهباء في الطريق إلى يثرب ، وضربت للنبي وصفية قبة ، ظل فيها النبي معها من الأيام ثلاثة ، أو بتعبير ابن كثير :

وأقام ثلاثة أيام يبني بها ..

وكانت التي جمّلتها إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومشّطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان ، أم أنس بن مالك(١٧٠) .
ويروي البيهقي :

وقد بات أبو أيوب ليلة دخل بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قائما قريبا من قبته .

ولما خرج الرسول من القبة سأله عن طوافه حول القبة كل ذلك الوقت ، فردّ أبو أيوب مفصحا عن مدى إخلاص الرجال لصاحب الدعوة :

لما دخلت بهذه المرأة ،
وذكرت أنك قتلت أباها وأخاها وزوجها
وعامة عشيرتها ،
فخفت لعمر الله أن تغتالك(١٧١) .

وهو الأمر الذي يجد صداه فيما أفصح عنه لسان صفية عندما آلت إلى النبي في قولها : "كان رسول الله من أبغض الناس إليّ ، قتل زوجي وأبي ، فما زال يعتذر إليّ ويقول : إن أباك ألّب علي العرب .. حتى ذهب ما بنفسي"(١٧٢) .

وفي خيبر أحداث أخرى حدثت ، تفصح عن كثير مما في النفوس من مكامن ، وتكشف عما في العقول من مفاهيم ، فهذه صفية تصفو للنبي ويزول ما بنفسها من بغض له ، لتخبره وهو يبني بها داخل القبة برؤيا رأتها ، يأتينا خبرها في قص البيهقي علينا :

أقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يبني بصفية .. ورأى – صلى الله عليه وسلم – بعين صفية خضرة ، فقال : يا صفية ما هذه الخضرة ؟ قالت : كان رأسي في حجر بن أبي الحقيق وأنا نائمة ، فرأيت القمر زال من مكانه فوقع في حجري ، فأخبرته بذلك ، فلطمني وقال :

تمنين ملك يثرب ؟!
أو
تمنين هذا الملك الذي بالمدينة ؟!

فأعجب الرسول – صلى الله عليه وسلم – برؤياها(١٧٣) .

وهو الرد الذي يعبر عن رؤية العرب آنذاك للنبي كملك على يثرب ، أو رؤيتهم الأوسع لما هو آت ، في صياغة ابن هشام لرد كنانة على زوجته صفية :

ما هذا إلا لأنك تمنين ملك الحجاز محمدا ؟![١٧٤]

وهو ما أعجب ابن كثير فطرب له وهو يوصف رؤيا صفية في قوله : "فسألها ما شأنها ؟ فذكرت له ما كانت رأت من تلك الرؤيا الصالحة رضي الله عنها وأرضاها"[١٧٥] .

ومفهوم كنانة بن أبي الحقيق ، ومفهوم صفية بنت حيي عن النبوة بحسبانها ملكا ، هو الفهم الطبيعي الناشئ عن تأسيس دولة للعرب في يثرب ، وهي رؤية واضحة من صفية تتفق مع مفاهيم توراتها ، قبل أن تعاشر النبي وتعرف معنى النبوة الحقة ، فهي لا تعلم حسب مأثورها الديني سوى الملك ، كملك داود ، وملك سليمان وغيرهما ، أما أنبياء التوراة فكانوا مجرد دراويش ، وما يفعله محمد هو بالمطابقة فعل داود وسليمان عندما وحّدا قبائل البدو في دولة تأسيسية في فلسطين ، وفي ضوء هذا الفهم يلتقي تجريد الكتائب والجيوش مع أساليب ملوك التوراة ، وهو الأمر الذي ترك في نفسها في مبدأ الأمر بغضا شديدا لذلك الملك الذي حلمت به ، وزادها بغضا ما رأته يفعل بقومها إزاء إخفائهم أمر كنزهم عنه ، ويروي ابن هشام مشهدا لا شك كان ذا أثر عميق في نفس صفية ، حيث يقول نقلا عن ابن إسحاق :

ولما افتتح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – القموص ، حصن بني الحقيق ، أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بصفية بنت حيي بن أخطب وبأخرى معها ، فمر بهما بلال ، وهو الذي جاء بهما ، على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأتهم التي مع صفية ، صاحت ، وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها ، فلما رآها رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ، قال : أغربوا عني هذه الشيطانة .

وأمر بصفية فحيزت خلفه ،
وأبقى عليها رداءه .

فعرف المسلمون أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد اصطفاها لنفسه ، وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لبلال : أنزعت منك الرحمة يا بلال ، حتى تمر بامرأتين على قتلى من رجالهما؟[١٧٦]

وهكذا كان الرسول ينبه هذا وينهي ذاك ، ويحاول رفع القسوة وانعدام الرحمة ، ويمنع نكاح الحبالى من النساء ، ومع ذلك ظلت هناك مظاهر للقسوة تنبو هنا وتطفو هناك ، مثلما حدث مع محمد بن مسلمة الذي لم يكتف بقتل كنانة زوج صفية ثأرا بأخيه محمود الذي ألقيت عليه الرحى ، حيث يقول الواقدي : "إن محمد بن مسلمة ضرب ساقي مرحب فقطعهما ، فقال مرحب : أجهز عليّ يا محمد ، فقال محمد : ذق الموت ذق ، كما ذاقه أخي محمود ، وظل الرجل على حاله يعاني لولا أن مر عليه الإمام علي ففصل رأسه عن جسده رحمة به[١٧٧] .

ومن الجدير بالذكر أن الرواة اختلفوا في أمر صفية ، هل ظلت محظية ضمن جواري الرسول أم تزوجها لتصبح من أمهات المؤمنين ، خاصة أنه قد بنى بها ولم تكمل عدتها ، لكن تميل الأغلبية إلى أنه أعتقها وتزوجها ، وهو ما جاء في الشاهد : "قال حماد ، قال عبد العزيز لثابت ، يا أبا محمد ، أنت قلت لأنس ما أصدقها ؟ قال أصدقها نفسها ، فحرك ثابت رأسه كأنه صدقه"[١٧٨] بمعنى أنه تزوجها بدليل أنه أعطاها صداقا ، وأن هذا الصداق كان عتقها .

ولا يمضي من الزمن هنيهات وأيام ، حتى يحدث أمر جلل ، حيث كانت محاولة اغتيال سيد الخلق بالسم ، وهو ما جاء في رواية تقول :

دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على صفية ومعه بشر بن معرور ، وهو أحد بني سلمة ، فقدمت إليهم الشاة المصلية ، فتناول رسول الله الكتف وانتهش منها ، وتناول بشر عظما وانتهش منه"[١٧٩] .

ويلوك النبي نهشته من لحم الكتف ، ليلفظه بسرعة ويهتف بضيوفه "ارعوا أيديكم فإن كتف هذه الشاة يخبرني أنه مسموم ، فلم يقم بشر من مكانه حتى عاد لونه كالطيلسان" ، ويموت بشر من نهشته ، ويشعر النبي بآثار السم القاتل تسري في بدنه ، فيحتجم يومئذ ، وقد حجمه مولى بني بياضة بالقرن والشفرة ، ويقي رسول الله بعده ثلاث سنين ، حتى كان وجعه الذي توفى فيه ، فقال : "ما زلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر عددا ، حتى كان هذا أوان انقطاع أبهري ، فتوفي رسول الله شهيدا ، قال ابن هشام : الأبهر هو العرق المعلق بالقلب .. فكان المسلمون يرون أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد مات شهيدا ، مع ما أكرمه به الله من النبوة"[١٨٠] .

ثم نعلم من كتب الأخبار والسير والتأريخ ، أن تلك الشاة المسمومة ، جاءت صفية هدية من قريبة يهودية لها هي زينب بنت الحارث أهدتها لها لتقدمها إلى سيد الخلق المصطفى ، ولما سألها النبي لم اقترفت ذلك العمل الشنيع ؟ قالت : "قتلت أبي وعمي وزوجي وأخي .. قال القاضي عياض : واختلفت الآثار والعلماء ، هل قتلها النبي – صلى الله عليه وسلم – أم لا ؟"[١٨١] .

غزوة مؤتة

على رأس السرية يوفد النبي زيدا بن حارثة في ثلاثة آلاف مقاتل ، وكان النبي يعلم جيدا ماذا يواجهون ، ويعلم سلفا النتائج ، لكنها كانت أول هجمة كبرى مقصودة للإعلان عن الآتي ، ولعلمه – صلى الله عليه وسلم – بما هو مقدم عليه قال في رجاله : إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس ، فإن قتل عبد الله فليرتضي المسلمون بينهم رجلا فليجعلوه عليهم[١٨٢].

وتخرج سرية الشهداء العظام ، تلك السرية الفدائية ، ميممة وجهها شطر البلقاء على تخوم جنوبي دمشق ، ويبلغ خبرها إلى هرقل عظيم الروم ، فينزل بنفسه إلى لقاء هؤلاء الذين تجرأوا على حدود مملكته في مائة ألف من الروم ، ومائة ألف من القبائل العربية المتاخمة للروم والموالية لها ، وهو الهول الذي يصوره أبو هريرة قائلا :

شهدت مؤتة ، فلما دنا المشركون منا ، رأينا ما لا قبل لأحد به[١٨٣] .

وكان طبيعيا أن يقتل الروم الأمراء الثلاثة ، وكثيرا من مقاتلي المسلمين المقدمين ، حتى تناول خالد بن الوليد الراية ، لينسحب بما بقي من الجيش الذي عاد ممزقا إلى يثرب ، ويستقبلهم العامة على أبواب المدينة بالتراب يحثونه في وجوههم يقولون :

يا فرار ، فررتم في سبيل الله .

لكن ليرد عليهم سيد الخلق بعد أن أبلغ رسالة عملية إلى هرقل بعد رسالته المكتوبة ، وإلى قريش ، وإلى العالم أجمع ، بقوله للناس :

ليسوا بالفرار ،
لكنهم الكرار إن شاء الله .

إعلانا عن أن تلك السرية الفدائية كانت مقدمة ، وأن الإصرار على غزو الروم وكسرى قائم لا يلين ، وأن هناك كرّات آتية وكرّات ، وأن الوعد النبوي قائم كعلم يرفرف لا يتراجع ، يردد في مسمع العربان : "والذي نفس محمد بيده ، لتملكن كنوز كسرى وقيصر" .

أما إذا كان عدد من خيار الصحابة قد قدموا أنفسهم شهداء على مذبح الهدف الأكبر ، فقد نالوا كفايتهم من الثواب ، إلى الحد الذي ارتفعوا فيه إلى مصاف كبار الأنبياء ، بعد أن رآهم النبي في رحلة سماوية في رؤياه ، حيث اطلع عليهم في فردوس الرحمن "فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر ، فقلت من هؤلاء ؟ قالوا :

هذا جعفر بن أبي طالب
وزيد بن حارثة
وعبد الله بن رواحة .

ثم أشرفوا شرفا آخر ، فإذا بنفر ثلاثة ، فقلت من هؤلاء ؟ قالوا :

هذا : إبراهيم
وموسى
وعيسى
عليهم السلام ، وهم ينتظرونك .

فتح مكة وإسلام أبي سفيان

وتوجه أبو سفيان مع العباس بعد الصلاة ليراه النبي فيفاجئه بالسؤال :

ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟

يقينا يعلم أبو سفيان ذلك ، وكذلك سائر قريش يعلمون يقينا ، أن لا إله إلا الله ، وقد شهدت لهم الآيات القرآنية بذلك العلم ، فالله لا إله سواه ، لكن هناك الأرباب الأدنى درجة من الإله ، تلك التي تشفع للناس عند الله ، ومن ثم كنت إجابة أبي سفيان :

بأبي أنت وأمي
ما أحلمك ، وأكرمك ، وأوصلك
والله لقد ظننت أنه لو كان مع الله إله غيره
لقد أغنى عني شيئا بعد .

وهنا ينتقل النبي إلى الشق الثاني من السؤال ، وهو الشق الذي لا شك سيشق على أبي سفيان ، فيقول له :
ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟

فتأخذ الرجل أنفة الصدق العربي في التعبير عن الدواخل ليرد قائلا :

بأبي أنت وأمي
ما أحلمك ، وأكرمك ، وأوصلك
أما هذه
والله فإن في النفس منها حتى الآن شيئا
لم يكن الرجل بعالم أن إجابته غير موفقة بالمرة ، وأن الأمور قد تغيرت ، حتى أساليب التعامل العربية لأن صراحته هنا لن تكون سوى مدخل له إلى المثوى الأخير ، فيسرع العباس ينبه الرجل بقوله :

ويحك
أسلم واشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمدا رسول الله
قبل أن تضرب عنقك

وعلى الفور يقولها زعيم قريش ، ويسلم الرجل[١٨٥] ، ثم يقول متلعثما محاولا إظهار تمسكه بدينه وبهيبته :

وكيف أفعل بالعزى ؟

ليسمعه عمر بن الخطاب بجوار الخيمة ، فيرد عليه بصوت عال ساخرا ضاحكا ليسمعه :

نخرا عليها

فيقول أبو سفيان : "ويحك يا عمر إنك رجل فاحش ، دعني مع ابن عمي فإياه أكلم"[١٨٦] .

ومرة أخرى يتدخل العباس يقول للنبي – صلى الله عليه وسلم - : "يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا" .

كان الأمر إذن مقضيا ، وانتهى أمر زعامة مكة قبل دخولها ، حتى أن العباس رأى أن يجعل لزعيم قريش شيئا بعدما لم يبق له شئ .

ويرى النبي أنه لا بأس من شئ لأبي سفيان فيقول : "نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن" .

خرج النبي إلى ساحة الكعبة ، يطوف على الأصنام يشير إليها بقضيب في يده وهو يقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا ، ويؤكد ابن هشام عن ابن إسحاق أنه ما أشار إلى صنم إلا وقع لساعته على وجهه أو قفاه ، لكن ابن كثير لم يعجبه ذلك ، ورأى في سقوط الأصنام بمجرد الإشارة تزيّداً ورواية ضعيفة[١٨٧] .

وقد أمر الرسول بقتل عدد من الرجال سماهم بأسمائهم حتى لو وجدوا متعلقين بأستار الكعبة .

وممن صدر بحقهم حكم الموت كان شقيق عثمان بن عفان من الرضاعة ، عبد الله بن أبي سرح ، لأنه كان قد أسلم ، واشتغل بكتابة الوحي للنبي ، ثم ارتد إلى مكة مشركا ، وقد جاء به عثمان إلى النبي يستأمنه ، وهو ما جاء عند ابن كثير راويا : فلما جاء ليستأمن له صمت عنه الرسول طويلا ، ثم قال : نعم ، فلما انصرف مع عثمان قال الرسول لمن حوله : أما كان فيكم رجل رشيد ، يقوم إلى هذا – حين رآني قد صمت – فيقتله ؟! فقالوا : يا رسول الله هلا أومأت إلينا ؟ فقال : إن النبي لا يقتل بالإشارة"[١٨٨] .

وتقول رواية أخرى بذات الخصوص أن واحدا من الأنصار كان قد نذر أن يقتل ابن أبي سرح نقمت عليه ، فلما جاء به عثمان وكان الأنصاري حاضرا ، وبعد ما خرج عثمان وأخوه قال النبي للأنصاري : "هلا وفيت بنذرك ؟ فقال : يا رسول الله وضعت يدي على قائم السيف أنتظر منك أن تومئ لي فأقتله ، فقال النبي : ليس لنبي أن يومئ"[١٨٩] .

خالد بن الوليد وقتله للمسلمين

رغم قتل خالد لعدد كبير من مسلمي جذيمة ، وأنه ، قتل طائفة كثيرة منهم وأسر بقيتهم ، وقتل أكثر الأسرى أيضا ، فمع هذا لم يعزله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بل استمر به أميرا .. لهذا لم يعزله أبو بكر في خلافته حين قتل مالك بن نويرة أيام الردة ، وتأول عليه ما تأول حين ضرب عنقه واصطفى امرأته أم تميم ، فقال له عمر بن الخطاب : اعزله فإن في سيفه رهقا ، فقال له الصّديق : لا أغمد سيفا سلّه الله على المشركين"[١٩٠] .

وقعة حنين

مع ما جاءت به الآيات الكريمة "وأنزل جنودا لم تروها" فتح الباب لحديث المعجزات ، ورغم القرار الواضح في الآيات عن رب العالمين الصادق صدق كماله بأنهم لم يروها ، فقد قرر البعض التطوع بالشهادة أنهم رأوها ، لتأكيد وجود الملأ الأعلى منذ بدء المعركة وقبل هزيمة المسلمين ، ومن تلك الشهادات رواية تقول :

أن مالك بن عوف النصري بعث عيونا من رجاله فأتوه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال : ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق ، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى(١٩١) .

ثم نموذج آخر مُجهَّل المصدر بدوره ، لا نعرف أصحابه في رواية تقول عند هزيمة المسلمين وثبات الرسول وآل بيته المطلبي والطالبي :

عمن شهد حنينا كافرا قال : لما التقينا نحن ورسول الله – صلى الله عليه وسلم - ، لم يقوموا لنا حلب شاة ، فجئنا نهش سيوفنا بين يدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ، حتى إذا غشيناه فإذا بيننا وبينه رجال حسان الوجوه ، فقالوا : شاهت الوجوه فارجعوا فهزمنا من ذلك الكلام(١٩٢) .

ومثيل تلك المحاولة لقتل رسول الله يأتي الحديث منسوبا إلى شيبة بن عثمان العبدري ، الذي خرج من قريش مع رسول الله إلى هوازن يريد أن يغتاله في زحمة القتال ، فيقول ابن كثير راويا على لسان شيبة :

لما رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم حنين قد عُرى ، ذكرت أبي وعمي وقتل حمزة إياهما ، فقلت اليوم أدرك ثأري من رسول الله – صلى الله عليه وسلم - .. ثم جئته من خلفه فلم يبق إلا أن أساوره سورة بالسيف ، إذ رفع شواظ من نار بيني وبينه كأنه برق ، فخفت أن يمحشني(١٩٣) .

هذا بينما يروي البلاذري الرواية ذاتها ، لكن من منطق آخر ، حيث يقول :

وكان شيبة بن عثمان العبدري شديدا على المسلمين ، وكان ممن أومن فسار إلى هوازن طمعا في أن يصيب من النبي – صلى الله عليه وسلم - ، قال : فدنوت منه ، فإذا أهله محيطون به ، ورآني فقال : يا شيب إليّ ، فدنوت منه فمسح على صدري ودعا لي فأذهب الله كل غل فيه ، وملأه إيمانا وصار أحب الناس إليّ(١٩٤) .

أما ذلك الراوي الذي كان طوال الوقت مغرما بالنمل ، يرى فيه صورة الملائكة ، فيروي لنا على لسان جبير بن مطعم قوله :

إنا لمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوم حنين ، والناس يقتتلون ، إذا نظرت مثل البجاد الأسود يهوى من السماء حتى وقع بيننا وبين القوم ، فإذا نمل منثور وقد ملأ الوادي ، فلم يكن إلا هزيمة القوم ، فما كنا نشك أنها الملائكة(١٩٥) .

أما السهيلي فيشرح لنا اختيار النمل تحديدا لتتلبسه الملائكة فيقول :

ورآهم جبير على صورة النمل المبثوث ، إشعارا بكثرة عددها ، إذ النمل لا يُستطاع عدّها ، مع أن النملة يضرب بها المثل في القوة ، فيقال : أقوى من نملة ، أنها تحمل ما هو أكبر من جرمها بأضعاف ، وقد قال رجل لبعض الملوك : قوتك قوة نملة ، فأنكر عليه ، فقال : ليس في الحيوان ما يحمل ما هو أكبر منه إلا النملة(١٩٦) .

أما ابن سعد فيخالف الآيات وعلم الله الصادق فيؤكد رؤية الملائكة ، وأن سيماءهم يوم حنين كانت عمائم حمر قد أرخوها بين أكتافهم(١٩٧) ؟!

ويعود هنا حديث الحصيات المباركات مرة أخرى في رواية يوردها ابن كثير تقول :

فنظر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم ، فقال : الآن حمي الوطيس ، ثم أخذ حصيات فرمى بهن في وجوه الكفار ثم قال : انهزموا ورب محمد .. ما بقي أحد إلا امتلأت

عيناه وفمه بالتراب ، وسمعنا صلصلة من السماء كمر الحديد على الطست الحديد ، فهزمهم الله عز وجل ، ثم أقبل على المشركين فرمى بها في وجوههم وقال : ارجعوا ، شاهت الوجوه ، فما أحد يلقى أخاه إلا وهو يشكو قذى في عينيه[١٩٨] .

عام الوفود

قال محمد بن إسحاق :
لما افتتح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مكة وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه .

قال ابن هشام :
حدثني أبو عبيدة أن ذلك في سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

قال ابن إسحاق :
وإنما كانت العرب تربص بإسلامها أمر هذا الحي من قريش ، لأن قريشا كانوا إمام الناس وهاديتهم وأهل البيت والحرم ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم ، وقادة العرب لا ينكرون ذلك ، وكانت قريش هي التي نصبت الحرب لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وخلافه ، فلما افتتحت مكة ودانت له قريش ، ودوخها الإسلام ، عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله كما قال عز وجل أفواجا ، يضربون إليه من كل وجه .

يقول الله تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم -:
"إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا . فسبّح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا" (سورة النصر)[١٩٩] .

الأيام الأخيرة للرسول العظيم

عن ابن طاووس عن أبيه أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال :
نُصرت بالرعب ، وأُعطيت الخزائن وخُيرت بين أن أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتي ، وبين التعجيل ، فاخترت التعجيل[٢٠٠] .

في أول شهر ربيع الأول يطلب النبي عبده أبا مويهبة ، ليتحامل عليه ويأمره باصطحابه إلى مقابر أصحابه ، الذين ماتوا في حروب إنشاء الدولة ، ويذهب معه إلى البقيع متحاملا على نفسه ، ليقف وسط المقابر يقول للموتى :

السلام عليكم يا أهل المقابر
ليهنأ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى (؟!)
ويلتفت إلى أبي مويهبة يقول له :
إني قد أوتيت خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة .

ليقاطعه عبده المخلص :
بأبي أنت وأمي ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلافة

لكن ليرد عليه المصطفى – لهفي عليه :

لا والله يا أبا مويهبة
لقد اخترت لقاء ربي والجنة

ثم يروي أبو مويهبة أنه وقف يستغفر لأهل المقابر ، ثم عاد أدراجه ليبتدأ وجعه يظهر عليه ويلحظه الناس[٢٠١] :

لما حضر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وفي البيت رجال فيهم عمر ابن الخطاب ، قال النبي : هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ، فقال عمر : إن النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ، فاختلف أهل البيت فاختصموا ، منهم من يقول : قربوا يكتب لكم النبي كتابا لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم – صلى الله عليه وسلم – قوموا – قال عبد الله بن مسعود – فكان ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم .

لكن الشيخ يؤكد أن أصحاب السنن والأخبار ، قد تصرفوا في قول عمر : "إن النبي قد غلب على الوجع ، فنقلوه بالمعنى لأن لفظه الثابت : "إن النبي يهجر" ، لكنهم هيئوا العبارة اتقاء لفظاعتها في حق رسول الله[٢٠٢] .

تلك كانت حروب الرسول – ص – التي أداخ بها العرب وغيرهم وبها استتبت الأمور في امبراطوريته المترامية الأطراف ، وبها تحقق حلم جده الأكبر قصي وجده المباشر عبد المطلب .

عن كتاب "حروب دولة الرسول" للدكتور سيد القمنى .

الهوامش

(١) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٣ ص ٢٦١
(٢) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٣ ص ٢٦٣
(٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٨٧
(٤) الروض الأنف – السهيلي ج ٣ ص ٧٧
(٥) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٣ ص ٢٦٠
(٦) المصدر السابق
(٧) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٣ ص ٢٦٦
(٨) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٣ ص ٢٧١
(٩) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٩٢
(١٠) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٣ ص ٢٧٤
(١١) الروض الأنف – السهيلي ج ٣ ص ٣٩
(١٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤١٣
(١٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤١٣
(١٤) الروض الأنف – السهيلي ج ٣ ص ٣٦
(١٥) دلائل النبوة – البيهقي ج ٣ ص ٨٩
(١٦) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٣ ص ٢٩١
(١٧) دلائل النبوة – البيهقي ج ٣ ص ٩٨
(١٨) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٣ ص ٢٨٣
(١٩) دلائل النبوة – البيهقي ج ٣ ص ٨٠
(٢٠) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤١٢
(٢١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤١٠
(٢٢) الروض الأنف – السهيلي ج ٣ ص ٣٨
(٢٣) دلائل النبوة – البيهقي ج ٣ ص ٥٤
(٢٤) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٥٣
(٢٥) المصدر السابق ص ٤٥٤
(٢٦) دلائل النبوة – البيهقي ج ٣ ص ٥١
(٢٧) الروض الأنف – السهيلي ج ٣ ص ٤١
(٢٨) دلائل النبوة – البيهقي ج ٣ ص ٥٨
(٢٩) المصدر السابق ص ٨٧
(٣٠) ابن سيد الناس – ج ١ ص ٣١٢
(٣١) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٣ ص ٣٠٩
(٣٢) دلائل النبوة – البيهقي ج ٣ ص ٦٠
(٣٣) الروض الأنف – السهيلي ج ٣ ص ١٠٢
(٣٤) في الفلسفة الإسلامية – ابراهيم البيومي ص ٨٣
(٣٥) دلائل النبوة – البيهقي ج ٣ ص ٥٨
(٣٦) الروض الأنف – السهيلي
(٣٧) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٠٧
(٣٨) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٣ ص ٢٨٠
(٣٩) المحبر – ابن حبيب ص ١١٦
(٤٠) دلائل النبوة – البيهقي ص ١٩٣
(٤١) الروض الأنف – السهيلي ج ٣ ص ١٦٤
(٤٢) دلائل النبوة – البيهقي ج ٣ ص ١٧٣
(٤٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٧٩

(٤٤) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٨٠
(٤٥) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ٤
(٤٦) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٧٥
(٤٧) عيون الأثر – ابن سيد العيون ج ١ ص ٣٥٣
(٤٨) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٨٠
(٤٩) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٧٨
(٥٠) المصدر السابق
(٥١) دلائل النبوة – البيهقي ج ٣ ص ٥٨
(٥٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٩٩
(٥٣) الروض الأنف – السهيلي ج ٣ ص ١٤٩
(٥٤) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٩٣
(٥٥) المصدر السابق
(٥٦) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ٣٨
(٥٧) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٠٢
(٥٨) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ٢٣
(٥٩) دلائل النبوة – البيهقي ج ٣ ص ٢٢٩
(٦٠) المصدر السابق ص ٢١٠
(٦١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٠٢
(٦٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٠٣
(٦٣) المصدر السابق ص ٥٠٥
(٦٤) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥١٩
(٦٥) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ٥٦
(٦٦) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥١٣
(٦٧) دلائل النبوة – البيهقي ج ٣ ص ٢٣٦
(٦٨) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٠٥
(٦٩) المصدر السابق ص ٢٣٩
(٧٠) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ٢٧
(٧١) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ٣٦
(٧٢) الروض الأنف – السهيلي ج ٣ ص ١٦٦
(٧٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥١١
(٧٤) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ٣٧
(٧٥) المصدر السابق
(٧٦) المصدر السابق ص ٢٧
(٧٧) الروض الأنف – السهيلي ج ٣ ص ١٧٠
(٧٨) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٧٥
(٧٩) دلائل النبوة – البيهقي ج ٣ ص ٣١٠
(٨٠) المحبر – ابن حبيب ص ٢٨٣
(٨١) ابن كثير ج ٤ ص ٢٩
(٨٢) الروض الأنف – السهيلي ج ٣ ص ١٥٢
(٨٣) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ٤١
(٨٤) المصدر نفسه
(٨٥) السيرة الحلببية ج ٢ ص ٥٣٤
(٨٦) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٢٩
(٨٧) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ٤٩
(٨٨) صحيح مسلم – كتاب الإمارة
(٨٩) دلائل النبوة – البيهقي ج ٣ ص ٢٩٨

(٩٠) صحيح البخاري – كتاب المغازي
(٩١) صحيح مسلم – كتاب الفضائل
(٩٢) دلائل النبوة – البيهقي ج ٣ ص ٢٥٦
(٩٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٤٤
(٩٤) المصدر السابق ص ٥١٣
(٩٥) دلائل النبوة – البيهقي ج ٣ ص ٢٠٩
(٩٦) المصدر السابق ص ٢٥١
(٩٧) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥١٥
(٩٨) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٤٣
(٩٩) الروض الأنف – السهيلي ج ٤ ص ٢٣٧
(١٠٠) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٦٤٣
(١٠١) أنساب الأشراف – البلاذري ج ٢١ ص ١٥٦
(١٠٢) الروض الأنف – السهيلي ج ٣ ص ١٩٣
(١٠٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٧٣
(١٠٤) عيون الأثر – ابن سيد الفاس ج ١ ص ٣٥٣
(١٠٥) دلائل النبوة – البيهقي ج ٧ ص ١٧٩
(١٠٦) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٥١
(١٠٧) البداية والنهاية - ابن كثير ج ٤ ص ٧٦
(١٠٨) المصدر السابق
(١٠٩) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٤١
(١١٠) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٥٢
(١١١) دلائل النبوة – البيهقي ج ٣ ص ١٨٢
(١١٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٦٤
(١١٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٥٢
(١١٤) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٥٣
(١١٥) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٦٧
(١١٦) البخاري في تفسير سورة الحشر
(١١٧) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٥٦
(١١٨) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٧٦
(١١٩) المصدر السابق ص ٥٧٧
(١٢٠) المصدر السابق ص ٥٧٨
(١٢١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٣٢
(١٢٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٦٢
(١٢٣) البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ١٠٣
(١٢٤) الكامل – ابن الأثير ج ٢ ص ١٧٩
(١٢٥) دلائل النبوة – البيهقي ج ٣ ص ٤١٩
(١٢٦) سيرة ابن هشام في كتاب السهيلي ج ٣ ص ٢٦٠
(١٢٧) الكامل – ابن الأثير ج ٢ ص ١٧٩
(١٢٨) سيرة ابن هشام في كتاب السهيلي ج ٣ ص ٢٦١
(١٢٩) المصدر السابق ص ٢٦٠
(١٣٠) المصدر السابق
(١٣١) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ١٠٠
(١٣٢) عيون الأخبار – ابن قتيبة ج ٢ ص ٢١١
(١٣٣) دلائل النبوة – البيهقي ج ٣ ص ٤٤٨
(١٣٤) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ١١٦
(١٣٥) المصدر السابق ص ١١٩

(١٣٦) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٨١
(١٣٧) دلائل النبوة – البيهقي ج ٤ ص ٩
(١٣٨) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ١٢٠
(١٣٩) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٨٢
(١٤٠) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ١٢١
(١٤١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٨٤
(١٤٢) المصدر السابق ص ٥٨٣
(١٤٣) المصدر السابق ص ٥٨٨
(١٤٤) المصدر السابق ص ٥٨٦
(١٤٥) المصدر السابق ص ٥٨٧
(١٤٦) المصدر السابق ص ٥٨٨
(١٤٧) المصدر السابق ص ٥٨٩
(١٤٨) المصدر السابق ص ٥٩٣
(١٤٩) دلائل النبوة – البيهقي ج ٤ ص ٢٠
(١٥٠) سيرة ابن هشام في كتاب السهيلي ج ٢ ص ١٠٤
(١٥١) دلائل النبوة – البيهقي ج ٤ ص ٢٨
(١٥٢) عيون الأثر – ابن سيد الناس ج ٢ ص ١٠٤
(١٥٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٩١
(١٥٤) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ١٢٧
(١٥٥) فتوح البلدان – البلاذري ج ١ ص ٢٣
(١٥٦) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥١٠
(١٥٧) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ١٢٨
(١٥٨) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٥٩٢
(١٥٩) طبقات ابن سعد ج ١ ص ٦٧
(١٦٠) دلائل النبوة – البيهقي ج ٤ ص ٨٧
(١٦١) عيون الأثر – ابن سيد الناس ج ٢ ص ١١٩
(١٦٢) سيرة ابن هشام في كتاب السهيلي ج ٤ ص ٨
(١٦٣) دلائل النبوة – البيهقي ج ٢ ص ١٠٠
(١٦٤) عيون الأثر – ابن سيد الناس ج ٢ ص ١٦٤
(١٦٥) أخرجه البخاري في كتاب المغازي حديث ٤١٥٢
(١٦٦) دلائل النبوة – البيهقي ج ٤ ص ١١٥
(١٦٧) عيون الأثر – ابن سيد الفاس ص ١٧٣
(١٦٨) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ١٩٧
(١٦٩) المصدر السابق ص ١٩٨
(١٧٠) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ٢١٢
(١٧١) دلائل النبوة – البيهقي ج ٤ ص ٢٣٠
(١٧٢) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ٢١٠
(١٧٣) دلائل النبوة – البيهقي ج ٤ ص ٢٣٠
(١٧٤) الروض الأنف – السهيلي ج ٤ ص ٤٣
(١٧٥) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ١٩٧
(١٧٦) الروض الأنف – السهيلي ج ٤ ص ٤٣
(١٧٧) دلائل النبوة – البيهقي ج ٤ ص ٤١٦
(١٧٨) طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٨٥
(١٧٩) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ٢١١
(١٨٠) المرجع السابق
(١٨١) دلائل النبوة – البيهقي ج ٤ ص ٢٥٧

(١٨٢) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ٢٤١
(١٨٣) المرجع السابق
(١٨٤) المرجع السابق ص ٢٤٨، ٢٥٣، ٢٦٠
(١٨٥) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٩٩
(١٨٦) المرجع السابق
(١٨٧) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ٣٠٠
(١٨٨) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ٢٩٦
(١٨٩) طبقات ابن سعد مجلد ٢ ج ١ ص ١٠٢
(١٩٠) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ٣١٣
(١٩١) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ٣٢٢
(١٩٢) المرجع السابق ص ٣٣١
(١٩٣) المرجع السابق
(١٩٤) أنساب الأشراف – البلاذري ج ١ ص ٣٦٦
(١٩٥) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ٣٣٢
(١٩٦) الروض الأنف – السهيلي ج ٤ ص ١٤٢
(١٩٧) طبقات ابن سعد مجلد ٢ ج ١ ص ١٠٩
(١٩٨) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٤ ص ٣٣٠
(١٩٩) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٥ ص ٣٧
(٢٠٠) البداية والنهاية – ابن كثير ج ٥ ص ١٩٧
(٢٠١) الروض الأنف – السهيلي ج ٤ ص ٢٤٦
(٢٠٢) النص والإجتهاد – عبد الحسين شرف الدين الموسوي ص ٩٠، ٩٣

الارهاب الاسلامي

اجلاء بنى النضير نموذجا

تعتبر قضية إجلاء بني النضير من المفردات المهمة و الخطيرة في تاريخ السيرة النبوية، والأسباب كثيرة بطبيعة الحال، منها كونها تتصل بالعدو التقليدي للإسلام والمسلمين في الجزيرة العربية، ومنها لان المصادر التاريخية تصور يهود بني قريضة بالشريحة اليهودية المتفوقة غيرها من الفرق أو الجماعات اليهودية بالقوة والمنعة والموقع الاجتماعي، فهم كما ينقل عن النبي مثل بني المغيرة في قريش /الواقدي ص ٣٧٥ /، كما تصورهم مصادرنا التاريخية والتراجمية بالغنى وا لأنفة وسعة الرزق، ويقولون إنهم كانوا أكثر حضورا من بني قينقاع وقريضة . ومن هنا، ولهذه الاسباب يستغرب القا رئ كيف يكون هناك اختلاف في توريخ هذه القضية رغم أهميتها ودورها، وموقعها في تاريخ الاسلام ومصيره في الجزيرة العربية، ومن الغريب أن يصدر هذا الاختلاف في قضية بالغة الاهمية على مستويات عالية من الرواة الأوائل ممّن يُعتمد عليهم إعتمادا كبيرا في الرواية مثل عروة بن الزبير الزهري وابن اسحق وغيرهما من أساطين مصادرنا في السيرة والمغازي . فقد جاء في كتاب المغازي للبخاري باب حديث بني النضير [(قال الزهري عن عروة) كانت على رأس شتة أشهر من وقعة بدر قبل أحد، وجعله ابن إسحق بعد بئر معونة وأحد، وقد وافق ابن إسحق جل أهل المغازي كما قال الحافظ في الفتح] / فتح الباري ٧ ص ٣٣٠ . وقت

الروايات التي تتحدث عن قضية بني النضير قليلة جدا، ولكن الأختلاف فيها كثير جدا، وفي ضوء هذا من حقنا أن نتساءل عن قيمة الرواية الشفهية في حدث مهم، حيث الروايات الشحيحة والاختلافات والمفارقات الجوهرية!! الروايات عندما تكون شحيحة والاختلاف كبير نكون أمام مشكلة، وتتعقد مشكلة التاريخ، أي كتابة التاريخ عندما يكون ذلك في نطاق حدث يعتبر مهم وجوهوي وخطير . كان هناك اختلاف في توقيت القضية، وأسبابها، ومجرياتها، وبعض نتائجها، فيما كانت الروايات المتعرض للحدث أصلا قليلة، فما هي القيمة الحقيقية للشفاهي إذن؟

كلمة حول المصادر

تتعرّض مصادر السيرة والتاريخ لهذا الحادثة بتفاوت، أقصد على مستوى السرد، ومن الطبيعي أن تكون مصادر السيرة والمغازي والتراجم مثل سيرة ابن هشام والواقدي وطبقات بن سعد أهم من مصادر التاريخ الاسلامي العالم، بما في ذلك الطبري .

بعض كتاب السيرة يتطرق لحادثة ما، ثم يسرد عشرات المصادر كإحالات على هذا الحدث، بصرف النظر عن موقف الكاتب من الحدث بالذات، ولكن فيما لو رجعنا إلى هذا الكم الهائل من الإحالات لوجدناها تنتهي عند مصدر أو مصدرين أو ثلاث! وهذا في تصوري تعقيد .والغريب أن بعضهم يقوم بعملية نقد للمصادر المتقدمة على ضوء المصادر التالية وبحقب زمنية ربما طويلة نسبيا! فهو مثلا يصحح خبر ابن هشام برواية عن ابن الاثير في الكا مل، أو يصحح خبر الطبري بخبر أخر يرد في كتاب (تاريخ الخميس)، وهناك ما هو أدهى وأمر، كثيرا ما يصحح تاريخا مسندا برواية غير مسندة، كأن يصحح رواية ابن إسحق المسندة برواية (أعلام الورى) لمصنفه، وهو كتاب مراسيل بامتياز . لا يعني هذا أن رواية ابن هشام معصومة، ولا يجوز الاقتر اب منها، و لكن كونها مسندة هي أو

لى با لتعامل الإيجابي معها من رواية صاحب (إعلام الورى) غير المسندة بالمرّة، حتى إذا كان سند ابن إسحق ضعيفا .

إن تصحيح المتقدم بالاعتماد على المتأخر شي خطير، ويحتاج إلى دقة وعناية زائدة، خاصة إذا كان المتأخر غير مسند، أو قد نُقِل إلينا وجادة، أو إذا كان أصله تالفا، ومرّ بعدة محاولة نسخ وتهذيب وتشذيب لا ندري ما هي معاييرها ولا دقة عاملها .

مصادر قضية بني النضير كثيرة، وكثيرة جدا، فنحن يمكن أن نراجعها في سيرة ابن هشام، ومغازي الواقدي وطبقات بن سعد وتاريخ الطبري، ومغازي الذهبي، وتاريخ الخميس، وتاريخ اليعقوبي، وأنساب الأشراف، والمحبّر، والمنمّق والمسعودي، وتاريخ وفاء الوفاء، والعبر لإبن خلدون، وتاريخ المنتظم لإبن الجوزي، وصفوة الصفوة، والمبتدا والخبر، وأسد الغابة، والإصابة في معرفة الصحابة، وإعلام الورى، والبحار، والصحاح، والمسانيد، والسنن، وغيرها ما شاء الله من المصادر والاسفار والموسوعات، ولكن بعض هذه المصادر تفتقر إلى السند تماما، كما هي رواية اليعقوبي والبلاذري في أنساب الإشراف، كما أن بعضها تقتصر على سند ناقص، كما هو في سيرة ابن إسحق نفسها كما سنرى، وبعض هذه المصادر هي تكرار لسابقتها، أو اختصارا لها تبعا لتلمذة اللاحق للسابق كما هو في مجمل طبقات بن سعد تبعا لشيخه الواقدي، وبعض هذه المصادر متأخر زمنيا، مثل الكامل والبداية والنهاية وغيرهما من المصادر التاريخية، وبعض هذه المصادر مختصر جدا، كما نقرا في المحبر عن بني النضير بضعة كلمات (ثم عزوة بني النضير في سنة أربع، خرج إليهم يوم الثلاثاء لأثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، فحاصرهم ثلاثة وعشرين يوما حتى أجلاهم، ورجع يوم الخميس من شهر ربيع الأول) ص ١١٣ . كما أن بعض المصادر لا يعدو كونه جامعا للروايات والسرود الواردة في مصادر سابقة، وخير من يمثل ذلك مغازي الذهبي الذي هو جزء من تأريخه الجامع لسابقه أو الجامع للكثير من سابقه، والرجل معروف كونه رجاليا أكثر من كونه مؤرخا (ت ٧٤٨) .

الذي أريد أن أخلص إليه من كل هذا، أن رجوع بعض مؤلفي السيرة إلى مصادر كثيرة لا يعني بالضرورة إنه يرجع إلى مصادر متعددة الينابيع، فهي قد تتشابه بالمسانيد، وقد يكون بعضها قد أخذ من بعض، وقد تكون خالية من الإسناد بالكامل!!

مصادر حادثة بني النضير

في تصوري إن أهم المصادر التي يمكن أن نرجع إليها في معالجة حادثة بني النضير وكثير من حوادث وأمور وقضايا السيرة النبوية هي سيرة ابن إسحق، ومغازي الواقدي، وطبقات بن سعد، وأنساب الاشراف، والطبري من المؤرخين بالدرجة الأولى، ثم تلي الباقيات، ولا ننسى ما ورد في الصحاح ولكن بشرط عدم الأخذ بالقول الذي يرى أن كل ما فيها صحصح، وإلاّ لا نستطيع أن نؤسس تاريخا حقيقيا .

تعرض ابن إسحق للحادثة في رواية عن يزيد بن رومان، وفي رواية حَدَّثه فيها عبد الله بن أبي بكر مُحَدَّثًا، وفي رواية حدّثه فيها بعض(أل يامين) ... والحصيلة النهائية لهذا الا ستعراض، إن رواية ابن إسحق مرسلة، فإن يزيد بن رومان من تابعي التابعين، توفي سنة ثلاثين ومائة للهجرة . وعبد الله بن أبي بكر حُدِّث، فهناك واسطة مجهولة، ثم لا ندري من هم هؤلاء بعض (أل يا مين) وأل يامين يهودي أسلم بعد إجلاء بني النضير .

تعرّض الواقدي للحدث في رواية مسهبة تعادل سردية ابن هشام كثيرا، وفيما يستعرض رجاله في الرواية ينهي السند بقوله (في رجالٍ ممّن لم أُسمِّهم) ص ٣٦٣، ثم في رواية سندها (حدّثني يحي بن عبد العزيز قال: كانت القبة ...) ص ٣٧١، وهي رواية مرسلة، وفي رواية سندها (أبو بكر بن أبي سبرة، عن رُبيح بن عبد الرحمن بن

أبي سعيد الخدري، عن أبيه، عن جدّه، قال: لقد مرّ ...)، والسند مخدوش بـ (رُبيح)، فهو (ليس بمعروف ... وقال الترمذي في العلل الكبير عن البخاري: ربيح منكر الحديث) تهذيب التهذيب ٣ رقم ٤٦٠ . وعبد الرحمن بن سعيد الخدري ليّنه ابن سعد / مغني الذهبي رقم ٣٥٧١ . على أن المصدر القريب للواقدي في هذه الرواية هو (ابو بكر بن أبي سبرة) يعد من أسوأ الرواة في تاريخ الرواية الإسلامية السنية، فهو يقول عبد الله بن أحمد عن أبيه ليس بشي، وكان يضع الحديث ويكذب، ويقول ابن معين ليس حديثه بشي، وقال ابن المديني كان ضعيفا، ويقول مرّة كان منكر الحديث، ويقول البخاري ضعيف، ويقول النسائي متروك / تهذيب التهذيب ١٢ رقم ١٣٨ . فما الذي بقى من الرواية؟ وفي رواية أخرى يتحدث الواقدي عن سلاحهم الذي قبض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بسند (حدّثني أبو بكر بن عبد الله، عن المسور بن رفاعة، قال: وقبض ...) ص ٣٧٧، ولي خمس ملاحظات على المسور بن رفاعة، وهي: ـ

الاولى: إ نه قرظي، فإ ن اسمه الكامل هو: المسور بن رفاعة بن أبي مالك القرظي .

الثانية: يروي عن القرظيين .

الثالثة: تابعي توفى سنة ١٣٨ .

الرابعة: لم يتضح مصدره في رواية الواقدي عنه .

الخامسة: لم يوثّقه غير ابن حبان، وفي توثيقاته نظر وتحفُّظ كما يقول الرجاليون . تهذيب التهذيب ١٠ رقم ٢٨٦ .

يتعرض ايضا في رواية أ خرى بسند (حدّثني موسى بن عمر الحارثي، عن أبي عُفير، قال: إنما كان يُنفق على أهله من بني النّضير ...) ص ٣٧٨ . والرواية تتحدث عن توزيع الغنائم، ولم أجد ترجمة لموسى بن عمر الحارثي فيما عندي من مصادر، كذك رواية عن معمر عن الزهري، عن خارجة بن زيد، عن أم العلاء، يتحدث فيها عن توزيع الغنائم .

الطبري تناول الحدث، مستنداً إلى رواية ابن إسحق مفصلا، ورواية الواقدي الرئيسية مختصرا، وفي رواية يتحدث عن مدة حصارهم من قبل النبي، بسند (حدّثني محمد بن سعد، حدَّثني أبي، قال: حدَّثني عمي، قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يعني بني النضير ـ خمسة عشر يوما ...) ٣ ص ١٥٣ .

نطالع أكثر من روا ية في البخاري وصحيح مسلم عن حادثة بني النضير، وهي روايات لا تسرد الحدث بقدر ما هي اشارات ومعلومات متجزّئة، نتعرض لها أثناء حديثنا المفصّل إن شاء الله تعالى .

وإذا راجعنا جيدا المسانيد والمتون لوجدنا أن أهم المتون في الحدث مرسلة، أقصد متون السرد، في سيرة ابن إسحق والواقدي وطبقات بن سعد،

يقول اليعقوبي (ثم كانت وقعة بني النضير، وهم فخد من جذام / سوف نناقش ذلك لاحقا /... وكان رسول الله بعث إليهم بعد أن وجّه من يقتل كعب بن الأشرف اليهوديّ، الذي أراد أن يمكر برسول الله صلى الله عليه وسلم: أن إخرجوا من دياركم وأموالكم. فوجّه إليهم عبد الله بن سلول وأصحابه المنافقين، لا تخرجوا فإنا نعينكم، فلم يخرجوا. فسار إليهم رسول الله...) اليعقوبي ص ٤٩ .

والنص يواجه مشكلة الإرسال، فهو غير مسند بالمرّة، ثم مقتل (كعب بن الأشرف / وياتي يوم اناقش فيه أصل القضية /) كان في تاريخ سابق على إجلاء بني النضير، فإن كثيرا من الروايات تفيد أن مقتل كعب هذا جاء بعيد معركة بدر كما عليه سيرة ابن هشام والواقدي وغيرهما!

يقول المسعودي في تنبيه الأشراف (ثم غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الاول بني النضير من

اليهود... وكانوا موادعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم همّوا بالغدر به، فنذر بهم، فنبذ إليهم، فأقاموا الحرب، فسار إليهم، فحصرهم خمسة عشر يوما) ص ٢١٣.

هذا النص يواجه معضلة الإرسال.

يروي بن مردويه رواية طويلة أنقلها مختصرة عن فتح الباري الجزء السابع ص ٢٥٥ (... أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمة بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: كتب كفّار قريش إلى عبد الله بن أبي وغيره ممّن يعبد الاوثان قبل بدر، يهددونهم بإيوائهم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وتوعدونهم أن يغزوهم بجميع العرب، فهمَّ ابن أُبي ومن معه بقتال المسلمين، فاتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما كادكم أحد بمثل ما كادتكم قريش، يريدون أن يريدون أن تلقوا بأسكم بينكم، فلما سمعوا ذلك عرفوا الحق فتفرقوا، فلما كانت وقعة بدر كتبت كفّار قريش بعدها إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة والحصون، فاجمع بنو النضير على الغدر، فأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم: أخرج إلينا في ثلاثة من أصحابك ويلقاك ثلاثة من علمائنا، فإن آمنوا بك أتبعناك. فأشتمل اليهود الثلاثة على الخناجر، فأرسلت أمرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم، تخبره بأمر بني النضير، فأخبر أخوها النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليهم، فرجع، وصبَّحهم بالكتائب، فحصرهم يومه، ثم غدا على بني قريظة فحا صرهم فعاهدوه، فانصرف عنهم إلى بني النضير، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الأبل إلاّ السلاح، فاحتملوا حتى أبواب بيوتهم، فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم فيهدمونها، ويحملون ما يوافقهم من خشبها، وكان جلاؤهم ذلك أوّل حشر الناس إلى الشام) ٧ ص ٢٥٥.

هذه الرواية توردها الكثير من المصادر، ولكنّها مصادر متأخرة نوعا ما، وبعضها ليست ذات قيمة سندية معتبرة، وكل صيغها تنتهي بـ (رجل من أصحاب النبي...)، وإذا كان العسقلاني وغيره يعتبرها صحيحة السند، فان الباحث العلمي يتوقف عند بداية السند (رجل من أصحاب النبي...)، ولا يتساهل في ذلك على إعتبار أن الصحابة كلهم عدول، فذلك شأن المحسوبين على التوجه الديني السني التقليدي. على أن هناك بعض الملاحظات الأخرى على الرواية. منها العجب من غياب أسم هذه المرأة التي أنقذت الموقف كله، ومنها غياب أسم الاخ الذي كان واسطة نقل الخبر من أخته إلى الرسول الكريم، فمن الصعب التصديق بأن التاريخ يهمل مثل هذين الاسمين الخطيرين، فقد لعب صاحباهما دورا إنقاذيا لكل التاريخ الاسلامي، بل لنبوة محمّد بحد ذاتها.

الرواية بطبيعة الحال تختلف عمّا جاء في مصادر السيرة المهمة، مثل سيرة ابن هشام والواقدي وطبقات ابن سعد وأنساب الاشراف وغيرها من المصادر المهمة الاخرى. كما أنها تختلف مع روايات أخرى يعتمدها أهل الفقه، مفادها أن النبي لم يقاتل بني النضير، بل استلسم القوم، كما سيأتي بيانه إ ن شاء الله.

بعد كل هذا تشخص الرواية الأهم، المشهورة في كتب السيرة الأصلية، وملخص الأمر ، هو أن عمر بن أُميّة الضمري كان قد بعثه النبي صلى الله عليه وآله في مهمّة إلى مكّة / سأذكر نوع المهمة فيما بعد لاسباب فنية تتعلق بطبيعة البحث / ولما رجع إلى المدينة لقي رجلين من بني عامر، فاعتقد أنهما كانا يتجسسان ويتحسسان أمر النبي وأصحابه بتكليف من قريش، فقتلهما معاً غيلة، وأعلم النبي بذلك فاستكثره عليه بحجة لعهد بينه وبين بني عامر، فلزم النبي أن يدفع ديّة الرجلين (فخرج رسول الله إلى بني النضير يستعينهم في دِية ذينك القَتيلين من بني عامر، اللذين قتل عمرو بن أميَّة الضّمري، للجوار الذي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما، كما حدّثني يزيد بن رومان، وكان بين بني النّضير وبين بني عامر عقد وحلف، فلمّا أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية ذينك القتليلين، قالوا: نعم ، يا أبا القاسم، نُعينك على ما أ حببت، مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، ورسول الله إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد، فمن رجل يعلو هذا البيت، فيُلقي عليه صخرة، فيريحنا منه؟ فأُنتدِب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب، أحدُهم، فقال: أنا لذلك، فصعد ليُلقي عليه صخرة كما قال، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي

رضوان الله عليهم. فأتى رسولَ الله الخبرُ من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج ر اجعا إلى المدينة، فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابُه، قاموا في طلبه، فلقوا رجلا مُقبلا من من المدينة، فسألوه عنه فقال: رأيته داخلا المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنتهوا إليه، فأ خبرهم الخبر، بما كانت اليهود أرادت به من الغدر به، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ب التهيؤ لحربهم، والسير إ ليهم... فتحصنّوا...) سيرة ابن هشام ص ١٢١.

وحاصل الرواية إن النبي محمد قرر تصفية الموقف مع بني النّضير بسبب التأمر على قتله، أي كانت البداية مؤامرة يهودية مسبقة، تعاهد عليها بنو النّضير مستغلين فرصة ذهبية كانت قد توفرّت، ولكن عنصر المفاجأة في الرواية هو كيفية علم النبي بهذه المؤامرة، فالرواية تؤكد أ ن السماء هي التي أبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فتحرك على ضوء هذا الإخبار السما وي، وقرر تصفية الموقف مع هذه الجماعة اليهودية المتأمرة. يروي ذلك مفصّلا الواقدي، كذلك كاتبه ابن سعد في طبقاته مختصرا حديث شيخه محمد بن عمر الواقدي كذلك بصورة مختصرة أنساب الأشراف، والتنبيه والاشراف للمسعودي، وغيرها من المصادر الأخرى.

ويمكن أن نسجل الملاحظات التالية على هذه الرواية، مركِّزين على رواية ابن اسحق والواقدي باعتبارهما أهم مصادر الرواية المذكورة.

أولا: هذه الروايات إمّا بلا سند أصلا، أو سندها مرسل. ويكفي أن نعرف أن رواية ابن اسحق مصابة بهذه الآفة، كذلك رواية الواقدي.

ثانيا: أن بعض هذه المصادر لم تذكر قصّة المؤامرة، فلم نجد لهذه المؤامرة ذكرا في (أنساب الأشراف) مثلا، وهو مصدر مهم.

ثالثا: وهناك إرتباك كبير في قصة القتلين العامريين اللذين جاء النبي بسببهما إلى بني النّضير لأشراكهما في ديتهما، ومن مصاديق هذا الإرتباك، أن ابن اسحق يذكر مقتلهما علي يد عمرو بن أميّة الضمري عندما رجع من (بئر معونة) إلى المدينة، حيث كان النبي أرسله إلى (بئر معونة) لاستجلاب جثة(خبيب بن عدي) الذي قتله القريشون هناك / سيرة ابن هشام ص ١١٨ ، فيما يذكر الواقدي مقتلهما على يد عمرو بن أميّة هذا بعد رجوعه من (مكّة). وكان قد بعثه النبي إليها ليقتل سفيان بن حرب لان الأخير كان قد خطط لقتل النبي، فاراد النبي أن يستبقه بقتله، فكلّف عمرو بن أميّة لذلك، ولكن الأخير فشل، وفي طريقه إلى المدينة من مكّة التقى هذين الرجليين العامريين فقتلهما لظنه إنهما كانا في مهمة تجسسية! وأيده في ذلك ابن هشام في رواية خاصة به مستدركا على ابن اسحق كما مرّ بيانه / سيرة ابن هشام ص ٣٩٧ /.

نعم، هناك أحتمال ا لجمع بين روايتي الواقدي وابن اسحق بالقول أن (عمرو بن أميّة الضمري) قتل أربعة رجال من بني عامر، ولكن هذا الجمع صعب وتحميلي أكثر من اللازم. خاصة إن النبي كان يريد أن يدفع دية قتيلين وليس اربعة، فيما كلهم من بني عامر، حيث يجب دفع دية كل القتلى بسبب المعاهدة بينه وبين بني عامر.

رابعا: إن بعض المصادر لم تتعرض إلى الإخبار الألهي لمحمد فيما يخص قتله أو إغتياله، وأنا أركز على هذه النقطة هنا، لأن الرواة المسلمون يهتمون بالجوانب الغيبية خاصة فيما يتصل بحوادث ووقائع السيرة النبوية الشريفة، ومن هنا نتساءل عن أهمال البلاذري مثلا لهذه النقطة في كتابه المهم (أنساب الاشراف)، وفي كتابه الاخر (فتوح البلدان) / ص ٢٧ طبع دار الهلال / وقد تجاوزها أيضا اليعقوبي في تاريخه، كذلك المسعودي في (التنبيه والاشراف).

خامسا: هناك ا ختلافات بين مصادر الخبر التي نحن بصددها وهي تتحدث عن مؤامرة يهود بني النّضير لقتل النبي الكريم وإخبار السماء له بذلك، نشير إلى بعض منها.

١: نقرأ في سيرة ابن هشام أن يهود بني النّضير أجتمع بعضهم لبعض (فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه

الحالة) ثم يقترحون بصيغة الجمع إلقاء الصخرة عليه ص ١٢١، فيما يقول الواقدي (ثم خلا بعضهم إلى بعض فتناجوا، فقال حيَيّ بن أخطب: يا معشر اليهود، قد جاءكم محمّد في نُفير من أصحابه... فاطرحوا عليه حجارة من فوق هذا البيت الذي تحته فاقتلوه) ص ٣٦٤.
٢: جاء في رواية ابن إسحق إن النبي الكريم حاصر يهود بني النّضير ستَّ ليال ص ١٢١، فيما في مغازي الواقدي حاصرهم خمسة عشر يوما ص ٣٧٤، وفي (أنساب الأشراف) نقرا (وحصرهم خمس عشر ليلة) ص ٣٣٩.
٣: يذكر الواقدي في روايته أن يهود بني النّضير لم يتحصّنوا فقط، بل (جعلوا يرمون ذلك اليوم بالنُّبل والحجارة حتى أظلموا) ص ٣٧١، فيما يخلو مصدر ابن إسحق من ذلك تماما، وينستشف من كلامه أنهم استسلموا بلا قتال، وكان النبي قد أمضى لهم ما حملت أبلهم من أموال إلا السلاح ص ١٢١.
هذه عينات مهمة تبين مدى التباين بين الروايات في نقاط مهمة من الحدث، ممّا يجلعنا على حذر من قبول ما يروى جزافا، وتشكل هذه الاختلافات والتباينات نقاط ضعف في الرواية عموما.

ثغرة كبيرة

ينطوي النص على مفارقة كبيرة، لعلَّها تطيح بمشروعيته التاريخية بالصميم، فإن النص يفيد أن النبي الكريم قد أعلمته السماء بمخطط بني النّضير بقتله، فما كان من النبي إلاّ أن ينقض عهده معهم، ويقرر إجلائمهم!
لا يمكن للنبي أن يلزمهم بهذا الإخبار أبدا، فإن إلزامهم يجب أن يكون بجرم مشهود، وليس بالاعتماد على إخبار غيبي، ومن المعروف عن النبي أنه كان يقضي بين المتخاصمين حسب معطيات ا لشهادة الحسيّة وليس حسب معطيات علمه الشخصي، بل هذه احدى قواعد القضاء في الفقه الاسلامي، فإن القاضي حتى لو كان نبيا لا يجوز له الحكم منطلقا من علمه بالواقع، بل منطلقا ممّا تفضي به شهادات الشهود ومعالم البينات، ولا يجوز له أن يقضي أو يلزم أو يبرم أو ينقض بناء على علم خاص به. وربما لذلك عزف الكثير من المؤرخين التطرق إلى هذا الإخبار، أي إخبار السماء للنبي، وإذا أردنا أن نسامح الرواية نصرف علم النبي بمحاولة قتله إلى الحس وليس الغيب، و أنهم عرفوا بعلم النبي هذا، وبذلك تكمل المعادلة بشكل واضح، وقد أسفر الواقدي عن هذا المعنى في تضاعيف سرده للحدث، فقد جاء في السرد أن النبي كان قد أرسل مبعوثه الخاص لبني النّضير يأمرهم بالخروج من وطنه، وممّا قاله هذا السفير إلى بني النضير هو قول النبي (قد نقضتم العهد الذي جُعِلَت لكم بما هممتم به من الغدر بي) ص ٣٦٧، ويضيف الواقدي بأن هذا المبعوث (أخبرهم... ظهور عمرو بن جِحاش على البيت يطرح الصخرة، فسكتوا فلم يقولوا حرفا) ص ٣٦٧ /. فهذا النص يبين بوضوح أن النبي كان قد رآهم يهمون بقتله، بل رأي المنفذ للعملية، وهو كما في الروايات (عمرو بن جحاش)، وهذا التصوير ينسجم مع أبسط قواعد الفقه الإسلامي في القضاء، كما أنه ينسجم تماما مع حق النبي بنقضه العهد معهم، ولا يدع حجة لبني النّضير بالرد أو المراوغة، وهو ما اشار له النص.
لم يحتج النبي على يهود بني النّضير بمادة الإخبار الغيبي، بل احتج عليهم بانه نقضوا العهد بمحاولتهم قتله دون الاحتجاج دليلًا بالأخبار السماوي، ومن ثم، لم يتطرق القرآن إلى هذه النقطة الحسّاسة، رغم أنه تناول موضوعة بني النّضير في سورة الحشر

تشير بعض المصادر وفي المقدمة المصادر الأساسية إلى أن النبي الكريم حرق نخيل بني النضير، جاء ذلك في سيرة ابن إسحق والواقدي والطبري وطبقات ابن سعد وغيرها من المصادر،

ليس النقاش في أصل الحرق، ولكن في سعته، ومداه، هذا ما نريد أن نناقشه في ضوء الروايات والاية الكريمة.
روى موضوع الحرق البخاري في صحيحه عن إبن عمر رضي الله عنهما (حدّثنا آدم، حدّثنا الليث،عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: حرّق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النّضير وقطع البُويرة ، فنزلت من ليّنة أ و تركتموها...)، وفي رواية أخرى (حدّثني إسحق... عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما أ ن النّبي صلى الله عليه وسلم حرّق نخل بني النّضير...)، ورواها مسلم في صحيحه عن ابن عمر أيضا، كذلك سنن ابن ماجة ، والترمذي أيضا، عن ابن عمر، وبالتالي، فإنها رواية أحاد، ولكن وردت في صحيح البخاري بصيغة (حرّق) أي بالتضعيف، فيما وردت في صحيح مسلم (حرَقَ) وفارق بين الصيغتين كما هومعلوم، فإن صيغة (مسلم) قد تفيد أن هناك حرقا طفيفا، مساحته بسيطة وعدد نخيله معدود. ولكن رواية البخاري هذه، أو عملية الحرق الشامل المضعّف يتضاد مع ر وايات كثيرة تؤكد أنّ جلائهم كان صلحا، والصلح لا يتقدمه حرق نخيل بطبيعة الحال، اللهم إلا إذا كان بمستوى بسيط كأن تكون هناك نخلات في الطريق إلى الهدف، أي حصونهم.
وهناك رواية أخرى بالحرق، رواها ابن سعد في طبقاته (أخبرنا محمّد بن حرب المكّي، وهاشم بن القاسم الكناني، قالا: أ خبرنا الليث بن نافع، عن عبد الله بن عمر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرّق نخل النّضير، وهي البُويرة، فأنزل الله تعالى: ما قطعتم من ليّنة أو تركتموها قائمة على أصولها) ص ٥٨.وهي ذات الرواية التي نقرأها في البخاري، لأنها عن الليث عن عبد الله بن عمر، فلا زيادة.
ولكن هنا القرآن الكريم وهو يتعرّض لموضوعة النخيل لم يذكر أبدا مسألة التحريق، بل إكتفى بالقطع!! فيما روايات البخاري تفرد التحريق حصرا!!!
فما هو السبب؟
يقول القرآن (ما قطعتم من ليّنة أو تركتموها قائمة...)، فلم نصادف هنا أي ذكر للتحريق، الامر الذي يثير الاستغراب حقا.
هذا وسوف نعود لمناقشة رواية عبد الله بن عمر هذه في ضوء تضاعيف روايته وبلحاظ ما جاء في القرآن الكريم وبعض الروايات، حيث سنرى هناك إضطرابا مريعا في روايته هذه.

قطع النَّخْل / فوضى المعنى

تقول الاية الكريمة (ما قطعتم من لِيْنَةٍ أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين).
لم يتطرق القرآن الكريم إلى عملية الحرق، بل القطع وحسب، وكما هو معلوم من جماع الروايات التي تعرضت لقضية النخيل، إن يهود بني النّضير كانوا قد اعترضوا على القطع والتحريق معا (فما بال قطع النخيل وتحريقها) سيرة ابن اسحق ص ١٢١.
فكيف يستثني الحرق دون القطع وكلاهما محل إعترض أو تساؤل من قبل يهود بني النّضير؟ مع العلم أ ن الحرق أشد من القطع إيذاء وتخريبا وتدميرا؟
ولكن أختلف اللغويون إختلافا كبيرا في بيان معنى (لِينة)، الامر الذي يعقّد عملية فهم الاية، فاصل الكلمة يرجع إلى مادّة (ل، ي، ن) وهي ضد الخشونة. فإذا ما أردنا أن نصرف ذلك للنخل فليس من المعقول أن ينصرف إلى كل أنواعها، إذا لا تنطبق عليه عدم الخشونة، ومن هنا قال بعضهم أن اللّينة نوع من النخيل وليس كله، فهو صنف من النخيل، وقد قال السهيلي (وفي تخصيصها بالذكر إيماء إلى أن الذي يجوز قطعه من شجر العدو ما ليكون مُعَّدا

للإقتيات، لأنهم كانوا يقتاتون على العجوة والبرني دون اللينة) العسقلاني ص ٥٤ مسحوب على النيت / وفي مفردات الراغب الاصفهاني [(ما قطعتم من لِينة) أي من نخلة ناعمة... ولا يختص بنوع دون نوع]، مما يعني إنهم كانوا يقطعون نخلا، ولكن ليس كل أنواع النخل الموجود، بل الناعم منه فقط، ولكن ما هو الناعم من النخل؟ هل المقصود هنا التي لا تحمل ثمرا؟ أم هناك أنواع من النخل تسمّى ناعمة؟ وعلى كل حال، فإن عملية القطع الواردة لا تشمل كل أصناف وأعمار النخل. وقد استشهد صاحب مجمع البيان بشعر ذي الرمة (طِراق الخوافي واقع فوق لِينة   بذي ليلة في ريشة يترقرق) حيث أتبع ذلك قوله (فأن اللينة نوع من النخل أي ضرب منه) ص ٣٨٩. وينقل صاحب التفسير الكبير عن أبو عبيدة قوله (اللينة: النخلة ما لم تكن عجوة أو برنية) ١٥ ص ٢٨٤. وينقل أيضا عن ابن مسعود (قطعوا منها ما كان موضعا للقتال) ص ٢٨٤، ويُنقَل عن قتادة وابن عباس انها كل نخلة سوى العجوة، وفي معاني القرآن للفراء المتوفي سنة ٢٠٧ [(ما قطعتم من لينة) حدّثنا الفراء قال: حدّثني حِبَّان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقطع النخل كُلِّه ذلك اليوم، يعني: يوم النّظير إلاّ العجوة. قال ابن عباس: فكل شي من النخل سوى العجوة هو اللين) ٣ ص ١٤٤. وفي مجمع البيان أيضا إنها النخلة الكريمة ص ٣٨٩. وعند بعض اللغويين وا لمفسرين أن (لِينة) تنصرف إلى الدقل وهو تمر في غاية الردائة ! وعند أخرين تنصرف لكل الأشجار.

وفي الحقيقة أننا بين يدي فوضى لغوية، فكم هو الفرق بين قولنا أن (اللينة) تعني كل أنواع النخيل وبين قولنا أنها تعني كل الاشجار؟ وكم هو الفارق بين قولنا إنها تعني كل أنواع النخيل وبين قولنا أنها تعني النخل الناعم فقط؟ وكم هو الفرق بين قولنا أنها تعني كل أ نواع النخيل وبين قولنا أنها تعني ذلك سوى العجوة، و أحيانا سوى العجوة والبرني؟

مأساة المعجم العربي في ثروته

هذه من القضايا التي يجب أن تثار، فإن معاني الكلمات لم تصلنا خالصة، المعجم العربي ثروة على صعيد المنقول من المعاني لهذه الكلمة أو تلك. ومن الصعوبة الرجوع خالصا إلى المعجم من دون قرائن وعلائم حالية ولغوية من داخل النص وتصورات قد يكون لها علاقة صميمية بموضوع المفردة، فإن المعروف عن الاسلام ا حترامه للنخلة خاصة، ويروى أن محمد كان يقول ما معناه، أكرموا النخلة فإنها عمّتكم، كما أن الأدب الاسلامي حاشد باحترام النبات، بل وفي التوصيات التي تفيد الحرص على الزرع حتى في أثناء القتال، ومن الادبيات الشائعة في كتب الفقه توصيات النبي والخلفاء للمحاربين المسلمين أنْ لا يقتلوا شيخا ولا طفلا ولا أمراة وأن لا يقطعوا شجرة...

إن تعميم القطع هنا لكل نخيل بني النّضير يجافي الحقيقة، بل يعني نوعا من التكلف الصلف، بل هو تكلف لا يراعي حرمة اللغة ولا حرمة التاريخ ولا حرمة المنقول الصحيح على صعيد الادب الاسلامي في الحروب والقتال.

إن الحاصل الذي يمكن أن نخرج به من هذه المُحْتشَد من المنقول على صعيد المعاني اللغوية والمورث الإسلامي بل وربما مجريات الأحداث، وبلحاظ ما جاء في الكتاب الكريم، إن عملية القطع كانت حاصلة قطعا، ولكن كما يبدو على مدى ضيق مساحة وعددا... وسوف يأتي المزيد من الشواهد والادلة.

أسباب سياسيِّة خفيَّة

تقول رواية عبد الله بن عمر (حدّثنا اللّيث، عن نا فع، عن ابن عمر رضي الله عنه ، قال: حرّق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بني النضير وقَطَعَ وهي البويرة فنزلت ما قطعتم من لينة أو تركتموها على أصولها فبإذن الله).

الغريب أن ابن عمر يقول إن النبي الكريم (حرّق) نخل بني النّضير، ويستشهد بقوله تعالى (ما قعطتم من لينة أو تركتموها على أصولها فبإذن الله) ، حيث يغيب خبر الحرق في الآية الكريمة! فليس هناك تماهيا، ليس هناك تطابقا كما هو واضح.

تتحدث الروايات الشيعية عن هذا القطع فتحصره في مساحة ضيقة جدا، ففي (بحار الانوار) وهو مصدر شيعي مهم، نقلا عن الكازروني (فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقطع نخلهم، وكانت النخلة من نخيلهم ثمن وصيف، وأحبُّ إليهم من وصيف، وقيل: قطعوا نخلة وأحرقوا نخلة، وقيل: كان جميع ما قطعوا وأحرقوا ست نخلات...) ٢٠ ص ١٦٥.

وفي الحقيقة هناك فرق هائل بين (حرّق نخل بني النضير) وبين قطع ست نخلات أو حتى عشرين نخلة، ويكمن وراء هذا الخلاف سبب سياسي عميق، ذلك إن هناك روايات كثيرة عن طريق السنّة تؤكد أن أرض بني النّضير وزروعها وخيراتها تحولت إلى صفو لرسول الله وأهل بيته، وفي ذلك روايات كثيرة.

نقرا في فتوح البلدان للبلاذري (حدّثني عمرو بن محمد الواقد... عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان، قال: قال عمر بن الخطاب: كانت أموال بني النّضير، ممّا أفاء الله على رسول الله ولم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت له خالصة، فكان ينفق منها على أهله نفقة سنة، وما بقي جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله) ص ٢٩، ورواه كذلك عن الليث عن ابن سعد عن عقيل، عن الزهري (أن وقيعة بني النّضير من يهود كانت على ستة أ شهر من يوم أحد، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء ، وعلى أن لهم ما أقلت الأبل من الأمتعة إلاّ الحلقة فأنزل الله فيهم سبح لله ما في السموات وا لارض...) ص ٢٨، حيث لم يأت على ذكر التحريق! كما أنه يروي عن ابن زائدة عن محمّد بن إسحق في تفسير قوله تعالى: ما أفاء الله على رسوله منهم. من أنها نزلت في ثروة بني النّضير وأنها لم يوجف عليها من خيل ولا ركاب ص ٢٨، ولم يذكر عملية التحريق في الاثناء ، ويروي عن سفيان، عن الزهري أنه قال: (كانت أموال بني النّضير مما أفاء الله على رسوله، ولم يوجف

عليها بخيل ولا ركاب). وكما قال السهيلي (ولم يختلفوا في أن أموال بني النّضير كانت خاصّة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأن المسلمين لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب، وإ نه لم يقع بينهم قتال أصلا).

إن الرواية التي تحكي عن تقطيع نخل بني النضير وتحريقه بكامله، أو بمديات واسعة جدا تجرّد هذه الارض من قيمتها، ممّا يوحي من طرف خفي أن جعلها بخيراتها خالصة للنبي وأهل بيته كما تقول هذه الروايات / وبعضها روايات سنية صحيحة وبها قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري / موطن تشكيك، أو هي محاولة ذكية في سياق صراع سياسي ومذهبي لتسريب شك دقيق ورشيق في تضاعيف النتيجة المذكورة.

في هذا السياق تتحدث رواية عائشة رضي الله عنها ، فقد روي عنها أنها تقول (... وكان منزلهم ــ بني النّضير ـ ونخلهم بناحية المدينة، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلت الأبل... فقاتلهم النبي حتى صالحهم على الجلاء...)/المستدرك للحاكم ٢ ص ٤٨٣، وقال على شرط الشيخين /، فهذه الرواية تتضاد مع الروايات السابقة، كما أنها تتضاد مع الموقف الفقهي الذي نقلناه سابقا من خيرات بني النّضير. ونظرة خاطفة إلى رواية عائشة تكشف عن عدم اتساقها مع بعضها، فهي تعاني من قفزة غير طبيعية، ف يصف الفرّاء الحادثة بما يلي [... وقوله تعالى (فما أوجفتم عليه من خيل لا ركاب) كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أحرز غنيمة بني النّضير وقريظة وفدك، فقال له الرؤساء: خذ صفيَّك من هذه وأفردنا بالرّبع، فجاء التفسير: إن هذه قرى لم يقاتلوا عليها بخيل، ولم يسيروا إليها على الأبل، إنّما مشيتم إليها على أرجلكم، وكان بينها وبين المدينة ميلان، فجعلها النبي صلى الله عليه وسلم لقوم من المهاجرين، وكانوا محتاجين، وشهدوا بدرا، ثم قال (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى)... فهو لله وللرسول خاصّة، ثم قال (ولذي القربى) لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (واليتامى)، يتامى المسلمين عامّة، وفيها يتامى عبد المطلب...) معاني القرآن ٣ ص ١٤٤.

إن رواية عائشة رضي الله عنها التي تدعي حصول القتال على أرض بني النّضير تنفي خلوص أرضها ونخلها للنبي وأهل بيته، فهل هناك حرب روائية تختفي وراءها أسباب سياسية؟

يروي الواقدي أن محمد صلى الله عليه وأله وسلم كلّف أبو ليلى بقطع العجوة، وعبد الله بن سلام بقطع اللّون، وهي رواية غير مسندة، فضلا عن التشكيك بصدقية الواقدي عند أهل السنة، وعدم أهليته لدى الشيعة أيضا بدرجة و اضحة!! والغريب هنا، فيما يذكر هذا المصدر الذين كلّفهم النبي بالقطع، لم يكشف لنا المصدر نفسه وغيره عن الذين كلّفهم النبي بالحرق.

إن (تحريق) نخل بني النّضير يحيط به الكثير من الغموض، والكثير من القرائن لا تنسجم مع وقوعه.

كلمة في قصة ابن يامين

وبالمثل ما ينقله الواقدي عن تحريض النبي الكريم أحد أبرز يهود بني النَضير على قتل ابن عمه، فقد جاء في المصدر المذكور (فلما أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن يامين: ألم تر إلى ابن عمِّك ابن جحاش، وماهمّ به من قتلي؟... فقال ابن يامين: أنا أكفيكه يا رسول الله. فجعل لرجل من قيس عشرة دنانير على أن يقتل عمرو بن جِحاش، ويقال خمسة أوسق من تمر، فأغتاله فقتله، ثم جاء ابن يامين ألى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بقتله، فسُرِّ بذلك) ص ٣٧٤.

أ ن هذا الخبر جزء من رواية عامّة للواقدي مر سلة، ويرويها ابن إسحق بسند مرسل (حدّثني بعض آل يامين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين: ألم تر ما لقيت من ابن عمِّك، وما همّ به من شأني؟ فجعل يامين بن عُمير لرجل جُعلا على أن يقتل له عمرو بن جِحاش، فقتله كما يزعمون). فالرواية مرسلة، ولابن إسحق موقف متردّد منها. ومن الصعب أن نتخيل أن الإسلام دخل في قلب يامين بهذا العمق وبهذه السرعة الخيالية،، بحيث تحول إلى مثل إسلامي عال، لا يتأثر بنسب ولا بإنتماء ديني سابق بين عشية وضحاها، بل في لحظة دخوله إلى الاسلام، فيقدم على قتل ابن عمه بحجة أنه كان يريد قتل النبي صلى الله عليه وسلم. فإن يامين (ويدعى أحيانا ابن يامين) حسب المعطيات التي تضعها بين أيدينا كتب السيرة كان واحدا من اثنين من يهود بني النّضير قد أسلما في لحظة تخيير بني النّضير بين الهجرة أو المحاصرة أو المقاتلة كما تقول الروايات، وكان اسلامهما من أجل الحفاظ على مالهما ودمائهما، ففي سيرة ابن إسحق (ولم يُسلم من بني النّضير إلاّ رجلان: يامين بن عمير، أبو كعب بن عمرو بن جِحاش، وأبو سعد بن وهب، أسْلما على أموالهما فأحرزاها) سيرة ابن اسحق ص ١٢٢. ويورد الواقدي الخبر من غير إسناد بقوله (فلّما رأي ذلك يامين بن عُمير، وأبو سعد ابن وهب قال أحدهما لصاحبه: وإنك لتعلم أنه لرسول الله، فما تنظر أن نُسلم فنأمن على دمائنا وأموالنا؟ فنزلا من الليل فأسلما فاحرزا دماءهما وأموالهما) ص ٣٧٣.

ولست أدري ما الذي كان يمنع (يامين) هذا من الدخول في الاسلام وهو يعلم أن محمدا نبيا مرسلا حقا؟ ولماذا جاء وقت دخوله إلى الاسلام في لحظة الخيار بين المال والهجرة ؟

يرويها ابن إسحق عن (أل يامين)، وصاحب المنقبة هو (يامين)، وبالتالي، هي رواية قد تكون ذات طابع نَسبي لا أكثر ولا أقل، ولكن مع كل هذا تبقى إنها رواية مرسلة.

-

(عن مقالة للأستاذ غلب حسن الشابندر)

السماحة المنسوخة

يقول القرآن في سورة محمد " فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون". (محمد: ٣٥)

والمعنى واضح وهو المسالمة في وقت الضعف والقتل والذبح في وقت القوة. وهذا يفسر موقف النبي من أهل الكتاب عندما كان ضعيفا في مكة وبعدما إشتد عوده وأنشأ جيشا في المدينة، هذا ما تناوله الدكتور سيد محمود القمني ـ ضمن ما تناوله ـ في كتابه " الأسطورة والتراث" ننقل عنه هنا بعض السطور:

د ـ السيف والقرآن المدني:

جاء في صفحة ٢٧٢ ـ ٢٧٣:

فالمعلوم أن موقف الإسلام من المسيحية كان في البداية موقفا مهادنا يؤكد حرية الإعتقاد وأن في الإنجيل هدى ونور وإن القرآن جاء يصادق على ما سبق وورد فيه وأن الله رفع أصحابه فوق الكافرين الى يوم القيامة لأسباب ظرفية واضحة في حاجة المسلمين الى دار هجرة لدى نجاشي الحبشة المسيحية وحيث رددت شفاه المسلمين هناك الآيات عن المسيح وأمه، فكان أن أحسن استقبالهم ووصلهم بالود والرحمة. كذلك الحال في الموقف من اليهودية واليهود، فقد كانت يثرب دار هجرة للمسلمين، بينما كانت معقلا كبيرا ليهود الجزيرة، وكانت (المصلحة) تستدعي أن تسبق المسلمين، المهاجرين الى يثرب، آيات تردد ذكر أنبياء بني إسرائيل وقصص العهد القديم. والإقرار بأن فضلهم على العالمين، وأن توراتهم فيها هدى ونورا، وعليهم الحكم بما جاء فيها، وكان أول عمل سياسي هام قام به المصطفى (ص) عند وصوله يثرب هو عقد الصحيفة التي كفلت حرية الإعتقاد لأهل المدينة جميعا، وكان من أهم نصوصها " هذا كتاب محمد النبي، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم، أن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .. وأن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم .. وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة .."، بل وأشترع للمسلمين صوم الغفران اليهودي، بل والتوجه في الصلاة وجهة اليهود (بيت المقدس) ولكن الظرف لم يستمر على حاله، مما أدى الى إلغاء الصوم العبري واستبداله بصوم رمضان العربي، كما ألغيت كعبة بيت المقدس واستبدلت بكعبة مكة، ثم أخذ كل من النبي (ص) واليهود يكتشفون اختلاف توجهاتهم، ثم يكتشفون اختلافات عميقة، بين ما في يدي اليهود من التوراة، وبين ما يتلوه رسول الله (ص) ، وهنا اتخذ الأمر وجهة أخرى، خاصة بعد غزوة بدر الكبرى، التي مكنت المسلمين من العتاد والسلاح والقوة المادية والمعنوية، حيث يكشف لنا الوحي عن سبب اختلاف القرآن عن التوراة الأصلية ومن هنا حق قتالهم لتبديلهم آيات الله " وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله"، بعد أن أصبح " الدين عند الله الإسلام". وكان نفس الموقف من المسيحية اليعقوبية بعد انتفاء الحاجة للحبشة ونجاشيها، وكان لا بد أن يقول الوحي كلمته إزاء العقائد المسيحية وهو الأمر الذي ينطبق على الموقف من أهل مكة، حيث بدأت الآيات الحكيمة في مكة زاخرة بما يلائم حال الضعف التي كان عليها المسلمون وسط أكثرية معادية، فقررت حرية الإعتقاد وأنه لا إكراه في الدين، والأمر موكول الى الله يوم القيامة، أما بعد الهجرة من مكة الى المدينة،

وبعد وقعة بدر الكبرى والتحول من حال الضعف الى حال القوة، أتت الآيات الناسخة تبطل حرية الإعتقاد، وتأمر بقتال غير المسلمين وقتلهم، وهو الأمرالذي لحظه الإمام السيوطي وجلة الأجلاء من علماء، لكنهم أدرجوه في باب المنسأ وهو ما عبرت عنه الآيات بجلاء { فأعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره} (انتهى).

واضح من كلام د. سيد القمني أن " سماحة الإسلام" قد نسخها سيف الإسلام. وهذا ليس إفتراء من الدكتور فإن آيات القرآن نفسها تؤكد ذلك كما جاء في كتاب " الناسخ والمنسوخ " لأبي جعفر النحاس والذي قدم له وكيل الجامع الأزهر د. شعبان محمد إسماعيل.

وسأورد هنا معظم آيات التسامح والتي يرى المفسرون أنها نسخت حسب كتاب النحاس وأرجو أن تعذروني للإطالة:

قوله (تعالى):" وقولوا للناس حسنا الآية: منسوخة في حق المشركين بآية السيف: " فإقتلوا *ـ المشركين حيث وجدتموهم" الآية. وقال محمد بن علي بن الحسين بن الإمام علي (رضي الله عنهم أجمعين) وعطاء بن أبي رباح: هي محكمة. ومعنى حسنا: قولوا أن محمدا رسول الله. وقال عطاء: قولوا لهم ما تحبون أن يقال لكم.

قوله (تعالى):" فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره" أصل العفو الترك والمحو والصفح *ـ الإعراض والتجاوز، نسخ بقوله (تعالى):" قاتلوا الذين لا يؤمنون" الى قوله " وهم صاغرون"، وأمر الله القتل والسبي لبني قريظة والجلاء والنفي لبني النضير، قال المحققون: إن مثل هذا لا يسمى منسوخا لأن الله جعل العفو والصفح مؤقتا بغاية وهو إتيان أمره بالقتال، ولو كان غير مؤقت بغاية لجاز أن يكون منسوخا.

*ـ

قوله (تعالى):" وقاتلوا في سبيل الله الذي يقاتلونكم ولا تعتدوا، إن الله لا يحب المعتدين":
منسوخة بقوله (تعالى):" فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه"، وبقوله (تعالى):" وقاتلوا المشركين كافة".

قوله (تعالى):" يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه": منسوخة بآية السيف:" فإقتلوا المشركين حيث وجدتموهم"، في كل زمان ومكان.

قوله (تعالى):" لا إكراه في الدين": منسوخة بآية السيف. *ـ

قوله (تعالى):" وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ": منسوخ بآية السيف. قلت: وينبغي أن يكون مثله قوله (تعالى):" فإن تولو فإن الله لا يحب الكافرين"، إذ جواب الشرط محذوف أي: فأعرضوا عنهم.

قوله (تعالى):" ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا "، وقوله:" فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا "، وقوله:" إلا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق ": منسوخة بآية السيف.

قوله (تعالى):" ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم": منسوخة بآية السيف، وهم أسد وغطفان وقيل: بنوا عبد الدار.

قوله (تعالى):" قل لست عليكم بوكيل"، أي: بمسلط ألزمكم بالإسلام أو بريب، وقوله:" وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا" وهم اليهود والنصارى، وقوله (تعالى):" قل لله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون". وقوله:" فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ": منسوخة بآية السيف، وقوله:" وأعرض عن المشركين"، وقوله:" ولا تسبوا الذين يدعون من دون

الله فيسبوا الله"، وقوله (تعالى):" فذرهم وما يفترون "، وقوله:" قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار"، وقوله:" إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء" أي: فرقا" لست منهم في شيء" أي من قتالهم: كلها منسوخة بآية السيف.

قوله (تعالى):" خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين"، هذه الآية من عجيب القرآن أولها وآخرها منسوخ ووسطها محكم. وقوله:" خذ العفو" أي: الفضل من أموالهم تقدم أنه منسوخ بآية الزكاة، " وأمر بالعرف" أي المعروف محكم،" وأعرض عن الجاهلين": منسوخ بآية السيف.

قوله (تعالى):" وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون": منسوخة بقوله (تعالى):" قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم " الآية.

قوله (تعالى):" قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين": منسوخة بقوله (تعالى):" وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة" أي: شرك.

قوله (تعالى):" وإن جنحو للسلم فإجنح لها": منسوخة عند جماعة بآية السيف. *ـ

قوله (تعالى):" فانتظروا إني معكم من المنتظرين "، وقوله:" وما أنا عليكم بوكيل": منسوخة بآية السيف، وقوله:" واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين".

وقوله (تعالى):" وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برئ مما تعملون"، كلها منسوخة بآية السيف.

وقوله (تعالى):" إنما أنت نذير"، وقوله:" وانتظر إنا منتظرون" منسوخة بآية السيف.

قوله (تعالى):" فإنما عليك البلاغ": منسوخة بآية السيف. *ـ

قوله (تعالى):" ذرهم يأكلون ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون"، *ـ

وقوله (تعالى):" فاصفح الصفح الجميل"، أي: أعف عن المشركين، وقوله:" لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين"،

وقوله (تعالى):" واعرض عن المشركين"، أي: اكفف عن حربهم ولا تبال بهم: كلها منسوخة بآية السيف.

وقوله (تعالى):" وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين": منسوخة بآية السيف.

قوله (تعالى):" وما أرسلناك عليهم وكيلا: منسوخة بآية السيف. *ـ

قوله (تعالى):" وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون"، وقوله:" قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا"، وقوله:" فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا"، أي: بطلب عقوبتهم وتعجيل عذابهم: كلها منسوخة بآية السيف.

قوله (تعالى):" فاصبر على ما يقولون"، أي: من الشتم والتكذيب، وقوله:" قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى": منسوختان بآية السيف.

قوله (تعالى):" الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون": منسوخة بآية السيف، وقيل: محكمة.

قوله (تعالى):" وجاهدوا في الله حق جهاده": منسوخة بقوله:" أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا" الآية، قالوا: نسخت هذه الآية نيفا وسبعين آية.

سورة المؤمنون: وفيها من المنسوخ آيتان منسوختان بآية السيف: قوله (تعالى):" قذرهم في غمرتهم حتى حين"، وقوله (تعالى):" ادفع بالتي هي أحسن السئة نحن أعلم بما يصفون".

قوله (تعالى):" وأن أتلوا القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين": منسوخة بآية السيف.

قوله (تعالى):" ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم"، منسوخة بقوله (تعالى):" قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر" الى قوله (تعالى):" وهم صاغرون".

قوله (تعالى):" قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين": منسوخة بآية السيف.

قوله (تعالى):" فاصبر إن وعد الله حق": منسوخة بآية السيف. *ـ

قوله (تعالى):" فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون": منسوخة بآية السيف.

آية: " ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا": منسوخة بآية السيف.

(تعالى):" إن أنت إلا نذير"، منسوخ معناها بآية السيف، إذ المعنى ليس عليك شيء سوى الإنذار.

فيها من المنسوخ آية: قوله (تعالى):" فتول عنهم حتى حين"، قال ابن عباس: يعني الموت، فعلى هذا تكون الآية منسوخة، قال مقاتل: نسختها آية القتال، وقال السدي:" فتول عنهم" أي: حتى تؤمر بالقتال فعلى هذا تكون الآية محكمة.

قوله (تعالى):" إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون"، وقوله:" قل يا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم، أنا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل"، وقوله:" قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك"، وقوله:" فاعبدوا ما شئتم من دونه، قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين": كلها منسوخة بآية السيف.

قوله (تعالى):" لست عليهم بمسيطر" أي: بمسلط لتكرههم على الإيمان ونسخت بآية السيف.

قوله (تعالى):" لكم دينكم ولي دين" منسوخ بآية السيف. *ـ

ما هي آية السيف هذه التي فعلت الأفاعيل، لقد نسخت آية السيف حسب كثير من المفسرين والعلماء مائة وأربع وعشرين آية والعجيب أنها نسخت بعد ذلك ولكن ليس بالعودة الى السلم ولكن بإختيار المن أو الفداء (المال)، ونص آية السيف هو " فإذا انسلخ الأشهر الحرم فإقتلوا المشركين حيث وجدتموهم" [التوبة: ٥].

ويقول النحاس في كتابه تلخيص الناسخ والمنسوخ:

وفي تفسير الجلالين للآية: (فإذا انسلخ) خرج (الأشهر الحرم) وهي آخر مدة التأجيل (فإقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) في حل أو حرم (وخذوهم) بالأسر (واحصروهم) في القلاع والحصون حتى يضطروا الى القتل أو الإسلام.

ويقول عنها ابن كثير: { فإذا انسلخ الأشهر الحرام فإقتلوا المشركين حيث وجدتموهم} الآية، رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقاله قتادة والضحاك والسدي وابن جريج وقال الآخرون وهم الأكثرون: ليست بمنسوخة، ثم قال بعضهم: إنما الإمام مخير بين المن على الأسير ومفاداته فقط، ولا يجوز له قتله. وقال آخرون منهم: بل له أن يقتله إن شاء لحديث قتل النبي (ص) النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط من أساري بدر. وقال ثمامة بن أثال لرسول الله (ص) حين قال له: ما عندك يا ثمامة؟ فقال إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تمنن تمنن على شاكر، وإن كنت تريد المال فإسأل تعط منه ما شئت. وزاد الشافعي رحمة الله عليه فقال: الإمام مخير بين قتله أو المن عليه أو مفاداته أو استرقاقه أيضا. وكل الآيات التي يوردها دعاة أن الإسلام يقبل الآخر ويقول في حرية المعتقد يتفق المفسرون على أنها منسوخة بهذه الآية، فهذه هي كلمة الإسلام الأخيرة حول اختلاف العقائد، الجزيرة للمسلمين فقط، العرب لا يقبل منهم جزية، إما الإسلام أو السيف، وغيرهم إما الإسلام أو السيف أو الإتاوة المسماة بالجزية، ومن يدعي أن هذه الإتاوة ضريبة حماية نسأله: ألم يصالح المسلمون بلدانا مستقلة على الجزيرة؟ إن التسامح في الإسلام كان عن ضعف فما جاء إلا اتقاء أذى بإعلانه أنه من دعاة السلام، وما إن مُكِن لمحمد في الأرض حتى صار موقف الإسلام من حرية العقيدة واضح، فهو يرى أن الوفود إليه صلاح للبلاد والعباد، وأن الخروج عليه ردة وفتنة يجب أن تتقى، ولا يرى الآخر نهائيا، ويعتبره عدو يريد به شرا دائما، ولا يحترمه أو ينظر له بنفس نظرته للمسلم، ويستحل قتله أو أخذ إتاوة منه.

الجهاد فى حياة الصحابة

حروب الردة نموذجا

حروب الردة قادها (أبو بكر بن أبي قحافة).. وهو من هو؟!.. هو الصديق خل النبي الوفي – صلى الله عليه وسلم – أبرز المبشرين بالجنة.. ثاني أثنين إذ هما في الغار..

وصهر النبي عن طريق أبنته عائشة أم المؤمنين الحميراء التي عنها نأخذ نصف ديننا ، وخليفة رسول الله الأول ، والمعروف في التاريخ الإسلامي برقته ودماثته وهدوئه

ورجاحة عقله وحسن مشورته.

والمعلوم أن أحداث السقيفة العاصفة قد انتهت بوضع الأمر بيد (أبي بكر) ، وأنها في رأي كثير من الباحثين ما استقرت له إلا لغياب (علي بن أبي طالب) وبني هاشم حول جثمان النبي ،

ولخلاف قديم بين الأنصار عاد واستقر وتم استثماره مع حسد بعضهم بعضاً على تولي الإمارة ، عندما ترك المصطرعون على كرسي الإمارة جثمان نبيهم مسجى في بيته لأقاربه وذهبوا

إلى السقيفة يتبارون حول المنصب المأمول ، تنابذوا فيها بعضهم مع بعض واستخدموا العنف الكلامي والجسدي ضد بعضهم البعض ، وانشغلوا عن نبيهم يومين وهم في آمرهم لاهون ،

حتى إن أبا بكر وعمر لم يشهدا لا غسله ولا تكفينه ولا حتى دفنه الذي قام به أهله في جوف الليل (انظر أبن هشام ٤ / ٣٣٦ ، والمقدسي في البدو والتاريخ ٥ /٦٥ وشرح المنهج ٢/٢

واليعقوبي ١٠٣/٢ وكنز العمال ٣ /١٤٠ وتاريخ الخميس ١ /١٨٩ وأبو الفدا ١٠ /١٥٢ وتاريخ الذهبي ٣٢١/١).. لقد ذهب صاحب الدين.. وبدأت الدنيا !!

ومعلوم أيضاً أن بعض الأنصار وجميع بني أمية وجميع بين هاشم قد رفضوا هذه البيعة وامتنعوا عنها ، وتصل بعض المصادر بهذا الامتناع إلى ستة أشهر كاملة ظلت فيها شرعية أبي بكر تتأرجح ،

حتى حصرهم (عمر بن الخطاب) وهم في اجتماع ببيت (علي بن أبي طالب) ومعه رجاله مشاعل النار والحطب منادياً المجتمعين : "والله لأحرقن عليكم البيت أو لتخرجن إلى البيعة"..

"الطبري / التاريخ / ٢٠٢/٣" أما زعيم الخزرج الصحابي الجليل (سعد بن عبادة) أحد النقباء الاثنى عشر المؤسسين للدولة اليثربية الطالعة ، فقد رفض الاعتراف بإمارة أبي بكر ورفض أن يبايع

بل أعلنها حرباً على الخليفة لولا مرضه الذي أقعده (الطبري / ٣ /٣٢٣) ، ومن بعده لم يعترف بخلافة (عمر بن الخطاب) حتى تم اغتياله ، ونسب مؤرخونا هذا الاغتيال إلى الجن ، دون أن يذكروا

لنا أي توضيح بشأن الخلاف الثأري بين (أبن عبادة) وبين الجن ولا سببه.

ومثل هذه المعلومات البسيطة المعروفة في التاريخ الإسلامي ذكرناها على عجالة ، لأنها ترتبط أشد الارتباط بالأحداث التي ترتبت عليها وأدت إلى نبض موضوعنا (حروب الردة) التي جرت مع بداية

حكم (أبي بكر).

وهنا يجدر التنبيه إلى أن المعارضة المهزومة عادة ما لا تجد من ينصفها من كتاب يكتبون من على مقعد سيطرة الغالب ، وأن ما وصلنا من مدونات تاريخية قد كتب معظمها من وجهة نظر المتغلبين ،

لذلك تحتاج إلى جهد وبحث وتدقيق للخروج بمعلومات منصفة للمعارضة ، وهو أمر متكرر في التاريخ ولدى مختلف الشعوب ، ظلم فيها كتاب المنتصر الفائز من حاقت به الهزيمة ، حتى امتهنوهم أحياناً

وجعلوا منهم علامات سوداء في التاريخ ، رغم أن الأوضاع ربما لم تكن هكذا حقاً ، ومن ثم يلزمنا هنا وبعد مضي ما ينوف على ألف وأربعمائة عام أن نتحرى الدقة والحياد فيما وصلنا حتى لا نظلم

الأبرياء مع الظالمين عبر التاريخ.

ثم علينا أن نتوجه بالتذكرة إلى أهل المذهب السني ، وهم يأخذون على أهل المذهب الشيعي إسرافه في التقديسية حتى وصل إلى الأئمة الاثنى عشر ، وإلى كبار الملالى والسادة المزعوم انحدار هم

من نسل النبي لأن أصحاب المذهب السني بدورهم قد أسرفوا في التقديس لعباد صالحين حقاً وكبار الفعال صدقاً ، لكنهم نفعوا أنفسهم وزمانهم بصلاحهم وفعالهم ، ولا يعني ذلك رفعهم إلى رتبة القداسة ،

كما فعلوا مع كبار الصحابة وأحياناً مع بعض الفقهاء أو جامعي التراث كالبخاري مثلاً ، وهو ما يؤدي إلى السقوط في شبهة شرك الذي نعيبه على أصحاب المذاهب الأخرى والأديان الأخرى ، كما يقولون

بشأن المسيحية مثلاُ ، وهو ما لا تقول به أصول الملة بل تنهي عنه بقرارات قرآنية واضحة. حيث يفتقر الجميع بعد النبي – إلى النبوة ومن ثم إلى أي لون من القدسية ، ولا يبقى لهم سوى أعمالهم ،

أو أنهم من المبشرين بالجنان الفردوسية أو صلاحهم وتقواهم ، وهي كلها أمور لهم وليست على الناس بشيء ، ولا ترفعهم عن رتبة البشرية ، فإذا كانت آفة الإفراط في التقديس مأخذا سيئاً على الآخرين

فلا شك والحال كذلك أن النهي عن أمر وإتيان مثله سيكون عاراً على من يفعله عظيم.

وإذا كان (عمر بن الخطاب) قد وصف خلاقة أبي بكر بأنها "فلتة ، وقي الله المسلمين شرها" فإن البحث الأمين سينتهي إلى أن هذه "الفلتة" تركت بين المسلمين شراً مستطيراً فيما وقع بسببها من أحداث ،

وأدت إلى إسالة الدماء أنهاراً حتى أنتنت منها السبل والطرق فلم يتم الإجماع على هذه البيعة (الفلتة) بتخلف الهاشميين والأمويين وبعض الأنصار عنها ، مع عدم إشراك بقية المسلمين في بقاع الجزيرة

وأخذ رأيهم ، مع حق أعطاه الله فهم واضحاً فصيحاً في الآية الكريمة "وأمرهم شورى بينهم".. والأمر حينذاك يعني الحكم بلغة زماننا ، وهو ما أدى بكثير من العرب إلى الاعتراف بشرعية حكم أب بكر ،

وعبروا عن ذلك بوضوح مع تمسكهم بإسلامهم وحقهم الشرعي في المشاركة في اختيار الحاكم ، وبأسلوب ذلك الزمان ما كان بيدهم من وسيلة علنية لإعلان هذا الرأي إلا منع الزكاة عن الوصول إلى الخليفة ،

وأطلقوا شعرهم وسيلة زمانهم للانتشار يعبر عن موقفهم كما في الأبيات :

أطعنا رسول الله ما كان بيننا

فيا عجبا ما بال (ملك) أبي بكر

أيورثها بكر إذا مات بعده؟

وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

(أبن كثير التاريخ ٦ /٣١١ ، ٣١٣) ، وهكذا عبر العرب عن تمسكهم بحق شرعي أعطاه الله لهم في اختيار حاكمهم ، وقد رأوا أن ما تم في تأمير (أبي بكر) هو لون من ألوان الملك ، وإذا كانت هذه هي البداية ،

فربما يورثها (أبو بكر) من بعده في مجاز سافر لولده "بكر" كناية عن نسله لولده بكر ، وهي صيغة الحكم التي خوفهم منها القرآن واستنكرها ب"إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها".

وأفصح الرأي السياسي المعارض عن موقفه بسحرية قبائل أسد وفزارة : "والله لا نبايع أبا الفصيل" تهويناً لشأن (أبي بكر ، وبكر) وتصغيراً لأن البكر هو ولد الناقة أما وليدها الصغير الحدث فهو الفصيل (الطبري ٢ /٤٨).

وهكذا عبر عرب الجزيرة عن رأيهم في تلك البيعة الفلتة وعن عدم خضوعهم لها ، فمنعوا الزكاة عن العاصمة وإن ظلوا على إسلامهم يرفعون الأذان في مساجدهم ويقيمونا لصلاة ويقرأون القرآن ويلتزمون أوامر الإسلام

ونواهيه ، وهنا لا يمكن وضع أي اعتبار لروايات (سيف بن عمر) التي أخذ عنها كثير من الإخباريين عن كون مانعي الزكاة كانوا يتجهزون لغزو المدينة ، لما هو معلوم من كذب (سيف) واختراعاته ، وأن جميع كتاباته

ما كانت إلا لتبرير المنتصر وتبخيس المعارض المهزوم والطعن عليه في دينه.

وأتخذ الخليفة قراره بقتال مانعي الزكاة ، وفيما يروى أبن كثير : (عمر بن الخطاب قال لأبي بكر : "علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله : أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله. فإن قالوها

عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ٦ /٣١١). ومن الماوردي في الأحكام السلطانية نسمع رد أبي بكر على حجة عمر وهو يقول : والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لأقاتلنهم على منعها ،

إن الزكاة حق المال ، والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة".

ووجه الكارثة التاريخية في هذه الأحداث الجسام أن مؤرخينا ، غفر الله لهم ، قد أطلقوا على جميع الحروب التي خاضتها جيوش أبي بكر ضد العرب اسم حروب الردة ، وأطلقوا على كل من خالفه (خارج المدينة

ومعارضيه من الكبار من هاشميين وأمويين) لقب المرتدين ، خالطين بين أتباع سجاح ومسيلمة والعنسي من متنبئين انفصاليين ، وبين مسلمين محتجين بمنع الزكاة. ومن جانبهم يرى الشيعة أن تلك الحرب

كانت سياسة لا دينا وأن أبا بكر كان يبغي بها إخضاع الجزيرة لسلطانه والاعتراف ببيعته ولو بالقوة ، كما فعل مع الممتنعين عن مبايعته بالعاصمة ، لكن القوة التي استخدمت خارج المدينة انفلت عقالها

وارتكبت فيها مجازر بشعة كان فيها التنكيس في الآبار والإلقاء من شواهق الجبال والحرق بالنار ، وأن ما لم يكن واضحاً في مسألة البيعة والإمارة ، وهو ما وضح في رسائله "ومن أبى أمرت أن يقاتل

على ذلك ثم لا يبقى على أحج منهم قدر عليه ، وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة ، وأن يسبي النساء والذراري". وهي الفلتة الثانية التي استخدمها قواد أبي بكر أسوأ استخدام ، ولأغراض شخصية

وانتهازية لا علاقة لها بدين ، ولم تبغ وجه الله ، كما سنرى الآن مع أفعال سيف الله المسلول ضد العرب المسلمين في الجزيرة.

كانت وجهة نظر الشيعة إذن هي أن حرب مانعي الزكاة كانت لإخضاع القبائل لسلطانه وتثبيتاً لإمارته ، لكن هناك وجهة نظر أخرى تقوم على رؤية خاصة بنا ومؤسسة على قراءة لعوامل قيام الدولة الإسلامية

في جزيرة العرب في أعمال كبرى منشورة ، يمكنها أن تقدم تفسيراً وليس تبريراً لحروب أبي بكر خاصة ضد المتنبئين ، وليس مانعي الزكاة ، نؤجلها منعاً لقطع القراءة الحالية لمسألة الردة وكيف تم استثمارها

انتهازياً منذ فجر التاريخ الإسلامي لأغراض أبعد ما أن تكون عن الدين ، وكيف طالت مسلمين أبرياء ولطخت تاريخنا الماضي ولم تزل تلطخ حاضرنا.

نقف هنا مع ما فعله (مالك بن نويرة) الشاعر الفارس المسلم كبير بني يربوع وشريفهم المقدم الذي استعمله النبي على صدقات قومه ، ولما مات النبي جمع صدقات قومه وفرقها في موضعها بين قومه ، وهو الأمر

الجائز شرعاً ، وقال في ذلك شعره :

فقلت خذوا أموالكم غير خائف

ولا ناظر فيما يجئ به الغد

فإن قام بالدين المحوق قائم

أطعنا وقلنا الدين دين محمد

وهو شعر وضاح المعاني يشير إلى إيمان بالإسلام ليس فيه شك ، لكن بينما كان يرسل رسائله تجوب الفيافي شعراً ، كان (خالد بن الوليد) بجيشه يحط على مقربه من البطاح اليربوعية عند ديار أسد بن خزيمة ،

ويرسل العيون لتعرف موقف اليرابعة من الإسلام في سرية فيها (ضرار بن الأزور) يحمل أوامر خالد ، وفيها أيضاً الصحابي الجليل (أبو قتادة) ، وتسللوا إلى ديار القوم وهم نيام فشعروا بهم وفزعوا ونهضوا

يحملون سلاحهم ، وهنا نسمع إلى شهادة (أبي القتادة) وهو يروي بداية الأحداث المؤلمة قائلاً : (إنهم لما غشوا القوم ليلاً راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح. قال : فقلنا إنا المسلمون ، فقالوا : ونحن

المسلمون ، قلنا فما بال السلاح معكم؟ فقالوا لنا : فما بال السلاح معكم؟ قلنا : فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح. قال : فوضعوها ثم صلينا وصلوا). لكن كانت مع (أبن الأزور) أوامر أخرى من (خالد بن الوليد)

هي أن يأتي بهم مستسلمين أسرى مع نسائهم وذراريهم ففعلوا "فلما وضعوا السلاح ربطوا أسرى فجئ بهم إلى خالد".

وبدأ (أبو قتادة) يشعر بالانزعاج مما يرى ، والمسلمون مع سيدهم يقادون أسرى بعد الصلاة ، يتابع الموقف ويسمع (خالد) يتهم (مالك) بأنه من المرتدين ، وأن هناك من أبلغه بذلك ، لكن مالكاً ينكر مدللاً بصلاته

وقومه وباستسلامهم وإلقائهم السلاح عندما عرفوا أن القادمين من مسلمي العاصمة ، مطمئناً إلى براءتهم أمام إخوانهم في الإيمان ، ويقول خالد : أنا على الإسلام ما غيرت ولا بدلت ، ووقف دونه أبو قتادة

وعبد الله بن عمر يشهدان له وعنه وينافحان (كنز العمال ٣ /١٣٢) واليعقوبي في تاريخه ١١٠/٢).

ونطل من بعيد عبر سجف الزمن على المشهد التاريخي العجيب ، على (مالك) مقيداً ومن ورائه امرأته (أم تميم بنت المنهال) ، يؤكد لخالد ومعه الشهود من مسلمي المدينة الذين فاجأوه في بلاده وصلوا معه ،

ولم تزل آثار الوضوء بادية عليه ، يؤكد أنه مسلم لا غير ولا بدل ، ولكن ليأمر خالد رجلة ضرار بن الأزور بضرب عنقه" !!؟ ويأتينا السر فصيحاً في روايات أبي الفدا (التاريخ ١٥٨ ، وأبن خلكان في الوفيات ٦٦/٥

واليعقوبي ٢/ ١١٠).. السر زوجة مالك؟! الموصوفة في المصادر بالجمال العظيم ، وأنه قبل هذه الحملة كان عنده خبرها ووصفها "وكان له فيها هوى". وأنه لما رآها خالج أعجبته وقال : والله ما نلت ما في مثابتك

حتى أقتلك". وشعر (مالك) بالغدر بعد أن استسلم لأسر أخوة الدين مطمئناً ، ومن ثم التفت إلى خالد قائلاً : "يا خالد فإنك بعثنا إلى أبي بكر فيمون هو الذي يحكم فينا ، فإنك بعثت إليه غيرنا ممن جرمه أكبر من جرمنا" ،

فقال خالد : "لا أقالني الله إن لم أقتلك".. فالتفت مالك إلى زوجته وقال لخالد : "هذه التي قتلتني" وكانت في غاية الجمال ، فقال خالد : "بل الله قتلك برجوعك عن الإسلام" فقال خالد : "يا ضرار أضرب عنقه فضرب عنقه"

نتائج حروب الردة

نواصل هنا الحديث عما سمي بحروب الردة. وهو ما نراه حروب "مانعي الزكاة".. وكنت قد توقفت في الأسبوع الماضي عند ما رويته من تفاصيل هذه الحروب وما كان لدور خالد بن الوليد فيها.

في الإصابة ٣ / ٣٣٧ أن ثابت بن قاسم روي في الدلائل ، أن خالداً رأى امرأة مالك ، وكانت فائقة الجمال ، فقال مالك لامرأته : قتلتني ، – يعني سأقتل من أجلك – ومنا لطبيعي كي تثبت ردة الرجل أن يقتل من كان معه من

قومه الذين نهضوا عن الصلاة منذ هنيهات ، وقبلوا الاستسلام لإخوانهم في الإسلام حتى يستوثقوا من أمرهم "فضرب عنقه وأعناق أصحابه".

كما روى الطبري عن أبي بكر ، ويؤكد (اليعقوبي) أن خالد لم يستمهل الأرملة الفاتنة أم تميم بنت المنهال لتستبرئ رحمها وتكمل عدتها ، بل إنه امتطاها ودم زوجها لم يجف بعد (٢ /١١٠) ، واهتزت مشاعر المسلمين من

الحدث البشع حتى قام (أبو نمير السعدي) ينعي مالكاً يحكي ما حدث شعراً برواية (أبي الفدا /١٥٨) :

ألا قل لحى أوطأوا بالسنابك

تطاول هذا الليل بعد مالك

قضى خالد بغياً عليه لعرسه

وكان له فيها هوى قبل ذلك

فأمضى هواه خالد غير عاطف

عنان الهوى عنها ولا متمالك

فأصبح ذا أهل وأصبح مالك

إلى غير أهل هالك في الهوالك

وبينما خالد يأمر بالتمثيل بالجثث كان (أبو قتادة) يحث الخطى يدفعه الغضب والألم إلى المدينة "فلحق أبو القتادة بأبي بكر فأخبره الخبر ، وحلف ألا يسير تحت لواء خالد لأنه قتل مالكاً مسلماً".

وأمر خالد برؤوس بعض القتلى لتنصب أثافي ، ومنها رأس "مالك" ، والأثافي هي صخر (الكونكاريت – الزلط) كانت ثلاثاً متجاورة وتوقد النار بداخلها لتسمح بمرور الهواء فتشتعل النار ، ولتحمل قدور الطعام فوقها ،

ونضج طعام (خالد) ليأكله مع أم تميم ولم ينضج رأس زوجها بعد ، والسبب فيما يروى الزبير بن بكار عن شهاب في الإصابة "أن مالك بن نويرة كان كثير شعر الرأس فما قتل أمر خالد برأسه فنصب أثفية فتضج ما

فيها قبل أن تخلص النار إلى شئون رأسه "الإصابة ٣ / ٣٣٧ ، وأبن كثير ٦ /٣٢٢ ، وأبو الفدا ١٥٨".

هذا ما كان يحدث في مضارب بني يربوع بينما كان يحدث في العاصمة حديث آخر ، فقد علم (عمر بن الخطاب) بالحدث العظيم فذهب ينتفض غضباً إلى الخليفة يهتف به "إن خالداً قد زنى فارجمه" ، قال : ما كنت أغمد

سيفاً سله الله عليهم / تاريخ أبي الفداء.. هذا بينما كان متمم بن نويرة شقيق مالك قد تمكن من الهرب واللحوق بالمدينة فصلى وراء أبي بكر صلاة الصبح ، فملا فرغ أبو بكر قام (متمم) وسط مسجد رسول الله يرسل

نواحه شعراً يمزق نياط الأكباد والقلوب ، مقارناً بين شرف (مالك) وفروسيته وبين غدر (خالد) قائلاً :

نعم القتيل إذا الرياح تناوحت

خلف البيوت قتلت يا ابن الزور

أدعوته بالله ثم غدرته؟

لو هو دعاك بذمة لم يغدر!

وهنا تبدو المقارنة بين ذمة العرب المرعية المعتبرة التي تلزم أصحابها من فرسان الأشراف إذا دعوتهم بها فلا يغدرون ، وبين دعوة أعلى هي دعوة الله لكن أصحابها رغم دعواهم بها فإنهم قد غدروا ، وهو الأمر

المفهوم مع غضب (متمم بن نويرة) وهو يرى الخليفة يصر على عدم محاسبة خالد ولا عزله ، وناسباً ما حدث إلى قرار قدسي جاء على لسان نبيه أن خالداً هو سيفه المسلول ، ومقدماً حجة ليست بحجم الحدث

وجسامته بأنه قد تأول فأخطأ.

وبينما يحيل الخليفة استمرار سيف الله إلى الله فإن عمر أبدا لم يقتنع بل أعلن يقينه أن الله من ذلك براء ، ناعتاً خالد بعدو الله قائلاً : "عدو الله عدى على امرئ مسلم فقتله ثم نزا على امرأته – الطبري".

وعاد خالد إلى المدينة مزهواً بفعاله يلبس دروع الحديد ، وعلى رأسه عمامة غرس فيها أسهم المحاربين الأشراف متجهاً إلى مسجد الرسول للقاء الخليقة ، لكن ليلقاه عمر على الباب فينزع الأسهم عن عمامته

ويكسرها قائلاً له : "... أي فخر كاذب بأسهم الفرسان الأشراف؟ ثم أستمر يقول له : "قتلت امرءا مسلماً ثم نزوت على امرأته ، والله لأرجمنك بأحجارك" ولم يهتم خالد بعمر بل استمر في سيره ودخل المسجد

على الخليفة واعتذر له فقبل الخليفة اعتذاره ، فخرج خالد مزهواً أكثر مما دخل ليمر على فمر فيناجزه القول مستنفراً له مستفزاً قائلاً : "هلم إلى ابن أم شملة". فعلم عمر أن الخليفة قد عفا عنه وأن إصراره

على إنزال العقاب به قد ذهب أدراج الرياح ، فلم يرد على استفزاز خالد الشتام وانصرف إلى بيته وأغلقه عليه.

هذا الحدث من أحداث ، وجسيم من جسام ، وطل من غيث ، وغيض من فيض ، ومثل من نماذج عديدة وعدة لما حدث باسم الله والإسلام في حق عباد الله من أهل الإسلام تحت عنوان (الردة) والإسلام بعد في فجره

، بحق مسلمين كان لهم رأي سياسي عارضوا فيه عدم مشورتهم في اختيار خليفتهم ، خالفوا السلطان ولم يخالفوا الديان ، لكنهم بسيف الله ذبحوا وهم أسرى مستسلمين له ، فماذا اليوم عمن هم مثل خالد على

راس العباد ، ومن كانوا في الشرف اقل وفي القيمة أدنى؟ هل تأولوا في شأن فرج فودة فأخطئوا فقتلوا؟! وهل سيظل اسم الله بيد النجار سيفاً مسلولاً فوق رؤوس العباد تحت بند الردة وإنكار ما هو معلوم من الدين

بالضرورة؟ وما هو رأيك يا ولي الأمر؟ هل سيكون كرأي الخليفة مطلقاً علينا به خوالدك وأزاورتك؟

مرة أخرى لا عبرة هنا مطلقاً بأكاذيب سيف بن عمر التي يلجأ لها سادتنا من السدنة لتقديس الصحابة ، وتبرئتهم من الحدث الهائل ، ومثله كثير من الأحداث الفواجع ، وهي حجج أوهى من بيت العنكبوت ، فسيف يبرئ

خالداً بغلطة تاريخية لغوية حيث كانت ليلة الأسر في ديار اليرابعة باردة قارصة ، فقام بحنين قلبه على أسراه الذين صلوا وصاموا وأعلنوا إسلامهم أمامه ينادي رجال جيشه "أدفئوا أسراكم" وكانت في لغة كنانة

"اقتلوا أسراكم" فقتلوهم.. هكذا؟! وأن خالد لما عرف الخطأ العظيم قال : "إذا أراد الله أمراً أصابه" كل مصيبة تنسب إلى الله وكل تزوير ينسب إلى الحق تعالى وكل غرض خبيث يتذرعون وراءه بالله وكلماته ،

ويخالف الراوي غير المحترم ، لا المخلص للناس ولا الدين ، يخالف الجميع ، ويقول أن خالداً لم يطأ الأرملة الجميلة إلا بعد أن استبرأ رحمها.. ورحماك يا الله ... عندما نعلم أن الخطأ قد تم علاجه بأن أرسل الخليفة

لأهل القتلى ديات قتلاهم !! وانتهت المشكلة البسيطة الهينة؟!

فإذا كانوا غير مسلمين فماذا الديات؟ وإذا كانت خطأ لسانياً فماذا اعتبرها الخليفة تأولاً خاطئاً ، ولماذا أصر عمر على القصاص؟ وإذا كان الخطأ لنطقه بلغة الكنانة فكيف جاز ذلك و "خالد" محزومي من أسدي ،

وكيف فهمها "ابن الأزور" كنانية وهو ثعلبي أسدي ، وكيف تآمرت أسماع وإفهام الجيش كله مع تلك اللغة الكنانية النشاز على الجميع ، وكلهم إما مهاجر قرشي أو أنصاري مدني؟ وإذا كان الأمر خطأ في اللغة ،

وأن الزمن قد تآمر فأصيب الجميع بغتة بلغة كنانة في الألسن وفي الإفهام ، فلماذا تم وضع رؤوس القتلى أثافي لقدور طعام اللذة ومتعة الجسد بنار رأس القتيل ونار جسد أرملته؟

هذه نتائج ما سمي بحرب الردة التي أصر عليها الدكتور "رأفت عثمان" كحجة بيده يطلب بها رد أي مختلف اليوم أو أي خارج ، وهي الحروب التي يتم تزويرها على أبنائنا في المدارس وعلى المسلمين في التمثيليات

التلفازية وأحاديثه المشيخية اعتماداً على كذب سيف بن عمر أمام منطق واضح وأحداث أوضح ، فيعلمون المسلم الكذب والخداع أو هم يخدعونه من حيث لا يدري أم يخدعون الله؟ وما يخدعون إلا أنفسهم !

دون أن يقدموا مرة على فضيلة الصدق مع الذات ومع الناس ومع التاريخ ومع الدين ومع الله الذي هو تواب وهو أيضاً أعلم العالمين ، ودون أن يتراجعوا أنملة عما هم فيه من غواية التقديس لأشخاص غير مقدسين ،

بخطاب متفق يغطي على حقائق واضحة لكل من يملك ضميراً صادق اليقين بدين لا بالسلطان على العباد. وهو ما يشكك في هذا الضمير المراوغ ولغة المخاتلة حتى لو أخطأ السيف مئات المرات بحق عباقرة الأمة منذ

هذا التاريخ الأول مروراً بالحسين ابن الحلاج والسهروردي المقتول حتى يومنا هذا ، وحتى لو أخطأ هذا السيف مئات المرات في حروب مذهبية طاحنة علت كل منها آيات الله تتهم الآخر بالردة والخروج عن المعلوم من

الدين بالضرورة..

كان منها هذا الموجز المكثف الذي رويناه لحديث عن مسلمين عبروا عن رأيهم السياسي يمنع الزكاة وظلوا مسلمين ، ووصموا في تاريخنا زوراً وبهتاناً بالارتداد عن الدين كله ، ومازلت الوصمة تلاحقهم عبر التاريخ حتى

اليوم دون أن يقوم من مشايخنا رجل رشيد يسجل موقفاً يسحبه له الناس والتاريخ ليعلن اعتذاراً واضحاً عما حدث لهم ولغيرهم عبر تاريخنا لتنظيف هذا التاريخ من عاره ووصماته.

مرة أخرى ندقق فيما نشر عن توصية لجنة العقيدة والفلسفة لتمديد مهلة استتابة المرتد من أيام ثلاثة إلى مدى العمر ، نحاول مع القارئ أن نفهم ما نشر في قولهم : "إذا ارتد وفارق الجماعة فإن أمره متروك لولي الأمر..

له أن يستتبه مدى الحياة أما إذا كانت ردته خطراً على الأمن العام وأصول الدين وأصول المجتمع يحق لولي الأمر قتله" ، هذا مع تأكيدهم أنهم بذلك ليسوا مشرعين جداً بل مرجحين بين الآراء وأنهم لم ينكروا بترجيحهم

هذا نصاً معلوماً من الدين بالضرورة. ونذكر أن الدكتور "رأفت عثمان" قد عارض مطالباً بالدم الفوري ، وذلك "لأن تقسيم المرتد إلى مرتد يضر ومرتد لا يضر ليس وارداً في اعتبار العلماء القدامى أصلاً.. إنما تكلموا

عن المرتد المحارب الذي يلحق بالدولة المعادية وهذا يقتل ولا يستتاب".

وهنا ملحوظات لابد أن يطرحها أي مسلم على نفسه. ما المقصود هنا بقولهم "فارق الجماعة؟" وما هي الجماعة المقصودة؟ هل هي الجماعة الوطنية التي تضم مواطني الوطن ، وهي المعول عليه اليوم في مفهوم الجماعة

المعاصر والتي تشمل مسلمين وغير مسلمين يجمعهم وطن واحد ومصير واحد وتاريخ واحد ولغة واحدة وجيش واحد ويموت في سبيل هذا الوطن الواحد المسلم وغير المسلم وتختلط دماؤهم على ثراه الطاهر؟ أم المقصود

هنا لغة طائفية تشف الوطن شقاً فتتحدث فقط عن طائفة المسلمين وتصبح هي الجماعة الواجب الولاء لها وليس الوطن ، وهي طائفة متناثرة في مختلف بلدان العالم تشكل في بعضها أكثرية كما في باكستان مثلاً وفي بعضها

أقلية كما في البوسنة أو بلاد تركب الأفيال؟

أليست تلك بلغة طائفية ممجوجة إزاء وطن مأزوم بفضل مثل تلك الأفكار الآتية بريحها من أكفان موتى التاريخ؟ وازدادت أزمته بما فعله السفهاء منا في جريمة سبتمبر ٢٠٠١ دونما ذنب واضح لبقية المواطنين البسطاء

الذين ما عادوا يفهمون لغة هذا الماضي !!

و يا ليتها لغة طائفية استطاعت التطور والتكيف مع العصر ومبادئه وقيمه. فالفاتيكان مثلاً مؤسسة دينية طائفية بالكامل ، لكنه تمكن من تطوير مفاهيمه فيصبح المدافع الأول عن حقوق الإنسان مطلقاً بغض النظر عن دينه

أو عنصره في إعلانات فصيحة ومواقف عديدة ، آخرها احتجاجه على عزم أمريكا حث مجلس الأمن للسماح بضرب العراق لأنه خالف ستة عشر قراراً للأمم المتحدة بينما إسرائيل خالفت ألفا وستمائة قرار دون أن يضربها

أحد أو حتى يلومها. هذا رغم أن مواطني العراق ليسوا من أتباع دين الفاتيكان ولا ملته.

أما نحن فلغتنا الطائفية تجعلنا لا نرى سوى طائفتنا فنكيل أمام الدنيا بأكثر من مكيال رديء يقل في ردها علينا بمكاييلها رداءة فنحن نستنكر تدخل أية دولة في شئوننا الداخلية لكننا بالطائفية كنا نتدخل في شئون البوسنة وأفغانستان ،

ونحن نستنكر الاستعمار وفي الوقت ذاته نتحدث عن فتوحات آتية نغزو فيها البلاد ونأخذ الأموال ونقتل الرجال ونسبي الزراري والنساء ، ونبكي سنوياً بحرقة على الأندلس التي تحررت من استعمارنا ، ونقوم بالدعوة لديننا في

مختلف البلدان ونقيم مدارسنا ومساجدنا فيها بحكم قوانينها الديمقراطية ، ونقبض على من يبشر بدينه بيننا ، ونحن ضد أي تقسيم أو استقلال لأي جزء من الوطن لأية حجج طائفية أو عنصرية لكننا مع استقلال كشمير عن هندها ،

ومع حرب الشيشان الاستقلالية عن بلادها.

والمأساة في صياغة لجنة العقيدة والفلسفة أو معارضيها أنها ليست فقط صياغة طائفية إنما صياغة زمن لم تعد صالحة للاستخدام في زماننا ، فالجماعة المتعددة تتفق وظرفها التاريخي إبان تكون الدولة الإسلامية الأولى في جزيرة

العرب ، والتي كان الإسلام هو أيديولوجيتها التوحيدية لقبائلها المتشرذمة فكان الإسلام هو عقدتها الجامعة ، زمنها كان يجوز القول بالجماعة ومن يفارقها لأن الجماعة كلها قد وحدتها على دين بعينه لا تقبل بالطبع أية أديان أخرى

لأن ذلك كفيل بتمزيق وحدتها ، وهو أمر يبدو في ظاهره أمر دين رغم أنه بهذا المنطق شأن سياسة.

ومما يؤكد أن تلك الصياغة للتوصية الجديدة مكتوبة في كهوف الأسلاف وسراديب الماضي هو أنها تفرق بين نوعين من المرتدين حتى يمكنها أن تقيم اجتهادها الجديد ، فتقول بمرتد لا تمثل ردته خطراً على المجتمع ، وهذا هو الذي

يستتاب مدى الحياة بالسجن المؤبد حتى يعود إلى الدين ، ومرتد من نوع آخر يستوجب القتل فوراً وهو من تشكل ردته خطراً على الأمن العام وأصول الدين وأصول المجتمع.

والمعلوم أن الخطر على المجتمع والأمن العام اليوم لا يأتي من انتماء مواطن لدين بعينه بالذات من عدمه ، إنما يكون ذلك بالخروج على قوانين هذا المجتمع ، ولو أخذنا مصر نموذجاً مع حساب الاحتفالات اعتبار فارق النسبة العددية

بين المسلمين والمسيحيين ، فإن النتيجة المترتبة على ذلك أن يكون عدد من يشكلون خطراً على المجتمع والأمن العام من المسلمين أكثر بكثير من المسيحيين أو المرتدين "إن وجدوا أصلاً".

ولا أظن هذه التفرقة إلا مقصودة قصداً لإعمال النص القانوني الغريب المتعلق بازدراء الأديان ، والذي يحاكم بموجبه بعض المفكرين المجتهدين وينسب إليهم هذا الازدراء ويكونون بذلك المعنى مرتدين ، يشكلون خطراً على المجتمع

وعلى الأمن العام ، وهو ما يفسره استطرادهم حول هذا المرتد الذي يجب قتله إذا شكل خطراً على أصول الدين وقواعده ، وهو أمر لا يمكن فهمه إلا في ضوء تفسيرنا هذا ، لأن قواعد الدين ليست منشأة عسكرية قابلة للقصف بالقنابل ،

إنما هي أمور منشورة معلنة ، معلومة ليس بها أسرار يمكن أن يشي بها من يوصم بالردة للأعداء.

المقصود بالضبط هو أية محاولة فكرية خارج كهوفهم بشأن أي أمر في هذا الدين ، ليظل فهمهم وحدهم هو الأوحد الصحيح المنتشر ، والذي تحول مع مرور الوقت ليصبح هو ما يقولونه في تفاسيرهم وفتواهم وقراراتهم السيادية على الناس ،

وكما لو كانوا وحدهم مع أسلافهم من علماء وقدامى من اطلعوا وحدهم على المقصد الإلهي من نصوصها المقدسة في خطاب مخادع مخاتل ، أنه لو كانت هذه النصوص تنطق بذاتها والمراد منها ما انقسم المسلمون فرقاً وشيعاً وطوائف حول

فهم هذه النصوص وتطبيقها ، لأن قراء النصوص المقدسة لهم عقول مختلفة ومفاهيم متباعدة بحسب الأوضاع الاجتماعية للقارئين ، واختلاف البيئات والفروق الزمنية والمعرفية ، ولأن كل قارئ يفهم النص بإعادة تشكيله وفق زمنه وبحسب

لغته ومستوى ثقافته ، وتاريخ المسلمين يحدثنا عن الاختلافات الحادة حول النصوص المقدسة بعدد المدارس الكلامية من معتزلة إلى أشاعرة إلى ماتريدية إلى مجسمة إلى مشبهة إلى منزهة إلى معطلة إلى مرجئة إلى صفانية ، كما اختلفت

المذاهب في القراءة والفهم والتفسير والتطبيق والتأويل باختلاف المذاهب الفقهية ، بل هناك إسلامات معلنة لها أتباع كثر تتباعد رؤيتها وفهمها لدرجة النقيض إزاء النص الواحد ، فهناك السني والإثنا عشري والإسماعيلي والإباضي والزيدي ،

مما يعني أنه من حق أي مسلم أن يفهم النص أو أن يطور هذا المفهم بلغة العصر ومطالبيه ، ولكنه إن فعل يصبح ممن يزدرون الدين أو من المنكرين لمعلوم من الدين بالضرورة وحسب هذا الاجتهاد الجديد يجب قتله. ولا يبقى سوى أن المقصود

بوصف المرتد الخطر على أصول الدين هو صاحب أي رأي مخالف لسدنة شئون التقديس ، بينما سيكون تجريم هذا الزمان وقياساً على اختلاف المذاهب بمقاييس هذا الزمان وقياساً على اختلاف المذاهب والمدارس عبر التاريخ هو الجريمة عينها ،

لأن فعله لا يتعدى القول وإبداء الرأي ، الذي يجب أن يقابل بالقول والرأي وليس بالإعدام

(عن مقالة للدكتور سيد القمنى)

قبس من مذابح الأمويين والعباسيين

معاوية بن أبي سفيان وولده يزيد لم يمنعهما إسلامهما من قتال آل بيت الرسول وجز رأس الحسين، الحجاج بن يوسف الثقفي اعدم من العراقيين مئة وعشرين ألفا واستباح نساء المسلمين ,العباسيون قتلوا خمسين ألفا من أهل دمشق وجعلوا من المسجد الأموي إسطبلاً لخيولهم.

هل كان ممكناً أن ترتج أجهزة الدولة كلها مستجيبة لاستغاثة مواطن يعاني القهر والظلم في بلاد المسلمين على يد المسلمين، في الإمبراطورية الإسلامية العظمى الغابرة، كما ارتجت وتحركت بعدّتها وجيوشها في القصة الأسطورية استجابةً لصرخة امرأة مجهولة منكورة لا نعرف من هي، وهي تنادي الخليفة من على الحدود عندما اعتدى عليها بعض الروم: "وامعتصماه"؟!.

إن هذا النموذج من القصص يريد أن يعلن مدى اهتمام الدولة جميعها بمواطن فردٍ يعاني أزمة، وهو ما يستثير الخيال العربي المقموع ويدفعه إلى محاولة استعادة هذه الدولة الأبية التي كانت تردع الأعادي بكل فخر ومجدٍ كما كانت تنشغل بالمواطن الفرد كل الانشغال، حتى بات عزيزاً كريماً مرهوب الجانب أينما كان. لكن بين القص الأسطوري وبين ما كان يحدث في الواقع مفارقات لا تلتئم أبداً، ولا تلتقي أبدا. والنماذج على ذلك أكثر من أن تحصيها مقالة كهذي، بل تحتاج إلى مجلدات من الكتب. لكن يكفينا هنا اليسير منها لنكتشف هل كانت ثقافة "وامعتصماه" أمراً حقيقياً فاعلاً في الواقع أم أنها مجرد قصة لرفع الشعارات دون الفعل وليس أكثر، كالعادة العربية المعلومة! خاصة أن هذه الدولة العزيزة بمواطنها الكريم هي الدولة النموذج التي يطلبها اليوم المتأسلمون على كافة فصائلهم وأطيافهم، ويزينونها للناظرين بقصّ كهذا عادة ما يبدأ بمسئولية الخليفة الراشد وهو في يثرب عن دابة لو عثرت بالعراق.

وينتهي بالحفل البانورامي حول احتلال "عمّورية" انتقاماً للفرد العربي الأبي حتى لو كان امرأة! مع علمنا بحال المرأة قياساً على الرجل في تراثنا.

لقد صرخت القبائل العربية في الجزيرة منذ فجر الخلافة "وإسلاماه" تستغيث بالمسلمين لردع جيوش الدولة عن ذبحها وسبي حريمها وأطفالها لبيعهم في أسواق النخاسة، تلك القبائل التي تمسكت بحقها الذي أعطاه لها ربها بالقرآن في الشورى والمشاركة الفاعلة في العمل السياسي. فرفضت خلافة أبي بكر"الفلتة" بتعبير عمر بن الخطاب لأنها تمت بدون مشورتهم ولا ترشيح احد منهم ولا أخذ رأيهم، فامتنعوا عن أداء ضريبة المال للعاصمة تعبيراً عن موقفهم، لكنهم عملوا برأي الإسلام فجمعوا الزكاة ووزعوها على فقرائهم في مضاربهم التزاماً بهذا الركن الإسلامي بجوار صلاتهم وصيامهم وقيامهم بقية الأركان المطلوبة. فلم يعفها ذلك من جزّ الرقاب والحصد بالسيف. والصراع هنا لم يكن حول الإيمان والكفر، بل كان الشأن شان سياسة دنيوية لا علاقة لها بالدين.

ورغم الجميع فقد تواطأ السَّدنة مع السلطان ضد تلك القبائل ليؤسسوا في التاريخ المذهب السنِّي الذي وجد فرصته في مكان سيادي بجوار الحاكم، فقام بتحويل الخلاف السياسي إلى خلاف ديني، واعتبر أن محاربة هؤلاء واجب ديني لأنهم قد كفروا وارتدوا عن الإسلام لا لشيءٍ، إلا لأن هكذا كان قرار الخليفة؛ ولأن هذا الخليفة كان "الصدِّيق" صاحب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وصهره ووزيره الأول. فالبسوا الخليفة أولاً ثوب القدسية ولو ضد منطق الإسلام الذي لا يقدس بشراً، ثم البسوا القرار قدسية الخليفة،

ثم أصدروا قرارهم بتكفير هذه القبائل بتهمة الردة عن الإسلام لأنها حسب القرار البكري قد "فرَّقت بين الصلاة وبين الزكاة"، وهو أمرٌ فيه نظر من وجهة نظر الشرع لا تبيح قتالهم ولا قتلهم. لذلك تم تدعيم القرار بأن تلك القبائل قد خرجت على رأي الجماعة وخالفته وهو اختراع آخر كان كفيلاً بوصمها بالارتداد منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم.

وهكذا، ومنذ فجر الخلافة جلس الفقيه في معية السلطان يصوغان لنا إسلامنا، إسلام يؤسلم ويكفّر حسب مدى التزام المواطن بالمذهب السيد الذي هو مذهب السدنة والسلطان وأولي الأمر، وطاعتهم أمر رباني وفرض سماوي. ومنذ خرجت جيوش أبي بكر تحارب تاركي الزكاة تحت اسم الدين والصواب الديني، أصبح معنى أن تخرج جيوش المسلمين لتحارب الكفار "غير حروب الفتوحات". إنها خارجة للقضاء على المعترضين أو المخالفين في الرأي السياسي الذي تتم إحالته إلى الدين، حتى يتم الذبح والحرق والسبي باسم الدين وليس لخلاف سياسي.

ونظرة عجلى على تاريخ العرب المسلمين ستكتشف أن مقابل "وامعتصماه" الأسطورية، ألف "وإسلاماه" كان جوابها مختلفا. وبلغ الأمر غاية وضوحه في زمن عثمان بن عفان الذي فتق بطن عمّار بن ياسر ضرباً وركلاً، وكسر أضلاع إبن مسعود حِبِّ رسول الله، ونفى أبا ذر إلى الربذة، فقتل المسلمون خليفتهم، وتم قتله بيد صحابة وأبناء صحابة. ومن بعدها خرجت الفرق الإسلامية تحارب بعضها بعضا وتكفّر بعضها بعضا، حتى مات حول جمل عائشة خمسة عشر ألف مسلم، ومن بعدهم مائة ألف وعشرة من المسلمين في صفّين، لا تعلم من فيهم من يمكن أن نصفه بالشهيد ومن فيهم من يمكن أن نصفه بالظالم المفتري!

أما عن زمن معاوية وولده يزيد فحدث ولا حرج عما جرى لآل بيت الرسول، وكيف تم جز رأس الحسين لترسل إلى العاصمة، وكيف تم غرس رأس زيد بن علي في رمح ثم غرسه بدوره فوق قبر جده رسول الله!. وإن ينسى المسلمون السُّنة، فإنَّ بقية الفرق لا تنسى هذه الأحداث الجسام التي فرَّقتْ المسلمين فرقاً وشيعاً، كلها تمسَّحتْ بالدين وكان الشأن شأن سياسة ودنيا وسلطان.

وإن ينسى المسلمون أو يتناسوا فان التاريخ يقرع أسماعنا بجملة مسلم بن عقبة المري لتأديب مدينة رسول الله "يثرب" ومن فيها من الصحابة والتابعين بأمر الخليفة القرشي يزيد بن معاوية. فقتل من قتل في وقعة الحرة التي هي من كبرى مخازينا التاريخية، إذ استباح الجيش نساء المدينة أياما ثلاثة حبلت فيها ألف عذراءِ من سفاح واغتصاب علني وهن المسلمات الصحابيات وبنات الصحابة والصحابيات.

أما زياد بن أبيه، والي الأمويين على إقليم العراق، فقد شرَّع القتل بالظنة والشبهة حتى لو مات الأبرياء إخافة للمذنب، وشرَّع قتل النساء. أما نائبه الصحابي "سمرة بن جندب" فان يديه قد تلوثتا فقط بدماء ثمانية آلاف من أهل العراق على الظن والشبهة، بل اتخذ تطبيق الحدود الإسلامية شكلاً ساخراً يعبر عن تحكم القوة لا حكم الدين، كما في حال "المسود بن مخرمة" الذي ندَّدَ بشرب الخليفة للخمر، فأمر الخليفة بإقامة الحد إحقاقاً للشرع لكن على المسود بن مخرمة.

ثم لا تندهش لأفاعيل السلطة وشهوتها في التقوى والأتقياء. فهذا الملقب بـ"حمامة المسجد" عبد الملك بن مروان لكثرة مكوثه في المسجد وطول قراءاته للقران وتهجده ليل نهار، يأتيه خبر أنه قد أصبح الخليفة فيغلق القران ويقول له: "هذا آخر العهد بك"، ثم يقف في الناس خطيباً فيقول:"والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا وإلا ضربتُ عنقه".

ولابد أن يجد الحجاج بن يوسف الثقفي هنا ولو إشارة؛ لأنه كان المشير على الخليفة؛ ولأنه من قام على إصدار النسخة الأخيرة من القرآن بعد أن عكف مع علماء الأمة على تصويب الإصدار العثماني وتشكيله وتنقيطه بإشراف شخصي دائم منه، ولم يثبت عليه حب الخمر أو اللهو. لكنه كان أيضا هو الرجل الذي ولغ في دماء المسلمين، وكانت مخالفته في أهون الشئون تعني قص الرقبة، فهو الذي قال:"والله لا آمر أحدا أن يخرج من باب من أبواب المسجد فيخرج من الذي يليه إلا ضربت عنقه". وهو أحد خمسة ذكرهم عمر بن عبد العزيز قبل خلافته في قوله: "الحجاج بالعراق والوليد بالشام وقرة بمصر وعثمان بالمدينة وخالد بمكة، اللهم قد امتلأت الدنيا ظلما وجورا".

وقد سار الحجاج على سنَّة سلفه زياد في إعدام النساء والقبض على أهل المطلوب حتى يسلم نفسه، ومنع التجمهر، وإنزال الجنود في بيوت الناس ووسط العائلات يلغون في الشرف كيفما شاءوا إذلالاً للناس وكسرا لإنسانيتهم، حتى انه أعدم من العراقيين في عشرين سنة هي مدة ولايته مائة وعشرين ألفا من الناس بقطع الرأس بالسيف أو الذبح من القفا أو الرقبة، دون أن نعرف من هم هؤلاء الناس ولماذا ذبحوا اللهم إلا على الاحتجاج على ضياع كرامة الإنسان، أو لمجرد الشبهة والظن.

وقد وجد هؤلاء السادة في الذبح والحرق لذة وسعادة، بل فكاهة دموية. ففي فتوح جرجان سال أهل مدينة طمسية قائد المسلمين سعيد بن العاص بن عم الخليفة القائم عثمان بن عفان الأمان، مقابل استسلامهم على ألا يقتل منهم رجلاً واحداً، ووافق القائد سعيد ففتحوا له حصونهم فقرر الرجل أن يمزح ويلهو ويضحك، فقتلهم جميعا إلا رجل واحد!

وعندما وصل العباسيون إلى السلطة بدأوا حملة تطهير واسعة شملت من مواطني دمشق خمسين ألفا تم ذبحهم، وجعلوا من المسجد الأموي إسطبلاً لخيولهم. ولما استقام لهم الأمر استمروا على النهج الأموي في ظلم العباد وقهر آدمية الإنسان، وهو ما كان يدفع إلى ثورات، تنتهي بشي الثوار على نيران هادئة، أو بمواجهتهم للضواري في احتفالات رومانية الطابع.

وهكذا كان الإنسان سواءً مواطناً عادياً كان، أم كان في جيوش السلطان، في مقتطفات سريعة موجزة مكثفة من تاريخنا السعيد وزماننا الذهبي الذي يريد الدكتور محمد عمارة استعادته، لماذا؟ يقول لنا تحت عنوان "مميزات الدولة الإسلامية"، إن الشريعة الإسلامية فيها "تفوقت على غيرها من كل الشرائع والحضارات والقوانين الدولية، في أنها جعلت القتال والحرب استثناء مكروها لا يلجا إليه المسلمون إلا للضرورة القصوى". لذلك يرى الدكتور عمارة: "أن الدولة الإسلامية لم تخرج عن هذا المنهاج السلمي، حتى تضمن الدولة للمؤمنين حرية العيش الآمن في الأوطان التي يعيشون فيها"- مقالاته الحروب الدينية والأديان السماوية ٧،٨".

لكن ماذا عند سيادة الدكتور ليقوله بشان تلك الجسام الجلل في تاريخ ما يسميه الدولة الإسلامية؟!.

هذه دولتهم الإسلامية التي يريدون استعادتها لإقامة الخلافة مرة أخرى ل"تحرير" فلسطين والعراق وإعادة الإمبراطورية القوية مرة أخرى. لقد كان زمنا ذهبيا بكل المعاني الذهبية بالنسبة للسادة الفاتحين الغزاة الحاكمين وحواشيهم من سدنة الدين وتجار البشرية،

قد درسنا في التاريخ الإسلامي أن الجيوش العربية اكتسحت كل الممالك المحيطة بها ولم يبتغوا من ذلك غير الشهادة في سبيل الله والجهاد لإعلاء كلمته. وقد قال لهم الله : " انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون " (التوبة ٤١). وفي حديث أنس ابن مالك أن النبي قال: " جاهدوا المشركين بألسنتكم وأنفسكم وأموالكم وأيديكم ". فهل كانت الغزوات فعلاً في سبيل الله ؟
في بداية فترة الرسول في المدينة بدأت الغزوات باعتراض قوافل قريش للحصول على المال اللازم لإقامة دولة المدينة. فكانت غزوة بواط من أول الغزوات، وقال ابن كثير في مختصر السيرة إن الغرض منها كان اعتراض عير قريش التي كان فيها أمية بن خلف ومائة رجل وألفان وخمسمائة بعير. ثم أتت سرية عبد الله بن جحش فأصابوا أسيرين وعدداً من الإبل، فأعطوا رسول الله الخمس واقتسموا ما تبقى بينهم. ثم سمع الرسول بأبي سفيان قادماً من الشام بأموال قريش، فقال للمسلمين: " هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها. " ثم جاء دور اليهود فغزا المسلمون بني القينقاع ثم بني قريظة وبني المصطلق ثم يهود خيبر ووادي القرى. ولم يُسلم من كل اليهود غير خمسة أو ستة أشخاص ليحافظوا على أموالهم. ووضع المسلمون أيديهم على أموال اليهود بعد أن أجلوهم عن المدينة وقتلوا من قتلوا منهم. وكل هذه الغزوات لم تزد عدد المسلمين ولم تنشر دين الله الجديد، ولكنها أثرت المهاجرين الذي أتوا إلى المدينة صفر الأيادي. ويبدو أن المسلمين اكتفوا بما أخذوا من أموال قريش وأموال اليهود ولم تكن شهيتهم للغزوات عظيمة. وقد حثهم الرسول على الغزو غير أنهم تباطؤوا، فأنزل الله عليهم: " يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا أثاقلتم إلى الأرض " (التوبة ٣٨). " ألا تنفروا يعذبكم الله عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم " (التوبة ٣٩). فنرى هنا أن المسلمين الأوائل لم يكن يعنيهم الجهاد في سبيل الله، فقد اكتسبوا مالاً ونخيلاً ومنازلاً كانت لليهود، واكتفوا بذلك. وعندما لم تفلح مساعي الرسول في حثهم على القتال، أنزل الله الآيات التي جعلت القتال فرضاً عليهم، مثل " كُتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم " (البقرة ٢١٦). وقال لهم الرسول " من مات ولم يغزُ مات على نفاق ".
ثم جاء عهد الخلفاء الراشدين وبدأ المسلمون بفتح البلدان المجاورة مثل الشام وبلاد فارس وغنم المسلمون كمية من المال والعبيد لم تكن تخطر لهم على بال. ويقال أن الخليفة عمر لما جاءه المال من بلاد فارس قال للمسلمين: " إنه قدم علينا مال كثير، فإن شئتم أن نعده لكم عدداً وإن شئتم أن نكيله لكم كيلاً " (البلاذري: فتوح البلدان ص ٥٠٥). وفرض عمر لكل رجلٍ وامرأة نصيباً معلوماً من المال، وحتى المولود الجديد فرض له نصيباً. ولما لم تكن هناك حكومة متقدمة تتكفل بنفقات الجيش، بدأ بعض المسلمين باستلاف الأموال لتجهيز نفسه للغزوات، لضمان الرجوع بكميات وافرة من الغنيمة تكفي لسداد الدين وتوفر له ربحاً وجواري، وقد قال المبرد في الكامل في التاريخ إن بكير بن وساج عندما تجهز لغزو ما وراء النهر أنفق نفقة كثيرة واستدان فيها. (الجزء الثاني، ص ٢٨٦).
وكان واضحاً منذ البداية أن الغنيمة كانت هي الدافع الأقوى للاشتراك في هذه الغزوات، فقد ذكر ابن كثير أن أصحاب رسول الله يوم موقعة بدر اختلفوا في الغنيمة، إذ كانت المجموعة التي تحرس الرسول ومنهم سعد بن معاذ، تقول أنها أحق بالغنيمة، والمجموعة الثانية التي كانت تحارب المشركين قالوا إنهم أحق بالغنائم لأنهم الذين أصابوها. وقال عبادة بن الصامت إن آية " الأنفال " نزلت فيهم يوم بدر : " حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله ". وكذلك يوم واقعة " أُحد " عندما أوصى الرسول بعض أصحابه بالوقوف على التل ورمي المشركين بالنبال، وأمرهم ألا يبرحوا مكانهم حتى إن انتصر المسلمون. وفعلاً انتصر المسلمون في البداية وبدأ المشركون بالتراجع، فخشي أهل التل أن تفوتهم الغنائم، فنزلوا من التل يبتغون الغنائم فدارت عليهم الدوائر وانهزموا وهربوا من حول الرسول الذي أُصيب في وجهه بحجر وظل ينزف.
واستمرت الغزوات فغزا عمرو بن العاص مصر سنة عشرين هجرية وغنم أموالاً طائلة وسبايا، وحاول عبد الله بن سعد بن أبي سرح غزو النوبة ولم يفلح فحالفهم على أن يعطوا المسلمين عدداً من العبيد كل عام. وغزا عبد الله بن سعد شمال أفريقيا وغنم مالاً كثيراً وسبايا حتى أن الرجل من المسلمين كان نصيبه ألف دينار إذا كان راجلاً وثلاثة آلاف إذا كان فارساً (شذرات الذهب للدمشقي). وأعطى عثمان بن عفان لعبد الله خمس الأنفال من أفريقيا، وهو الخمس الذي فرضه الله للمساكين. واستمرت غزوات المسلمين حتى نهاية الدولة العباسية فدخلوا السند والهند وبلاد فارس وجنوب الصين، فاجتمعت لهم ثروات كان يصعب عليهم استيعاب مقدارها، وحتى صحابة الرسول الذين حرّم الله عليهم كنز الأموال حينما قال " والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يُحمى بها في نار جهنم فتكوى بها جباههم و جنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون " كنزوا الأموال الطائلة، ففي طبقات ابن سعد وهو أحد أوثق المصادر في تاريخ صدر الإسلام، بلغت ثروة الزبير بن العوام اثنين وخمسين مليون درهم من النقد وكانت له أملاك في مصر والإسكندرية

والكوفة والبصرة والمدينة. وكان لعثمان عند خازنه يوم قتل ثلاثين مليون درهم ومائة وخمسين ألف دينار. وترك عبد الرحمن بن عوف ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ومائة حصان ومزرعة تسقى بعشرين ناضح (دابة لسقي المزارع) وذهب مصبوب في سبائك، يقول المسعودي إنه أخرج بعد وفاته إلى مجلس عثمان وكوّم على الأرض فحال بين الجالسين لارتفاعه عليهم. وكانت غلة طلحة من العراق وحده ألف درهم في اليوم وقد ترك من الأموال والعقار ثلاثين مليون درهم. وهؤلاء الأربعة من العشرة المبشرين بالجنة وهم من قادة الصحابة. وينقل صاحب العقد الفريد أن ابن عباس كان يرتدي الرداء بألف درهم (من قاموس التراث، هادي العلوي).
والغريب أن كل البلاد التي فتحها المسلمون عنوة، قتلوا رجالها وسبوا نساءها ولم يساوموهم على الإسلام وإعلاء كلمة الله. وقيل أن أبا بكر كان قد أوصاهم أن يؤذنوا إذا نزلوا منزلاً فإن أذن القوم فكفوا عنهم وإن لم يؤذنوا فاقتلوا وانهبوا (الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢١٧). ويقال إن ابن عامر لما فتح أصطخر قتل فيها مائة ألف (فتوح البلدان للبلاذري، ص ٤٢٣) ومحمد بن القاسم قتل ٢٦ ألف هندي في يوم واحد (نفس المصدر ص ٤٨٧).
أما البلاد التي استسلم أهلها دون قتال، فرضوا عليهم الجزية والخراج وأخذوا منهم الجواري، ولم يشترطوا عليهم دخول الإسلام. ولكن الجزية والخراج أرهقاهم. وعندما ولى الخليفة هشام أشرى بن عبد الله السلمي على خراسان ونادى بسقوط الجزية عن من يسلم، سارعوا للإسلام وانكسر الخراج (البلاذري ص ٤٧٥). وقد أغضب هذا الخليفة هشام لأن الخراج والجزية كانتا المصدر الرئيسي لأموال الخلفاء العباسيين الذين أصبحت ثرواتهم تفوق الوصف، وحتى ثروات قضاتهم ونسائهم. ويقال إن الخليفة المعتصم غضب على وزيره الفضل بن مروان فأخذ منه عشرة آلاف ألف دينار ونفاه (شذرات الذهب للدمشقي). والجزية كانت أهم من نشر الإسلام فقد خطب عمر بن الخطاب فقال: " ومن نعم الله عليكم نعمٌ عم بها بني آدم، ومنها نعمٌ اختص بها أهل دينكم، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلي امرئ خاصة إلا لو قُسّم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها، وفدحهم حقها، إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله، فأنتم مستخلفون في الأرض، قاهرون لأهلها، نصر الله دينكم، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان: أمة مستعبدة للإسلام وأهله، يجزون لكم، يُستصفون معايشهم وكدائحهم ورشح جباهم، عليهم المؤونة ولكم المنفعة، وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة، قد ملأ الله قلوبهم رعبا، فليس لهم معقل يلجؤون إليه، ولا مهرب يتقون به(الطبري، ج٢، ص٥٧٤). فالخليفة عمر يقول للمسلمين إن شعوب العالم الباقية إما تظل تكدح وتعرق لتدفع لكم الجزية، وأما تفتحوها عنوة وتقتلونهم ولذلك هم في خوف مستمر. ولم يقل الخليفة عمر للمسلمين هلموا وانشروا الإسلام في بقية دول العالم. ولأهمية الجزية عند المسلمين، صرف الحجاج بن يوسف على غزوة ابن عمه محمد بن القاسم للهند ستين ألف ألف ووجد ما حُمل إليه عشرين ومائة ألف ألف. فقال: شفينا غيظنا وأدركنا ثأرنا وازددنا ستين ألف ألف درهم.(فتوح البلدان). فلا الحجاج ولا محمد بن القاسم حاول إدخال الهنود في الإسلام لأن ذلك يفقدهم الجزية والخراج.
فلو كانت الغزوات في سبيل الله لماذا قتل المسلمون أسراهم ولم يحاولوا إدخالهم في الدين الجديد. ولماذا سبوا النساء وجعلوهن من " ما ملكت أيمانكم " بدل أن يعلموهن الإسلام ويطلقون سراحهن؟ وحتى الخليفة أبو بكر عندما شن حروب الردة لإرجاع العرب المرتدين للإسلام، أسر الرجال وسبى النساء وجعلهن ملك يمين إلى أن جاء الخليفة عمر فأطلق سراح الرجال ورد النساء إلى أزواجهن وقبائلهن. ولم نقرأ في أي كتاب تاريخ إسلامي أن المسلمين فتحوا بلداً وقرروا تدريس أهله الإسلام عن طريق التبشير. فهم دائماً كان شرطهم الجزية أو السيف.
ويتضح هذا من البلاد التي فتحها المسلمون عنوة مثل الأندلس التي اهتم خلفاؤها بتشييد القصور والحمامات ثم الحروب بينهم أكثر من اهتمامهم بنشر الإسلام. وبعد أن بقوا في الأندلس ثمانمائة سنة، رجع أهلها إلى مسيحيتهم عندما انهزم المسلمون. وبلاد شرق أوربا التي فتحها الأتراك وظلوا بها أربعمائة عام، ولم يفلحوا في زراعة الإسلام بها، ما عدا البوسنا وألبانيا. وينطبق نفس الشئ على جزر البحر الأبيض مثل قبرص وصقلية ورودس، كلها رجعت لمسيحيتها بمجرد أن انهزم المسلمون.
وحتى في أيامنا هذه نرى أن المجاهدين عندما يختطفون شخصاً مسيحياً في العراق، لا يطلبون منه اعتناق الإسلام بل يطلبون مبالغاً خيالية من المال يعجز عنها الأفراد. فيبدو واضحاً من هذا السرد أن الغزوات والجهاد لم تكن في سبيل الله ولنشر الدين الجديد إنما كانت للمال والجواري، وانتشر الإسلام بطرق غير مباشرة لتفادي دفع الجزية والخراج.

(عن مقالة للدكتور سيد القمنى)

الجهاد لنهب البلاد الموطوءة

جاء في كتاب شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة ـ الجزء الثاني. للشيخ خليل عبد الكريم:

مغانم البلاد الموطوءة:

١- قال أبو يوسف: حدثني بعض أشياخنا قال: سمعت ميمون بن مهران يحدث أن عمر بن الخطاب (رضي) كان يجني من العراق كل سنة: مائة ألف ألف (١). أي جباية العراق وحده: مائة مليون درهم.

٢- حدثنا عبد الله بن المبارك عن عبد الله بن الوليد عن عبد الله بن معقل حدثني عبد الملك بن أبي حرة عن أبيه قال: أصفى عمر بن الخطاب (رضي) هذا السواد عشرة أصناف: أصفى من قتل في الحرب ومن هرب .. وكل أرض لكسرى وكل أرض كانت لأحد من أهله .. وكان خراج ما أصفى سبعة الآف ألف (٢).

غلة أرض الصوافي في العراق سبعة ملايين وفي رواية أخرى أربعة ملايين في العام الواحد.

عمرو بن العاص كان يجبي من مصر أربعة عشر مليون دينار ـ ضريبة الرؤوس بخلاف خراج الأرض ـ ويخبرنا الأخباريون أن هذا القدر استصغره الخليفة الثالث عثمان فعزل ابن العاص واستصفى من خلفه على ولايتها مبلغا أكبر بداهة بطرق لا تخفى، فواجه عثمان عَمْرا بذلك فرد أن ذلك كان على حساب الرعية والأرض.

٣- عن يزيد بن حبيب قال: جنى عمرو خراج مصر وجزيتها ألفا ألف وجباها عبد الله بن سعد بن أبي سرح أربعة آلاف ألف فقال عثمان لعمرو: إن اللقاح بمصر بعدك قد درت ألبانها قال: ذلك أنكم أعجفتم أولادها (٣). وواضح أن الرقمين اللذين أوردهما البلاذري في الفتوح شديد التواضع بالنسبة للرقم الأول.

ولا ندري كيف يضاعف عبد الله بن سعد بن أبي السرح قيمة الخراج والجزية إلا إذا كان قد استعمل أساليب شديدة القساوة ولعل في تعليق عمرو (أعجفتم أولادها) خير دليل على ذلك وكان يتوجب على الخليفة (عثمان) أن يسأله كيف فعل ذلك ولكن فيما يبدو أن كل ما كان يهمه الرقم!

٤- عن موسى بن يزيد قال: حمل أبو موسى الأشعري الى عمر بن الخطاب (رضي) ألف ألف، فقال عمر بكم قدمت؟ قال: بألف ألف قال فأعظم ذلك عمر وقال: هل تدري ما تقول؟ قال: نعم، قدمت بمائة ألف ومائة ألف حتى عشر مرات فقال عمر: إن كنت صادقا ليأتين الراعي نصيبه باليمن ودمه في وجهه (٤).

هنا نجد عمرا لا يصدق أن إحدى الولايات التي وطئوها برماحهم وسنابك الخيول تغل مليون درهم في السنة وعقدت الدهشة لسانه واعتقد أن أبا موسى لا يدري ما يقول! وهي عبارة عميقة الدلالة وحتى بعد أن أكد له أبو موسى الخبر، وعد المليون على أصابعه (مائة ألف عشر مرات) ولم يصدقه (إن كنت صادقا..) عجز الخبر يوضح خطة ابن الخطاب في منح أبناء الجزيرة العربية الأعطيات دون أن يسألوها بل تصلهم في مستقر دورهم. وما هي إلا ناتج عرق (العلوج) في تلك الولايات.

٥- وخبر آخر يقطع بصحة ما قلناه: دهشة الصحاب وتحيرهم من كثرة الأموال التي صُبت عليهم صبا بصورة ما كانت تخطر على بالهم، عن أبي هريرة قال: قدمتُ من البحرين بخمسمائة ألف درهم فأتيت عمر بن الخطاب ممسيا فقلت: يا أمير المؤمنين إقبض هذا المال قال: كم هو؟ قلت: خمسمائة ألف درهم قال: تدري كم خمسمائة ألف؟ قلت: نعم مائة ألف ومائة ألف خمس مرات، قال: أنت ناعس إذهب الليلة فبت حتى تصبح فلما أصبحت أتيته فقلت: إقبض هذا المال قال: وكم هو؟ قلت: خمسمائة ألف درهم قال: أمن طيب هو؟ قلت: لا أعلم إلا ذلك. فقال عمر (رضي) أيها الناس إنه قد جاء مال كثير فإن شئتم أن نكيل لكم كيلنا وإن شئتم نعد لكم عددنا (٥).

هذا الخبر على قصره النسبي مشحون بالدلالات:

ا- إن الخليفة لم يصدق أن يأتي له أحد عماله بخمسمائة ألف درهم من إحدى الولايات الموطوءة وهذا يشي بالحالة المالية المتواضعة التي كانوا عليها حتى إن رأس الدولة يستكثر مثل هذا المبلغ.

ب- أنه يجابه العامل (الوالي) بأنه لا يدري ما يقول وأنه ناعس أي يحلم وما يقوله مجرد حلم ويطلب منه أن يستكمل منامه.

ج- أنه يدلنا على الأفق المعرفي إذ يتهم الخليفة جابيه بأنه لا يدري كم هو العدد خمسمائة ألف.

.د- أن عمرا بعد أن استوثق من صحة العدد صاح في الناس (أيها الناس قد جاءنا ما كثير) يبشرهم أن فتوحاتهم درت درورا وفيرا.

ه- أنه من كثرة الأموال التي إنهالت عليهم من كل حدب وصوب كانوا يوزعونها بطريق الكيل (فإن شئتم أن نكيل لكم كيلا).

ز- إن ابن الخطاب يسأل إن كان هذا المال طيبا؟ فهو يعرف أنه منتوج كدح وكد العلوج حصيلة عملهم من طلوع الشمس الى مغيبها.

ح- إن أبا هريرة الذي أحضر هذا المال كان في أول أمره يلازم محمدا على شبع بطنه أصبح أميرا على البحرين زمن عمر ثم بلغه عنه أنه اشترى أفراسا بألف وستمائة دينار فاستدعاه وسأله عن ذلك وأغلظ له الكلام وقال له: استعملتك على البحرين وأنت بلا نعلين فرد أبو هريرة: كانت لنا أفراس تنتج وعطايا تلاحقت، والذي لا شك فيه أن مثله لا يجهل أن عطايا (هدايا) الأمراء غلول (روى إبراهيم الحربي في كتاب الهدايا عن ابن عباس (رضي) أن النبي (ص) قال: هدايا الأمراء غلول) (٦).

ولم يقتنع عمر برد أبي هريرة ولم يوافقه على أنه من حقه شرعا أن يمد يده لـ(عطايا تلاحقت) لأنه يعلم أن تلك العطايا لا تنفح للأمير (الوالي/العامل) من أجل سواد عينيه إنما رهبة أو رغبة من منصبه، لهذا شاطره (قاسمه أي أخذ نصف) ماله ومما يلفت النظر أن أبا هريرة لم يكن الأوحد الذي فعل معه ذلك بل طبق الجزاء نفسه الصارم على عدد من أعلام الصحابة منهم: أبو موسى الأشعري حين عزله عن البصرة وسعد بن أبي وقاص حين عزله عن العراق.

لما فتح سعد بن أبي وقاص مدينة طيسفون، المسماة عند العرب بالمدائن، وكان ذلك في خلافة عمر بن الخطاب سنة ٢١ هجرية، أرسلت الغنائم التي اغتنمها جيش المسلمين الى المدينة، وكان فيها مال كثير من مال كسرى، ومن جملة ذلك سوارا كسرى، وتاجه، ومنطقته، وبساطه الكبير، وكان ستين ذراعا في ستين ذراعا منظوما باللؤلؤ والجواهر الملونة على ألوان أزهار الربيع، كان يبسط لكسرى في إيوانه ويشرب عليه إذا عدمت الزهور. وأرسلت مع الغنائم السبايا أيضا وهن بنات كسرى، وكن ثلاثا وعليهن من الحلى والحلل والجواهر ما يقصر اللسان عن وصفه. وأمر عمر بن الخطاب بالمال الذي جيئ به من أموال كسرى فصب في صحن المسجد، وأخذ يفرقه على المسلمين. وعند ذلك دعا سراقة وقال له ارفع يديك وألبسه السوارين، وقال له: قل: الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، الذي كان يقول أنا رب الناس، وألبسهما سراقة بن مالك، ورفع عمر بهذا الكلام صوته. ثم قطع البساط وفرقه بين المسلمين، فأصاب عليا منه قطعة باعها بخمسين ألف دينار. ثم جيئ ببنات الملك الثلاث، فوقفن بين يديه، وأمر المنادي أن ينادي عليهن، وأن يزيل نقابهن عن وجههن ليزيد المسلمون في ثمنهن، فإمتنعن من كشف نقابهن ووكزن المنادي في صدره، فغضب عمر وأراد أن يعلوهن بالدرة (السوط) وهن يبكين، فقال له علي: مهلا يا أمير المؤمنين، فإني سمعت رسول الله يقول: ارحموا عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر. فسكن غضبه، فقال له علي: إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوقة، فقال له عمر: كيف الطريق الى العمل معهن؟ فقال: يقومن، ومهما بلغ ثمنهن يقوم به من يختارهن، فقومن، وأخذهن علي، فدفع واحدة لعبد الله بن عمر، فجاءت منه بولده سالم، ودفع الثانية لمحمد بن أبي بكر فجاءت منه بولده القاسم، ودفع الثالثة لولده الحسين فجاءت منه بولده علي الملقب بزين العابدين.

ثم إن عمر بن الخطاب قد أساء الى بنات كسرى، وقد أغلظ لهن في القول والفعل، كما أنه أساء الى العربية بتقسيمه تلك الغنائم وتفريقها بين المسلمين بعد تمزيقها شر ممزق، إذ كان يجب عليه أن يحتفظ بتاج كسرى ومنطقته وبساطه لتكون عند العرب مفخرة لهم من مفاخرهم التاريخية، ولكن عمر لم يكن فيما فعله من بيع البنات وتقسيم الغنائم إلا تلميذا لمحمد، فإن محمدا هو الذي أباح سبي النساء في حروبه وجعلهن ملكا تحت رق من سباهن، إن شاء وطأهن وإن شاء باعهن، وهو الذي أحل الغنائم لأتباعه، وأوجب تقسيمها عليهم، يعد أخذ خمسها لله ولرسوله، فلا لوم على عمر فيما فعله.

الهـوامـش

---

(١) كتاب الخراج لقاضي القضاة أبي يوسف ص ١٢٤.

(٢) الإستخراج لأحكام الخراج لإبن رجب الحنبلي ـ دار الحداثة ـ بيروت ص ١٠٧.

(٣) فتوح البلدان ٢٥٣/١.

(٤) كتاب الخراج ص ٥٠.

(٥) المصدر السابق ص ٤٩، فتوح البلدان ١:٥٥.

(٥) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ـ ابن تيمية.

الجهاد الهجومى !

أمثلة من الفتوحات الإسلامية كما وردت في كتاب
" الفن العسكري الإسلامي:

الكتاب من تأليف العميد الركن ياسين سويد (شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٩٠).

١ ـ حروب الردة

بعد موت النبي مباشرة ارتدت عن الإسلام قبائل عديدة في مختلف أنحاء الجزيرة كطي وأسد وغطفان وسليم وهوزان وبني عامر وبني ثعلبة بن بربوع وبني حنيفة وغيرها. وكانت حركة الإرتداد هذه من الخطورة بحيث أنها هددت الى حد كبير وبجدية متناهية مصير الإسلام والمسلمين وكان تحرك الخليفة أبي بكر تجاه هذه الحركة في مستوى الحدث الخطير فجيش كل قوات المسلمين وعلى رأسها قادة من أمثال خالد وعكرمة بن جهل والمهاجر بن أمية وشرحبيل بن حسنة وخالد بن سعيد وحذيفة بن محسن وعرمجة بن هرثمة وسويد بن مقرن والعلاء بن الحضرمي ومعن بن حاجز وعمرو بن العاص.

٢ ـ غزو العراق

بعد آن فرغ أبو بكر من قتال المرتدين في الجزيرة العربية عام ١٢ هجرية (٦٣٣م) قرر أن يسير جيوشا لفتح العراق فجيش لفتح العراق جيشين: جيش بقيادة خالد بن الوليد غزي العراق عن طريق " الإبلة" وهي في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرى.

والجيش الثاني بقيادة عياض بن غنم الذي غزي العراق من ناحية الشمال الشرقي وهي ناحية المصيخ على حدود الشام.

٣ ـ غزو الشام

في أواخر عام ١٢ هجرية وتنفيذا لرغبة سابقة أبداها نبي الإسلام عندما بدأ بتجهيز حملة بقيادة أسامة بن زيد لإنفاذها الى الشام (إلا أنه توفي قبل ذلك) حشد أبو بكر الصديق جيشا بلغ عديدة نحو عشرين آلف مقاتل نظمه في خمس فرق تم توزيعها وتسييرها الى الشام على الشكل التالي:

الفرقة الأولى:

القائد	يزيد بن أبي سفيان
الهدف	دمشق
العديد	٣ ـ ٤ الآف مقاتل
المهمة	احتلال دمشق ومساندة الفرق الأخرى

الفرقة الثانية:

القائد	شرحبيل بن حسنة
الهدف	بصري عاصمة حوران
العديد	٣ ـ ٤ الآف مقاتل

المهمة احتلال بصري ومساندة الفرق الأخرى

الفرقة الثالثة:

القائد أبو عبيدة الجراح
الهدف حمص
العديد ٣ ـ ٤ الآف مقاتل
المهمة احتلال حمص ومساندة الفرق الأخرى

الفرقة الرابعة:

القائد عمرو بن العاص
الهدف فلسطين
العديد ٦ ـ ٧ الآف مقاتل
المهمة احتلال فلسطين

الفرقة الخامسة

القائد عكرمة بن أبي جهل
العديد ٦ الآف مقاتل
المهمة احتياط في المدينةالمهمة

٤ ـ فتح مصر والعبور الى شمال أفريقيا

ما أن فرغ عمرو بن العاص من فتح قيصارية في فلسطين عام ١٩ هجرية (٦٤٠م) حتى انطلق بمن معه وكانوا نحو أربعة الآف مقاتل مجتازا حدود فلسطين غربا باتجاه مصر لفتحها. وكان عليها حاكم روماني اسمه المقوقس فنزل أول ما نزل بالعريش في سيناء من ارض مصر ثم تابع سيره الى الفرماء وكانت مدينة محصنة ومنيعة تسيطر على الطريق الرئيسي الممتد من العريش الى مصر فحاصرها شهرا وقاتل حاميتها فأنتصر عليها وفتح المدينة ثم تابع تقدمه باتجاه الجنوب العربي سالكا طريقا هي الحد الفاصل بين الصحراء والري حتى وصل الى بلبيس فقاتل حاميتها وكانت بقيادة أرطبون فأنتصر عليه وامتلك المدينة ثم استمر في تقدمه جنوبا بغرب حتى أطل على مدينة " هليوبوليس" التي تعرف اليوم بعين شمس وكان عمرو قد طلب من الخليفة إمداد فأمده بعشرة آلاف رجل بقيادة الزبير بن العوام. بعد سقوط حصن بابليون في يد عمرو بن العاص سقط حصن كريون أيضا. بعدها اتجه عمرو الى الإسكندرية عاصمة مصر في هذا الوقت فوجد أهلها معدين لقتاله فقاتلهم المسلمون قتالا شديدا وحاصروهم ثلاثة أشهر انتهت بأن فتحها عمرو بالسيف سنة ٢٠ هجرية.

٥ ـ فتح ليبيا

بعد فتح الإسكندرية بفترة وجيزة غزا جيش المسلمين ليبيا بقيادة عقبة بن نافع الذي وقف على شاطئ البحر الأبيض على فرسه شاهرا سيفه وقائلا " والله لو علمت أن وراء هذا البحر يابسة لخضته بغرس هذا".

٦ ـ غزو البحر

ركب المسلمون البحر غازيين في عهد الخليفة عثمان بن عفان فغزوا قبرص وفتحوها عام ٢٨ هجرية (٦٤٨م) ثم غزوا رودس وصقلية ثم خاضوا ضد الروم عام ٣٤ هجرية (٦٥٥م) أهم معركة بحرية في تاريخ الفتوح الإسلامية وهي معركة " ذات الصواري" (وكانت الحملة بقيادة عبد الله بن أبي سرح والي مصر).

٧ ـ غزو الأندلس

غزت جيوش المسلمين بقيادة طارق بن زياد الليثي الأندلس سنة ٩٢ هجرية (٧١١م) بعد أن عبرت بحر الزقاق (مضيق جبل طارق حاليا) بين المغرب وأسبانيا ليلا في واقعة شهيرة في التاريخ الإسلامي تم فيها حرق السفن التي نقلت الجيوش حتى لا يكون هناك مفر من القتال الذي ألهب ناره القائد الهمام بخطبته الشهيرة التي بدأها بالقول:" البحر ورائكم والعدو أمامكم". (تعليق من جانبنا: لاحظ أنه لا يقول: البحر ورائكم والناس اللذين سوف ندعوهم بالحكمة والموعظة الحسنة أمامكم**!**).

يختتم المؤلف كتابه بخلاصة يحاول فيها تجميل الصورة وإضافة صبغة من التقديس والتبجيل عليها ورغم هذا فأنها تبقي اعترافا صريحا واضحا لا تخطئه العين بأن السيف كان له القول الفيصل في انتشار الإسلام في سنوات التأسيس الأولى وما بعدها:

جاء في صفحات ٣٦٣ ـ ٣٦٦ ما يلي:

١ ـ لم يكن النبي محمد نبيا مرسلا للعرب فقط، وإنما كان صاحب رسالة إنسانية كونية حملها لينشرها على الناس أجمعين، لذا، كان لا بد أن ينطلق، هو وخلفاؤه من بعده، حاملين رسالة الإسلام الى العالم وخارج حدود الجزيرة العربية، وذلك أمر يتطلب ولا شك، اقتحاما وإيجابية ومبادأة وتوسعا لفرض السيادة، وهذه كلها مواقف هجومية بطبيعتها.

٢ ـ لم يكن للعقيدة الإسلامية أن تحقق ما حققته من توسع وفتوح في جميع أقطار الدنيا لو لم تكن تتميز بعقيدة عسكرية هجومية، فالجهاد في الإسلام لم يكن لرد الإعتداء بقدر ما كان لنشر مبادئ الدين الحنيف، لذا لم يعتبر المسلمون جهادهم في سبيل نشر الإسلام اعتداء وإنما هو قتال في سبيل إعلاء كلمة الله بإعتبار أن الدين عند الله الإسلام، كما أنه، أي القتال، دفاع عن عقيدة الإسلام في وجه المشركين.

٣ ـ لم يكن للدعوة الإسلامية أن تنتشر إلا بالجهاد الذي هو في صلب الحياة الإسلامية ومن أهم الشعائر اللازمة لممارسة عقيدة الإسلام قولا وعملا، ورغم أنه " لا إكراه في الدين " يظل الجهاد في الإسلام أحد أهم وسائل نشر الدعوة الإسلامية التي حددت لغير المسلمين من أهل الكتاب ثلاث منافذ للخلاص لا رابع لها وهي: الإسلام أو الجزية أو المنابذة، أي القتال، ولم تحدد للكافرين والمشركين أكثر من منقذين هما الإسلام أو القتال. وإذا كان الإسلام قد فرض الجزية على أهل الكتاب، في دولته، وحيث يبسط سيادته، فذلك لأمر يتعلق بالنظام العام للدولة، حيث يكون أهل الكتاب رعايا، ولا تكون الجزية أكثر من " بدل " عن الحماية أو الخدمة العسكرية. وإذا كانت العقيدة الإسلامية قد فرضت على الكفار والمشركين، فذلك لأمر يتعلق أيضا بالنظام العام للدولة الإسلامية، حيث يجب أن تسود دعوى الإسلام، مظهرا من مظاهر الإقرار بسلطة الدولة الإسلامية

وسيادتها، ويكون الإسلام، بالنسبة الى من دخل فيه من الكفار والمشركين، مظهرا من مظاهر الإيمان بعقيدة الإسلام.

٤ ـ لا ينتقص من سمو الدين الإسلامي وأخلاقياته أن تكون العقيدة العسكرية المنبثقة عنه هجومية في الأساس، فما أرسل الله نبيه إلا رسولا للعالمين، وما كانت الدعوة الإسلامية لتتقوقع داخل حدود الجزيرة العربية، طالما أنها أتت لتكون دعوة إنسانية وشمولية، ولكن المسلمين حافظوا، في جميع مراحل فتوحهم، على أخلاقية في السلوك العسكري في ممارسة الحرب ندر أن عرفها سواهم من الفاتحين.

٥ ـ لم يكن المسلمون ليتحملون هزيمة واحدة داخل حدود الجزيرة العربية إذا ما حُوصروا من أعدائهم الرابضين على حدودهم (الروم والفرس)، لذا كان عليهم أن ينقلوا الحرب الى ديار الإعداء، وبالفعل، لم يخض للحرب من مبرر، أما إذا لم تؤد هذه العلاقات الى غايتها المرجوة أصبح القتال أمرا لازما، بل واجبا دينيا على المسلمين. وإذا كان المسلمون قد لجئوا الى أسلوب الهجوم في القتال، في سعيهم لحماية الدعوة الإسلامية والذود عنها ونشرها، فذلك لأنهم كانوا ملزمين بالدفاع عنها ضد مختلف صفوف الأعداء الذين واجهوها، منذ بدئها، سواء في الجزيرة العربية أو خارجها، كما كانوا ملزمين بتنفيذ أوامر الله عز وجل في أن يؤدوا المهمة التي انتدبهم الله لها وهي: الجهاد في سبيله ونشر دينه في أصقاع الأرض قاطبة وفي الأمم كافة، ولم يكن ذلك ممكنا إلا بالوسائل الهجومية، سلما كانت هذه الوسائل أو حربا. من كل ما تقدم، نرى أن العقيدة العسكرية الإسلامية هي عقيدة ذات طابع هجومي، وقد جمع الإسلام، في القرآن والحديث والسنة، بين النظرية والتطبيق، في تحديد هذه العقيدة العسكرية وفي ممارستها، ولم يتوان الخلفاء، بعد النبي والقادة العسكريون في مختلف معارك الفتوح، عن الإستمرار في تطبيق هذه العقيدة القتالية، حتى تمكنوا، بفضلها، من تحقيق أعظم الإنتصارات في تاريخ الأمم. (انتهى).

يتضح مما سبق بما لا يدع مجالا للشك بأن الإسلام انتشر عن طريق السيف وليس عن طريق الجدال بالموعظة الحسنة وعدم الإكراه في الدين كما يتشدق مروجوه .. أكثر من هذا إن كل الآيات الداعية الى التسامح وخلافه قد نزلت أثناء الحقبة المكية وهي التي كان المسلمون فيها مستضعفين لا حول لهم ولا قوة. أما بعد الهجرة الى المدينة واللجوء الى السيف اشتد بأس المسلمين ونزلت الآيات الناسخة وأشهرها آية السيف في سورة التوبة التي نسخت كل الآيات الداعية للتسامح من أمثال لا إكراه في الدين وغيرها.

أكذوبة ترحيب أقباط مصر بالغزو العربى الاسلامى

يدعي بعض الدجالين أن أقباط مصر رحبوا بالفتح العربي لسببين وهما:

١ ـ لتخليصهم من ظلم الرومان.
٢ ـ ما سمعوه ولمسوه في العرب من العدل والرحمة والسماحة وحسن المعاملة.

سنثبت وهمية هذين الإدعائين مستندين الى عدة مصادر عربية إسلامية وقبطية وأجنبية:

المصادر العربية الإسلامية في هذا الموضوع عديدة من أهمها: كتابات المقريزي الملقب بشيخ مؤرخي مصر الإسلامية وعميد المؤرخين السالفين جميعا، من ابن الحكم الى الجبرتي، كما يصفه الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة وآخرون في مجموعة أبحاث ودراسات عن المقريزي أصدرتها وزارة الثقافة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٧٣. وكذلك مجموعة كتب آخرى هامة مثل كتاب تاريخ أديرة وادي النطرون للأمير عمر طوسون ـ طبع في القاهرة سنة ١٩٣٥. وكتب الأستاذة الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف ـ استاذة التاريخ بكلية البنات ـ جامعة عين شمس ـ وكتب الدكتور ضياء الدين الريس ، وغيرهم. والمصادر القبطية لهذا الموضوع أهمها على الإطلاق، هو كتاب تاريخ يوحنا النقيوسي أسقف نقيوس ـ أبشاتي ـ بالمنوفية الآن، والذي عاصر مأسات الفتح العربي لمصر في القرن السابع الميلادي، وسجل مشاهداته لأحداثها الدامية. وقد كتب كتابه بلغته القبطية ثم ترجم فيما بعد الى اللغة الحبشية والعربية، ولكن فقدت النسخ القبطية والعربية وعثرت البعثة البريطانية الى بلاد الحبشة على النسخة الحبشية، وتوجد الآن في المتحف البريطاني بلندن، ونسخة في المكتبة الأهلية بباريس، وقام المستشرق زوتنبرج بالترجمة من الحبشية الى الفرنسية، ثم قام المؤرخ كامل صالح نخلة بالترجمة من الفرنسية الى العربية سنة ١٩٤٨. ويقول الدكتور ألفرد بتلر:" أنه لم يكن في الإمكان أن يكتب تاريخ الفتح العربي لمصر لولا العثور على هذه النسخة" ـ بتلر صفحة ٣٠. كذلك كتاب تاريخ البطاركة للأنبا ساويرس أسقف الأشمونيين، وكتاب الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة للأسقف ايسوذورس، وكتاب البابا بنيامين الأول والفتح العربي لمصر، للمؤرخ كامل صالح نخلة وغيرهم.

والمصادر الأجنبية التي تناولت هذا الموضوع أهمها كتاب فتح العرب لمصر تأليف الدكتور ألفريد بتلر، وتعريب محمد فريد أبو حديد بك، والناشر مكتبة مدبولي ـ القاهرة ١٩٩٠ ضمن سلسلة كتب صفحة من تاريخ مصر. وقد وصف المعرب في مقدمة الكتاب بأن المؤلف ألفريد بتلر رجل باحث لم يقصد من تأليفه كتابه إلا بيان الحقيقة ناصعة وأنه كان نزيها في بحثه، وأن المؤلف فضل التعرض لبعض مفتريات التاريخ كانت شائعة بين الناس يأخذونها تلقفا بغير تمحيص ـ وأنه تناول في بحثه مسألة طالما رددها المؤرخون وهي اتهام المصريين القبط بأنهم كانوا دائما يرحبون بالغزاة الأجانب وأظهر كذب ما ادعاه المغرضون من المؤرخين ـ صفحة ٢٠. ويقول المؤلف نفسه في مقدمته:" قد حاولنا كذلك أن نكتب بغير تحيز الى جانب القبط أو العرب، كنا ممن يحملون لكلا الشعبين العربي والقبطي أكبر الإعجاب، على أننا لا يحملنا ذلك على الإنحياز لأحدهم فما كان لنا إلا قصد واحد وهو أن نصل الى الحق". ص ٤٢ ،٤٣.

الإدعـاء الأول:

رحب الأقباط بالعرب لتخليصهم من ظلم الرومان. لقد كان الفاتحون العرب واضحين كل الوضوح، في هدفهم المعلن الصريح من مجيئهم الى مصر فاتحين، ولم يذكر أحدا منهم موضوع أو قصة الإنقاذ هذه، لم يذكر هذا الإدعاء إلا بعض الكتاب المحدثين، وكما تقول الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف، في كتابها (عبد العزيز بن مروان)، سلسلة كتب أعلام العرب، تقول في صفحة ١٣٢:" أننا لا نجد في المراجع القديمة ما يشير ‘ليه بعض المحدثين من أن الأقباط استنجدوا بعمر بن الخطاب لينقذهم من ظلم الروم". لم يكن هدفهم إنقاذ أحد أو مساعدة أحد. الذي يدعي هذا الإدعاء بلا شك لا يعلم أن الجانب الإيماني والعقائدي لدى الأقباط كمسيحيين يرفض تماما فكرة أو مبدأ اللجوء الى إنسان ليخلصهم من إنسان آخر، ففي صلوات الأجبية التي يصليها الأقباط كل يوم، يقول مزمور ١٤٥ من مزامير صلاة الساعة الثانية عشر: " لا تتكلوا على الرؤساء ولا على بني البشر الذين ليس عندهم خلاص تخرج روحهم فيعودون الى ترابهم في ذلك اليوم تهلك كافة أفكارهم طوبى لمن إله يعقوب معينه واتكاله على الرب إلهه الذي صنع السماء والأرض ..". وفي سفر أرميا ١٧:٥" هكذا قال الرب ملعون الرجل الذ يتكل على الإنسان ويجعل البشر ذراعه وعن الرب يحيد قلبه". وفي المزمور ١١٨:٨،٩ " الإحتماء بالرب خير من التوكل على إنسان، الإحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء". وفي المزمور ١٠٣: ١٥ـ ١٨ " الإنسان مثل العشب أيامه كزهر الحقل كذلك يزهر. لأن ريحا تعبر عليه فلا يكون ولا يعرفه موضعه بعد. أما رحمة الرب فإلى الدهر والأبد على خائفيه وعدله على بني البنين، لحافظي عهده وذاكري وصاياه ليعملوها". وهكذا عشرات الآيات المقدسة التي توجه وتعلم وتحذر من الإتكال أو اللجوء الى إنسان لينقذنا أو يخلصنا من إنسان آخر، فالإتكال على إنسان مهما كان وضعه أو مكانته أمر مرفوض تماما من جهة العقيدة لدى الأقباط بغض النظر عن الأوضاع مهما كانت سيئة أو قاسية. وإذا كان الأقباط قد رحبوا بالعرب ليخلصوهم من ظلم الرومان، فلماذا لم يرحبوا بالمستعمرين الأخرين الذين جاؤا بعد العرب ليخلصوهم من ظلم العرب؟. الحقيقة أن الأقباط حرصوا بكل دقة وعناية على تنفيذ مبادئ وتعاليم كتابهم المقدس التي ترفض وتحذر وتحرم الإلتجاء أو الإستعانة بإنسان مهما كانت مكانته ليخلصم من إنسان آخر مهما كان ظلمه أو جبروته. والتاريخ أصدق شاهد على ذلك، والمؤرخ بتلر وغيره يؤكدون أنه لم يرحب القبط بالفرس ليخلصوهم من الرومان، كما لم يرحبوا بالرومان ليخلصوهم من الفرس بعد ذلك، كما لم يرحبوا بالعرب ليخلصوهم من الرومان، كما لم يرحبوا بأي فاتح أو مستعمر بعد ذلك ليخلصهم من العرب. والسلوك العملي والمواقف الكثيرة المتكررة تؤكد هذا المفهوم الراسخ لدى الأقباط وتثبته بكل وضوح وجلاء. فمثلا يذكر كتاب الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة للأسقف ايسيذوروس ـ الجزء الثاني صفحة ١٢٦ ـ موقف البابا خائيل الأول البابا (٤٦) (٧٢٨ ـ ٧٥٢م) من كرياكوس ملك النوبة المسيحي أيام عبد الملك بن مروان (٧٤١م) عندما جاء كرياكوس لإنقاذ البابا من يد عبد الملك بن مروان الذي كان قد فرض أتاوة كبيرة من المال على البابا وسجنه لمدة ١٧ يوما ثم أطلقه ليجمع قيمة الإتاوة المفروضة عليه من أبنائه الأقباط، ولكن البابا لم يستطع أن يجمع أكثر من نصف الإتاوة فقط، فغضب عبد الملك بن مروان وألقاه مرة أخرى في السجن، ولما سمع بذلك ملك النوبة كرياكوس، جهز جيشا كبيرا سار به حتى وصل الى مشارف الفسطاط، ولكن عبد الملك بن مروان أسرع وأخرج البابا من السجن، وكان أول ما فعله البابا خائيل بعد خروجه من السجن أنه طلب من الملك كرياكوس العودة من حيث أتى رافضا تدخله لفرض حمايته على الأقباط. ومن الأحداث الشهيرة الأخرى التي تدل على هذا الفكر وهذه العقيدة الرافضة لطلب الحماية من إنسان، كعقيدة راسخة لدى الأقباط، ما حدث مع البابا بطرس الجاولي [البابا ١٠٩] (١٨٠٩ ـ ١٨٥٢م) أيام محمد علي باشا (١٨٠٩ ـ ١٨٤٨م) والي مصر، عندما جاءه

سفير دولة روسيا، والتي كانت تعد أكبر دولة مسيحية أرثوذكسية ويحكمها قيصر، جاء هذا السفير ليعرض على البابا بطرس موضوع حماية قيصر روسيا للأقباط، ولكن البابا بطرس رفض هذا العرض، ورد على السفير بهذه الجملة الذهبية (نحن في حمى من لا يموت). [أنظر سيرة البابا بطرس الجاولي، سنكسار ٧ طوبه]. وتقرر الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف، أستاذة التاريخ الإسلامي، كلية البنات جامعة عين شمس، في كتاب عبد العزيز بن مروان، سلسلة أعلام العرب رقم ٧٠ إصدار وزارة الثقافة، ص ١٣٢، حقيقة هامة إذ تقول:" على أننا لا نجد في المراجع القديمة ما يشير إليه بعض المحدثين من أن الأقباط استنجدوا بعمر بن الخطاب لينقذهم من ظلم الروم". كذلك فقد رفض الأقباط بشدة جميع أنواع وطرق فرض الحماية عليهم أو إنقاذهم من ناحية جميع المستعمرين والغزاه الذين جاؤا يتذرعون بمقولة حماية الأقباط، رغم ما كان يعانيه الأقباط من الظلم والإضطهاد والقسوة. والحقيقة أن أكذوبة الترحيب هذه، هي الأكذوبة الشهيرة التي يتذرع بها ويطلقها دائما كل مستعمر أو فاتح أو محتل، يكاد لا يشذ عنها أحدا منهم على مدى التاريخ وفي كل مكان، هي ستار شفاف يحاول الفاتح أو الغازي أو المحتل أن يغطي به دوافعه الحقيقية، متوهما أنه قد استطاع أن يخفي الحقيقة، وأن يضفي على وجوده صفة الشرعية بأن الأهالي هم الذين استنجدوا ورحبوا به، ولا مانع عنده من أن يلصق بالمواطنين تهمة الخيانة ليسقط عن نفسه جريمة الإغتصاب. حدث هذا ويحدث ليس فقط مع من فتحوا أو احتلوا أو استعمروا مصر، بل مع غالبية الشعوب التي نكبت بالفتح أو تعرضت للغزو أو الإستعمار، هي نفس الحجة والأكذوبة وهو هو نفس الأسلوب الملتوي والمخادع لتبرير الأحداث.

الإدعـاء الثانـي:

رحب الأقباط بالفتح العربي لما سمعوه ولمسوه في العرب من العدل والرحمة والسماحة وحسن المعاملة. ولنعود هنا الى التاريخ لنستعرض بعض الأحداث المؤلمة والأعمال الوحشية التي صاحبت الفتح العربي لمصر، والتي تنفي هذا الإدعاء تماما.

١ ـ تخريب القرى وسبي أهلها وقتلهم:

وقد كانت قرى من قرى مصر قاتلت، فسبوا منها قرية يقال لها بلهيب، وقرية يقال لها الخيس، وقرية يقال لها سلطيس ... فوقع سباياهم بالمدينة، فردهم عمر بن الخطاب الى قراهم، وصيرهم وجماعة القبط أهل ذمة. وعن يزيد بن أبي حبيب أن عمرا سبى أهل بلهيب وسلطيس وقرطيا وسخا، فتفرقوا وبلغ أولهم المدينة حين نقضوا ثم كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بردهم، فرد من وجد منهم. وفي رواية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب في أهل سلطيس خاصة:" من كان منهم في أيديكم فخيروه بين الإسلام، فأن أسلم فهو من المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، وان اختار دينه، فخلوا بينه وبين قريته". وفي رواية أن أهل سلطيس وقرطيا وبلهيب ظاهروا الروم على المسلمين في جمع كان لهم فلما ظهر عليهم المسلمون، استحلوهم وقالوا: هؤلاء لنا فيّ مع الإسكندرية، فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه عمر، أن تجعل الإسكندرية وهؤلاء الثلاث قري ذمة للمسلمين، وتضرب عليهم الخراج، ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم، ولا يجعلون فيئا ولا عبيدا ففعل ذلك ويقال إنما ردهم عمر رضى الله عنه لعهد كان تقدم لهم. كتاب الخطط للمقريزي الجزء الأول (٨) صفحة ٣٠٩ و ٣١٠. وكان عمرو حين توجه الى الإسكندرية، خرب القرية التي تعرف اليوم بخربة وردان. واختلف علينا السبب الذي خربت له، فحدثنا سعيد بن عفير أن عمرو لما توجه الى نقيوس لقتال الروم، عدل وردان لقضاء حاجته عند الصبح، فاختطفه أهل الخربة فعيبوه، ففقده عمر وسأل عنه وقفا أثره، فوجدوه في بعض دورهم فأمر بإخرابها وإخراجهم منها. وقيل كان أهل الخربة رهبانا كلهم، فغدروا بقوم من ساقة

عمرو، فقتلوهم بعد أن بلغ عمرو الكريون، فأقام عمرو ووجه إليهم وردان فقتلهم وخربها، فهي خراب الى اليوم. وقيل كان أهل الخربة أهل تويت وخبث، فأرسل عمرو الى أرضهم فأخذ له منها جراب فيه تراب من ترابها، فكلمهم فلم يجيبوه الى شئ، فأمر بإخراجهم، ثم أمر بالتراب ففرش تحت مصلاه، ثم قعد عليه، ثم دعاهم فكلمهم، فأجابوه الى ما أحب ثم أمر بالتراب فرفع، ثم دعاهم فلم يجيبوه الى شئ ... فعل ذلك مرارا. فلما رأى عمرو ذلك قال: هذه بلدة لا يصلح أن توطأ، فأمر بإخرابها.

(كتاب الخطط للمقريزي ـ الجزء الأول (٨) صفحة ٣١٣و ٣١٤).

ويذكر يوحنا النقيوسي في الفصل (١١٢) الثاني عشر بعد المائة استيلاء العرب على إقليم الفيوم وبويط فيقول:" إن العرب استولوا على إقليم الفيوم وبويط وأحدثوا فيهما مذبحة هائلة". وفي الفصل (١١٥) يذكر فتح أنصنا وبلاد الريف ونقيوس فيقول:" في زمن الصيف سار عمرو الى سخا وطوخ دمسيس أملا في إخضاع المصريين قبل الفيضان ولكنه فشل، وكذا صدته دمياط حيث أراد أن يحرق ثمار المزارع وأخيرا عاد الى جيوشه المقيمة في بابليون مصر وأعطاهم الغنيمة التي أخذها من الأهالي الذين هاجروا الى الإسكندرية بعد أن هدم منازلهم وبنى من الحديد والأخشاب التي جمعها من الهدم قنطرة توصل بين قلعة بابليون ومدينة البحرين ثم أمر بحرق المدينة، وقد تنبه السكان الى هذا الخطر، فخلصوا اموالهم وتركوا مدينتهم، وقام المسلمون بحرقها، ولكن السكان عادوا الى المدينة وأطفأوا الحريق، ووجه المسلمون حملتهم على مدن أخرى ونهبوا أموال سكانها وارتكبوا ضدهم أعمالا عنيفة.." ويذكر يوحنا النقيوسي في الفصل (١١٨) الإستيلاء على نقيوس (بعد هروب الجيش الروماني من المدينة) فيقول:" أتى المسلمون بعد ذلك الى نيقيوس واستولوا على المدينة ولم يجدوا فيها جنديا واحدا يقاومهم، فقتلوا كل من يصادفهم في الشوارع وفي الكنائس، ثم توجهوا بعد ذلك الى بلدان أخرى وأغاروا عليها وقتلوا كل من وجدوه فيها، وتقابلوا في مدينة صا باسكوتارس ورجاله الذين كانوا من عائلة القائد تيودور داخل سياج كرم فقتلوهم، وهنا فلنصمت لأنه يصعب علينا ذكر الفظائع التي ارتكبها الغزاة عندما احتلوا جزيرة نيقوس في يوم الأحد ٢٥ مايو سنة ٦٤٢ في السنة الخامسة من الدورة".

ويذكر الدكتور ألفريد بتلر في كتاب [فتح العرب لمصر] ص ٣٢٣:" ويرد مع هذه الأخبار ذكر غزوة للقرى التي على فرع النيل الشرقي، قيل أن العرب قد بلغوا فيها مدينة دمياط، ولعل تلك الغزوة كانت على يدي سربة عمرو في هذا الوقت نفسه. ولم يكن من أمرها غير إحراق المزارع، وقد أوشكت أن ينضج ثمرها، فلم تفتح شيئا من المدائن في مصر السفلى. ولنذكر أن العرب قضوا في عملهم في هذا الإقليم اثني عشر شهرا الى ذلك الوقت. وبعد ذلك الغزاة التي أوقع فيها عمرو بالبلاد وغنم منها عاد الى حصن بابليون ومن معه دون أن يجني كبير فائدة، وأن لنا لدلالة في غزاته تلك في مصر السفلى، وما لاقاه فيها من القتال في مواضع كثيرة، وعجزه في جل ما حاوله من الفتح في بلاد الشمال القصوى. فإن ذلك يزيدنا برهانا على ما تحت أيدينا من البراهين على فساد رأيين يذهب إليهما الناس:

أولهما أن مصر أذعنت للعرب بغير أن تقاتل أو أن تدافع.

وثانيهما أن المصريين رحبوا بالفاتحين ورأوا فيهم الخلاص والنجاة مما هم فيه". أليس ادعاء غريب أن التخريب يقابل بالترحيب والقتل والسبي والتدمير يقابل بالسرور والتقدير.

٢ ـ نهب الكنوز والأموال ومصادرة الأملاك وفرض الإتاوات:

كان العرب ينظرون الى مصر من الناحية المالية على أنها بقرة حلوب وقعت تحت أيديهم، ويختلفون فيما بينهم حول من الذي يمسك بقرون هذه البقرة ومن الذي يحلبها ويأخذ لبنها، وأن خراجها فيئا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم. فلما هزم الله الروم أراد عثمان رضي الله عنه أن يكون عمرو ابن العاص على الحرب وعبد الله بن سعد على الخراج، فقال عمرو: أنا إذا كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها .. فأبى عمر. المقريزي الجزء الأول (٨) صفحة (٣٠٩ و ٣١٤).
وكانوا أيضا ينظرون الى مصر وأهلها على أنهم خزانة لهم. فقد قال هشام بن أبي رقية اللخمي: قدم صاحب اخنا على عمرو بن العاص رضي الله عنه، فقال له: أخبرنا ما على أحدنا من الجزية فنصبير لها. فقال عمرو وهو يشير الى ركن كنيسة: لو أعطيتني من الأرض الى السقف ما أخبرتك ما عليك، إنما أنتم خزانة لنا، إن كثر علينا كثرنا عليكم، وإن خفف عنا خففنا عنكم، ومن ذهب الى هذا الحديث، ذهب الى أن مصر فتحت عنوة.

وقد كرر المقريزي هذه القصة مرتين في الجزء الأول (٤ و٨) صفحة ١٤١ و ٣١٣ وتحت عنوان (ذكر ما عمله المسلمون عند فتح مصرفي الخراج وما كان من أمر مصر في ذلك مع القبط) يذكر لنا المقريزي القصة التالية:" وعن هشام بن أبي رقية اللخمي أن عمرو بن العاص لما فتح مصر قال لقبط مصر: أن من كتمني كنزا عنده فقدرت عليه قتلته. وأن قبطيا من أرض الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو أن عنده كنزا، فأرسل إليه فسأله فأنكر وجحد، فحبسه في السجن وعمرو يسأل عنه: هل تسمعونه يسأل عن أحد؟ فقالوا: لا إنما سمعناه يسأن عن راهب في الطور. فأرسل عمروا الى بطرس فنزع خاتمه، ثم كتب الى ذلك الراهب ان ابعث اليَّ بما عندك، وختمه بخاتمه. فجاء الرسول بقلة شامية مختومة بالرصاص، ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها (ما لكم تحت الفسقية الكبيرة). فأرسل عمرو الى الفسقية فحبس عنها الماء، ثم قلع البلاط الذي تحتها فوجد اثنين وخمسين ردبا ذهبا مصريا مضروبة. فضرب عمرو رأسه عند باب المسجد، فأخرج القبط كنوزهم شفقا أن يبغى على أحد منهم فيقتل كما قتل بطرس. وعن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو بن العاص استحل مال قبطي من قبط مصر، لأنه استقر عنده أنه يظهر الروم على عورات المسلمين، ويكتب إليهم بذلك، فإستخرج منه بضعا وخمسين إردبا دنانير". المقريزي الجزء الأول (٤) صفحة (١٤٠). ويذكر يوحنا النقيوسي في الفصل (١١٣) احتلال العرب لأتريب ومنوف:" أن عمر قبض على القضاة الرومانيين وقيد أيديهم وأرجلهم بالسلاسل والأطواق الخشبية، ونهب أموالا كثيرة وضاعف ضريبة المال على الفلاحسن وأجبرهم على تقديم علف الخيول، وقام بأعمال فظيعة عديدة.. وحدث الرعب في كل المدن المصرية وأخذ الأهالي في الهرب الى مدينة الإسكندرية تاركين أملاكهم وأموالهم وحيواناتهم. وانضم الى الغزاة الكثيرون من سكان مصر الأجانب الذين أتوا من الأقطار المجاورة واعتنقوا دينهم، ودخل الغزاة المدن واستولوا على أموال كل المصريين الذي هربوا". وفي الفصل (١٢١) يقول يوحنا النقيوسي:" ويستحيل على الإنسان أن يصف حزن وأوجاع المدينة بأكملها فكان الأهالي يقدمون أولادهم بدلا من المبالغ الضخمة المطلوب منهم دفعها شهريا، ولم يوجد من يقوم بمساعدتهم، وقد تركهم الله ودفعهم الى أيدي أعدائهم". وتحت عنوان (ذكر خليج مصر) يقول المقريزي:" قال ابن عبد الحكم، ذكر حفر خليج المؤمنين رضي الله عنه: حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد قال: ان الناس بالمدينة أصابهم جهد شديد في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة الرمادة، فكتب رض الله عنه الى عمرو بن العاص وهو بمصر: (من عبد الله عمر أمير المؤمنين، الى العاصي بن العاص ... سلام، أما بعد، فلعمري يا عمر ما تبالي إذا شبعت أنت ومن معك، أن أهلك أهلك أنا ومن معي، فياغوثاه، ثم يا غوثاه ...) فكتب إليه عمرو: (من عبد الله عمرو بن العاص الى أمير المؤمنين، أما بعد، فيالبيك ثم يا لبيك، قد بعثت إليك بعيرا أولها عندك وأخرها عندي، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته). فبعث

إليه بعير عظيمة. فكان أولها بالمدينة وأخرها بمصر، يتبع بعضها بعض. فلما قدمت على عمر رضي الله عنه، وسع بها على الناس، ودفع الى أهل كل بيت بالمدينة وما حولها بعيرا بما عليه من الطعام، وبعث عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص يقسمونها على الناس، فدفعوا الى أهل كل بيت بعيرا بما عليه من الطعام ليأكلوا الطعام، ويأتدموا بلحمه، ويحتذوا بجلده، وينتفعوا بالوعاء الذي كان فيه الطعام فيما أرادوا من لحاف أو غيره ... فوسع الله بذلك على الناس". المقريزي الجزء الثالث (٣٠) صفحة (٥٤٣ و٥٤٤).

٣ ـ مرارة الإذلال وقسوة الإهانات التي تعرض لها الأقباط:

تناول هذا الموضوع الدكتور أ.س. ترتون الأستاذ بجامعة لندن، في كتابه [أهل الذمة في الإسلام] وذكر العديد من الحوادث والمواقف، فمثلا في صفحة ١٣٨ ونقلا عن كتاب فتوح البلدان للبلاذي ص ١٥١: أنه قد أمر عمر عمرو بن العاص بختم رقاب أهل مصر في وقت جباية جزية الرؤوس. ويذكر المقريزي في الجزء الأول (٤) صفحة ١٤٠:" ثم كتب إليه عمر بن الخطاب رض الله عنه أن تُختم في رقاب أهل الذمة بالرصاص، ويظهروا مناطقهم، ويجزوا نواصيهم، ويركبوا على الأكف عرضا،... ولا تدعهم يتشبهون بالمسلمين في ملبوسهم. وعليهم من أرزاق المسلمين من الحنطة والزيت مدان من حنطة وثلاثة أقساط من زيت في كل شهر لكل إنسان من أهل الشام والجزيرة، وودك، وعسل لا أدري كم هو. ومن كان من أهل مصر فإردب في كل شهر لكل إنسان، ولا أدري كم الودك والعسل، وعليهم من البز الكسوة التي يكسوها أمير المؤمنين الناس، ويضيفون من نزل بهم من أهل الإسلام ثلاث أيام". وفي صفحة ١٥٨ يتحدث ترتون نقلا عن كتاب تاريخ دمشق لإبن عساكر ج١ ص ١٧٨، عن التعليمات التي أصدرها الخليفة عمر بن الخطاب ـ ويقال أيضا أنه أصدر هذه التعليمات بشأن أتباع الملل المعاهدة ـ فقال: (من لم يطق الجزية خففوا عنه، ومن عجز فأعينوه، فأنا لا نريدهم لعام أو لعامين، سموهم ولا تكنوهم، وأذلوهم ولا تظلموهم، وإذا جمعتكم وإياهم طريق فالجئوهم الى أضيقها). يذكر ترتون هذه الأمور رغم تحيزه الى الجانب العربي الأسلامي، هذا التحيز الذي يبدو واضحا عندما يحاول أن يبرر ما فعله العرب بطريقة غريبة، فمثلا عندما يحاول تبرير قتل المسلمين للنصارى ص ١٤٧ و١٤٨ يقول:" على أن الدافع لهذا الإضطهاد هو تعنت النصارى ورغبتهم الخاصة في الإستشهاد ولذلك فمن الصعب أن يُلام المسلمون فيما فعلوه إزاءهم." وفي تبريره لهدم الكنائس يقول في ص ٦٢:" وشهدت سنة ٧٢١ هجرية عاما على الكنائس المصرية، ورواية المقريزي مسهبة في الطول حتى إننا لنؤثر إيرادها مستقلة، ونكتفي بأن نشير الى السبب في ذلك هو تعاظم النصارة على المسلمين، فعم الإضطهاد، وامتدت يد التخريب الى عدة كنائس بالقاهرة وما حولها، كما امتد السلب والنهب الى ما فيها، وأخذ منها جميع ما بها من الخشب". ولكن على أية حال، فأننا نشكر للدكتور ترتون أمانته في ذكر الحقائق التاريخية الهامة المجردة، بغض النظر عن تحامله أو تحيزه عندما يعبر عن رأيه الشخصي الخاص به.

والجدير بالملاحظة هنا وبالنسبة لموضوع الإذلال (أذلوهم ولا تظلموهم) هو الدافع والموجه لما وراء هذه الأحداث من فكر أو توجيه، أكثر من مجرد سرد وقائع تلك الأحداث المؤلمة. الحقيقة أن الخلفية الفكرية والعقائدية وراء هذا الموضوع هو نص الآية ٢٩ من سورة التوبة ٩:" قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون". وكلمة صاغرون، نجدها في قواميس ومعاجم اللغة العربية بمعنى أذلاء. فغير المسلم في ظل الإسلام لا بد أن يذل، وهذا ما فرضه عمرو بن العاص على المصريين، وأمرهم أن يختاروا واحدة من ثلاثة خصال، أعلنها لهم وكررها وشدد عليها وهي: إما الإسلام أو دفع الجزية عن يد وهم صاغرون وإما السيف. كرر

المقريزي ذكر هذه الخصال في الجزء الأول (١٤) ثلاث مرات صفحات ٥٤٤و ٥٤٥و ٥٤٧. ويؤكدها د. ألفريد بتلر ص ٢٨٤. ولقد وصف أحدهم بعد ذلك أهل مصر وصفا قاسيا، وصفهم بأنهم لا ناس، فقد قال معاوية بن أبي سفيان: وجدت أهل مصر ثلاثة أصناف: فثلث ناس، وثلث يشبه الناس، وثلث لا ناس. فأما الثلث الذين هم الناس فالعرب، والثلث الذين يشبهون الناس فالموالي، والثلث الذين لا ناس المسالمة، يعني القبط. المقريزي الجزء الأول (٣) ص ٩١ وعندما أرسل عمرو بن العاص، وصفا لمصر حسب طلب الخليفة عمر بن الخطاب ذلك منه، يقول عمرو ضمن وصفه:" .. يخرج أهل ملة محقورة وذمة مخفورة، يحرثون بطن الأرض و ..". ألفريد بتلر ص٤٤٩. (عن كنيسة صداقة القديسين).

ربما يكون من المناسب هنا أن ننقل فقرات قصيرة من كتاب " هوامش الفتح العربي: للكاتبة المسلمة سناء المصري تلقي الضوء على حقيقة ذلك الفتح. جاء في صفحة ٢٢٣:" ثم دخل المسلمون نيقوس واحتلوها ولم يجدوا أحدا من المحاربين، وكانوا يقتلون كل من وجدوه في الطريق وفي الكنائس رجالا ونساءا وأطفالا ولم يشفقوا على أحد". وجاء في صفحة ٩٠:" وقد مارس الحكام العرب صفات السيادة وتسخير المصريين في شتى الأعمال الصعبة من أجل زيادة حصيلة الضرائب، ومن هذا المنطلق سخر عمرو بن العاص آلاف الفلاحين في إعادة حفر خليج تراجان أو قناة أمير المؤمنين كما سخر عبد الله بن أبي سعد بن أبي سرح صُناع مصر لبناء الأسطول العربي، وفي العموم كان المصريون يقومون بحفر القنوات وبناء الخطط والبيوت للسادة العرب .. بينما يكتفي هؤلاء السادة بصفتهم الفرسان أصحاب السيوف والخيول والجيوش بإستهلاك الخيرات وانفاق الثروات. وكثيرا ما عبر ملوك بني أمية عن معنى العبودية الصريح في رسائلهم الى أمراء مصر بقولهم: (إن مصر دخلت عنوة، وإنما هم عبيدنا ـ المصريين ـ نزيد عليهم كيف شئنا ونضع ما شئنا) (الطبري: تاريخ الرسل والملوك ص١٠٦)." وجاء في صفحة ٧٤:" ولم يكن ابن الخطاب يطالب عمرو بتقليل حجم الضرائب وعدم جمع الأموال من قبط مصر بل كان يطالبه بزيادة الخراج والحرص على تحصيل الجزية وجمع كل ما يستطيع من خيرات مصر وهو صاحب الكلمة الشهيرة:" أخرب الله مصر في عمران المدينة". وجاء في صفحة ٧٥:" وقد جمع عمرو ثروة طائلة من فترتي ولايته على مصر ويقال أنه خلف من الذهب سبعين رقبة جمل مملوءى ذهبا و (سبعين بهارا دنانير وإليها جلد ثور ملؤه اردبان بالمصري) (ابن ظهيرة الفضائل الباهرة، مروج الذهب، الجزء الثاني ص٢٣٠). ونجد في كتاب سير أعلام النبلاء أن عمرو بن العاص امتلك بستانا بالطائف يسمى تعريش الوهط." وجاء في صفحة ١٥١:" ويؤكد السيوطي في كتاب " حسن المحاضرة" واقعة تسخير عمرو بن العاص للمصريين في حفر القنوات واقامة الجسور بالإشارة الى عمرو (ألف قوة من المصريين عددها مائة وعشرين ألف عامل مهمتها الأولى العمل في حفر القنوات واقامة الجسور والقناطر) (السيوطي ـ حسن المحاضرة ـ الجزء الأول ص ٦٣)."

وجاء في صفحة ١٥٣:" وقد أفرد المقريزي في كتابه بابا لكنائس مصر ودورها وبابا آخر تحت عنوان (ذكر انتفاض القبط وما كان من الأحداث في ذلك) فيذكر أمر زيادة الضرائب على القبط بما لا يستطيعون احتماله وثوراتهم ضد بعض الولاة وإسراع الولاة والخلفاء في قمع هذه الثورات بكل وسائل العنف الممكنة فيذكر أنه لما (قدم حنظلة بن صفوان أميرا على مصر في ولايته الثانية فتشدد على النصارى وأحصى الناس والبهائم وجعل على كل نصراني وسما صورة أسد وتتبعهم فمن وجده بدون وسم قطع يده، ثم في سنة إحدى وعشرين ومائة انتفض القبط بالصعيد وحاربوا العمال فحوربوا وقتل كثير منهم ثم خرج يحنس بسمنود وحارب وقتل في الحرب وقتل معه قبط كثير) (المقريزي ـ المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار ـ الجزء الثاني ص ٤٩٢).
وجاء في صفحة ١٤٩:" وكانت قرى من مصر قاتلت فسبى منها والقرى بلهيت والخيس وسلطيس

فوقع سباؤهم بالمدينة" (البلاذري ـ فتوح البلدان ـ القسم الأول ص ٢٥٣). وجاء في صفحة ١٦٩:" وقد ذكر القلقشندي في الشروط المفروضة على أهل الذمة (أن لا يركبوا الحمير بأن يجعل الراكب رجليه من جانب واحد وأن ينزلوا المسلمين صدر الطريق والتمييز عن المسلمين في اللباس") (القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا). وجاء في صفحة ١٩٥:" وسواء كانت بقرة أو سلة أو خزانة فجميعها تشبيهات تفصح عن معاني الإستنزاف التي تعرضت لها مصر على يد الفاتح العربي لأنها (معدن الذهب والجواهر والزمرد والأموال ومغارس الغلات)" (المسعودي ـ مروج الذهب). وجاء في صفحة ١٩٦:" أما الخليفة معاوية بن أبي سفيان الذي يقسم (أهل مصر ثلاث أصناف فثلث ناس وثلث يشبه الناس وثلث لا ناس، فأما الثلث الذين هم الناس فالعرب والثلث الذين يشبهون الناس فالموالي والثلث الذبن لا ناس المسالمة يعني القبط) (المقريزي ـ المواعظ والإعتبار ـ ص ٥٠).

هل في كل هذا ما يدعو لأن يرحب المصريون بالإحتلال العربي؟!

الاغتيالات فى الاسلام

" ان لله جنودا فى العسل "

لقد قال السيد المسيح لحوارييه بطرس ليلة القبض عليه : " كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون" . متى ٢٦ : ٥٢ .

وهذا القول ينطبق تماما على الصحابة والتابعين بل وعلى نبى الاسلام نفسه كما سنرى فى هذا الجزء من الكتاب .

اغتيال النبى

جاء فى السيرة النبوية لابن هشام تحت عنوان أمر الشاة المسمومة) ما يلى :

أمر الشاة المسمومة :

فلما أطمئن رسول الله صلعم أهدت له زينب بنت الحارث ، امرأة سلام بن مشكم ، شاة مصلية ، وقد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلعم ؟ فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السم ، ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلعم ، تناول الذراع فلاك منها مضغة ، فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلعم ، فأما بشر فأساغها وأما رسول الله صلعم فلفظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم ، ثم دعا بها ، فاعترفت ، فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومى ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكا استرحت منه ، وإن كان نبيا فسيخبر ، قال : فتجاوز عنها رسول الله صلعم ، ومات بشر من أكلته التى أكل .
قال ابن إسحاق : وحدثنى مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلى ، قال : كان رسول الله صلعم قد قال فى مرضه الذى توفى فيه ، ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور تعوده : يا أم بشر ، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهرى من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخيبر. قال : فأن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلعم مات شهيدا، مع ما أكرمه الله به من النبوة .

اغتيال الخليفة الأول أبو بكر الصديق

" ان لله جنودا من عسل" جملة قالها عمر بن العاص وتعبر عن مدى انتشار وضع السم فى العسل واستخدامه كوسيلة للاغتيال .
يقول الذهبى فى "تاريخ الاسلام" لما اشتهرت وفاة النبى بالنواحى , ارتدت طوائف كثيرة من العرب عن الاسلام ومنعوا الزكاة , وظهر المتنبؤن , فأعلن مسيلمة نبوته فى

اليمامة , وجعل يهذى بكلام زعم بأنه كان يوحى اليه , وجعل يقول لنا نصف الأرض ولقريش نصفها , ولكن قريشا قوم يظلمون .
وظهر التنبؤ فى اليمن فثار الأسود العنسى وأعلن نبوته , وركبه شيطان السجع كما ركب مسيلمة . وظهر تنبؤ آخر فى بنى أسد , فأعلن طليحة أنه نبى وجعل يهذى لقومه كما هذى صاحباه بالسجع , يزعم انه يتنزل عليه من السماء.
ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تنبأت امرأة من بنى تميم – وهى سجاح – كانت نازلة فى بنى تغلب , فلما استأثر بها شيطان السجع أسرعت الى قومها من تميم فأغوت خلقا كثيرا .
ونظر الصديق من حوله فاذا الأرض قد عادت كافرة بعد اسلامها , واشتعلت فيها نار ما أسرع ما انتشر لهبها حتى شمل جزيرة العرب كلها . وحصر الاسلام فى المدينة ومكة والطائف. فنهض أبو بكر الصديق لقتالهم , فأشار عليه عمر وغيره أن يفتر عن قتالهم . فقال : والله لو منعونى عقالا أو عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله لقاتلتهم على منعها . فقال عمر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . فمن قالها عصم منى ماله ودمه الا بحقها وحسابه على الله . فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال وقد قال :" الا بحقها" . فقال عمر : فوالله ما هو الا أن رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال , فعرفت أنه الحق .
وخرجت جيوش الاسلام لمحاربة المرتدين بعضها بقيادة أسمة بن زيد وبعضها بقيادة خالد بن الوليد وبعضها بقيادة عكرمة بن ابى جهل وبعضها بقيادة بن ابى أمية وبعضها بقيادة خالد بن سعيد بن العاص . وانتصرت الجيوش ورجع المرتدون الى الاسلام وسمح لهم أبو بكر بمخالطة المسلمين ودخول المدينة .
حدث بعد هذا أن ابا بكر دعى الى وليمة قدمت له فيها هدية عبارة عن خزيرة (لحم يقطع الى قطع صغيرة ويصب عليه ماء حتى اذا نضج ذر عليه دقيق) , فجلس يأكلها هو وطبيب العرب الشهيد الحارث بن كلدة.
ومد يده ليأكل فصرخ الحارث : ارفع يدك يا خليفة رسول الله وان فيها لسم سنة , وأنا وأنت نموت فى يوم واحد .
فرفع الصديق يده , ولكن بعض لقيمات كانت قد وصلت جوفه فمرض بشدة ولزم الفراش . وجلست حوله امرأته أسماء بنت عميس وابنتاه أسماء وعائشة وابنه عبد الرحمن , فقالوا : الا ندعوا لك الطبيب ؟ فقال أبو بكر : قد رآنى .
وأشتد الألم بخليفة رسول الله وأحس بدنو أجله فقال لمن حوله : اذا انا مت وفرغتم من جهازى فأحملونى حتى تقفوا بباب البيت الذى فيه قبر النبى , وقولوا : السلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن فان اذن لكم بأن فتح الباب - وكان الباب مغلقا بقفل- فأدخلونى وادفنونى , وان لم يفتح الباب فأخرجونى الى البقيع وادفنونى به .
ثم نظر الى السماء وملأ البشر وجهه وهو يقول : توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين .

وصعدت روح الصديق الى بارئها فحملوه - بعد تجهيزه- الى البيت الذى فيه قبر رسول الله وقالوا : السلام عليك يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن . وتقول بعض الروايات فسقط القفل وانفتح الباب وكأنما يسرى صوت هافت :
- أدخلوا الحبيب الى فان الحبيب الى الحبيب مشتاق.
ودفن فى بيت ابنته عائشة , وجعل رأسه عند كتفى رسول الله . وكتنت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال وكتنت وفاته اثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ١٢ هجرية وهو ابن ثلاث وستين سنة .

اغتيال الخليفة الثانى عمر بن الخطاب

خطب عمر بن الخطاب فى الناس فقال : " الحمد لله الذى انجز وعده ونصر جنده , ألا وأن الله قد أهلك ملك المجوسية وفرق شملهم فليسوا يملكون من بلادهم شبرا يضير بمسلم , الا وان الله قد أورثكم ديارهم وأموالهم وابناءهم , لينظر كيف تعملون , فقوما فى أمره على وجل , يوف لكم بعهده ويؤتكم وعده , لا تغيروا يستبدل قوما غيركم , فانى لا أخاف على هذه الأمة أن تؤتى الا من قبلكم".
سمع الهرمزان هذه الكلمات وصكت أذنيه ومزقت وأحرقت كبده كما اثارت حقد أبى لؤلؤة المجوسى على عمر.
كان أبو لؤلؤة يبكى كلما رأى سبايا قومه بعد فتح نهاوند , وكان عظماء الفرس الذين اصبحوا عبيدا للعرب قد يئسوا من استرداد دولتهم بعد أن تخطف القهر والضياع ملكهم المهزوم يزدجرد , ولكن ما يئسوا قط من الانتقام .

ذات صباح خرج عمر الى الصلاة وكان يوكل بتسوية الصفوف رجالا , فاذا استوت كبر , ودخل أبو لؤلؤة فى الناس وبيده خنجر له رأسان نصابه فى وسطه فطعن عمر ست طعنات , احداهن تحت سرته وهى التى قتلته . وخر عمر الى الأرض.
وحاول أبو لؤلؤة الهرب فتكاثر الناس عليه فقتل نفسه بنفس الخنجر بعد أن طعن ١٣ مسلما مات منهم سبعة .
تدل القرائن كلها على أن عملية اغتيال عمر كانت بمؤامرة من حركة سرية يقودها الهرمزان ملك الخوزستان الذى قد جئ به الى المدينة اسيرا , وعهدوا بتنفيذها الى ابى لؤلؤة .
لم يتمالك عبيد الله بن عمر نفسه , فتقلد سيفه , ومضى الى الهرمزان فقتله , ثم قتل جفينة وكان من نصارى الحيرة وادعى الاسلام , ثم انطلق فقتل ابنة لأبى لؤلؤة صبية , ومضى يبحث عن العلوج فى طرقات المدينة , فلم يلق أحدا الا قتله , وكان ممن قتلهم بعض الذين اسلموا .
ومات عمر بن الخطاب بعد ثلاثة أيام من طعنه فصلى عيه صهيب الرومى , وكانت خلافته عشر سنين وخمسة أشهر واحدى وعشرين ليلة وكان عمره ٦٣ سنة .

اغتيال الخليفة الثالث عثمان بن عفان

غلب الأمويون عثمان على أمره فشغلوه بأنفسهم كأقرباء , وجنحوا به الى ما خشيه عمر عليه وحذر منه (ان وليت هذا الأمر فلا ترفعن بنى أمية على رقاب الناس) وغلبه على أمره سادتهم الطامعون من الاستئثار بالأمر بعده يريدوا ان يفوتوه على ابن عم الرسول على بن ابى طالب وكانوا يرونه غير مستحق لها .
وكان لعثمان ميلا فطريا نحو اهله وعشيرته , فقد روى عنه " ان أبا بكر وعمر يتأولان فى هذا المال ظلم انفسهما وذوى ارحامهما , وانى تأولت فيه صلة رحمى " .
اثارت هذه النعرة وما تبعها من ظلم ثائرة جموع المسلمين فى المدينة وفى الكوفة وفى مصر وغيرها من البلاد الموطوئة .
التف الثوار حول بيت عثمان وحرقوا بابه وقطعوا عن خليفة رسول الله " ذو النورين" الماء وحاصروه فلم يسمحوا لأحد بالدخول أو الخروج ومنعوا عثمان من الصلاة فى مسجد رسول الله .
واستمر الحصار شهرين وعشرين يوما .
وفى الليلة التى قتل فيها خليفة رسول الله كان صائما وفيها قال لأصحابه : لولا أن تقولوا تمنى عثمان لحدثتكم حديثا عجبا . فقالوا : انا لا نقول ذلك . قال عثمان : انى رأيت رسول الله ومعه أبو بكر وعمر فقال لى : افطر عندنا الليلة يا عثمان .
وقفز محمد بن ابى بكر فوق سور منزل عثمان من دار رجل من الانصار , ودخل عليه وهو يقرأ القرآن , فأخذ بلحية عثمان فقال ذو النورين : والله لو رآك أبوك لساءه مكانك منى . دعها يا ابن أخى والله لقد كان أبوك يكرمها .
فتراخت يد محمد بن ابى بكر الصديق واستحيى وخرج , فدخل صاحبه رومان بن سرحان ومعه خنجر فاستقبله به وقال : على أى دين أنت يا نعثل؟ فقال عثمان : لست بنعثل ولكنى عثمان ابن عفان وانا على ملة ابراهيم حنيفا وما أنا من المشركين . فرد رومان : كذبت وضربه على خده الأيسر بالخنجر فخر عثمان على الأرض , فأدخلته زوجته نائلة بنت الفرافصة بينها وبين ثيابها , وكانت امرأة جسيمة . ودخل رجل من أهل مصر معه السيف مسلطا فقال : والله لأقطعن أنفه. فضرب نلئلة فكشفت عن ذراعها وقبضت على السيف فقطع اناملها فطعن عثمان وسقطت قطرة أو قطرات طاهرات من دم عثمان على المصحف الذى كان أمامه.
واستشهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان يوم الجمعة فى الثامن من ذى الحجة يوم التروية سنة ٣٥ هجرية وكان عمره ٨٦ عاما . وقضى فى الخلافة احدى عشرة سنة واحدى عشر شهرا وأربعة عشر يوما .

اغتيال الخليفة الرابع على بن ابى طالب

الخوارج فرقة انشقت من جيش على بن ابى طالب , منكرة عليه أمورا بدت منه , كقبوله مبدأ التحكيم فى النزاع بينه وبين معاوية , وتركزت دعوتها على أن شؤون الأمة لا ينبغى أن تصرف الا على أساس الالتزام الصارم بأحكام القرآن , واتخذت جملة " لا حكم الا لله " شعارا لها .
وقد تطرف بعضهم فذهب الى انهم وحدهم المسلمون حقا وأن من عداهم من أهل النار . لا وزر على الخوارج ان هم قتلوهم أو سلبوهم أموالهم . وقد كانت فرقتهم مكونة من جماعات صغيرة , يتراوح عدد أعضاء الواحدة بين الثلاثين والحمسمائة , وتقيم الجماعة فى معسكر قرب مدينة أو طريق للتجارة , يتعيش افرادها مما ينهبونه من المدن أو القوافل المارة . ويبثون الذعر فى قلوب أهل المنطقة .
من هؤلاء الخوارج كان عبد الرحمن بن ملجم .

فى الليلة التى قتل فيها الخليفة الرابع على بن ابى طالب ابن عن الرسول وزوج ابنته فاطمة ركب بغلته الشهباء خارجا الى الصلاة وهو ينادى : ايها الناس الصلاة الصلاة .
كان عبد الرحمن بن ملجم ورفيق له يتربصان بالامام بجوار المسجد , فلما خرج صرخ ابن ملجم : الحكم لله يا على لا لك ولأصحابك – وعلى نفسه يقول : الصلاة يا عباد الله – وعالجه بضربة سيف فى جبهته , فانشقت رأس الامام على حتى رئى مخه , ووقعت ضربة رفيق ابن ملجم فى جدار بيت , وخر الامام على وهو يقول : لا يفوتنكم الرجل .
فأمسك الناس بابن ملجم , وقتل صاحبه وهو يحاول الفرار .
وتقول بعض الروايات ان عبد الرحمن بن ملجم كان يهوى امرأة فطلبت رأس الامام على منه مهرا .
بعد يومين من طعنته المسمومة شهق الامام على وهو يقول لا اله الا الله وصعدت روحه الى بارئها وكان عمره ٦٣ سنة واستمرت خلافته خمس سنوات الا ثلاثة أشهر .

اغتيال الحسن بن على حفيد الرسول

بويع الحسن بن على بالخلافة فى الكوفة فى شهر رمضان من سنة ٤٠ هجرية بعد وفاة أبيه بيومين , وقيل ان أول من بايعه قيس بن سعد الأنصارى . قال له : ابسط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه وقتال المحلين .
لم يقبل معاوية بن سفيان ولاية الحسن فقام عليه بجيش قوامه ٦٠ ألف جندى.

أعد الحسن جيشا من ٤٠ الف جندى لقتال معاوية وجيشه الا انه عندما وصل الى المدائن تفرق عنه الجيش وحاول البعض قتله .
وتفرق أهل العراق عن الحسن ولم يستطع تأليف جيش لمحاربة معاوية فأرسل الحسن اليه يطلب الصلح .
أعطى معاوية الحسن الأمان و خمسة ملايين درهم كانت فى بيت المال بالكوفة وخراج كورتين من كور البصرة ما عاش .
وسلم الحسن الأمر الى معاوية فى النصف من شهر جمادى الأولى من سنة ٤١ هجرية فبايع الناس معاوية يومئذ وهو ابن ست وستين الا شهرين .
وكان معاوية رفيقا بالحسن واصلا له لدرجة انه عرض عليه ولاية الأمر من بعده (ولكن الحسن لم يقبل منه ذلك واشترط عليه ان تكون الخلافة من بعده شورى بين المسلمين).
كان معاوية يفكر فى ابنه يزيد دائما وفى جعل الخلافة ارثا دهريا بعده لآل أبى سفيان . وكان طبيعيا أن يتخوف من الحسن رغم ما يبدو عليه من زهد فى الأمر ولهذا دبر مؤامرة لقتله وذلك بالتواطؤ مع زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس - وفى رواية انها كانت هند بنت سهيل بن عمرو سفير قريش يوم صلح الحديبية – فقد اتفقوا معها على أن تدس السم للحسن فى بعض شرابه أو طعامه مقابل مائة الف دينار , وان يزوجها من يزيد بن معاوية . وبالفعل وضعت له السم فى الطعام , وسقط سبط رسول الله يصارع الموت . ودخل الحسين على الحسن فى مرضه فقال الحسن : " يا أخى انى سقيت السم مرات ولكنى لم أسق سما أشد على من هذا الذى سقيته هذه المرة , وقد لفظت آنفا قطعة من كبدى ".
طلب الحسن ان يدفن بجوار جده ولكن عندما توفى قام مروان بن الحكم محتجا بأنه كما منع القوم دفن عثمان فى مقبرة فان الحسن لا يدفن بجوار جده فدفن فى مقابر المسلمين خوفا من الفتنة .

<u>اغتيال الزبير بن العوام</u>

كان الزبير من السبعة الأوائل الذين سارعوا الى الاسلام وكان أحد ثلاثة يهبون لنجدة النبى فى أى موقف وهم : حمزة وعلى والزبير .
رغم أن الزبير بن العوام – المبشر بالجنة- حاول اعتزال الفتنة بعد اندلاعها واشتراكه فيها (بعد مقتل عثمان) فان الفتنة لم تعتزله وظلت تطارده حتى كانت السبب فى اغتياله .
ذات يوم نزل الزبير وادى السباع فقام يصلى الظهر , ولحق به عمرو بن جرموز فنظر اليه الزبير فوجد الغدر فى عينيه , فأسرع الى ركوب فرسه ذى الخمار , فقال عمرو بن جرموز : أذكرك الله .

فكف الزبير يده عنه , ولكن عمرو بن جرموز عاد الى غدره ولاحق الزبير , فقال أبو عبدالله (الزبير) :
- قاتله الله يذكرنا الله وينساه ؟
فأتاه عمرو بن جرموز من الخلف وهو يصلى فطعنه طعنة خفيفة , فالتفت الى الزبير وكاد أن يقتله , فلما رأى ابن جرموز أن الزبير على وشك أن يهزمه نادى صاحبيه :
- يا نفيع , يا فضالة .
فحملوا عليه الثلاثة حتى قتلوه وكان ابن سبع وستين سنة .
لكن روح الزبير ظلت تطارد ابن جرموز فى منامه ويقظته حتى انتحر !

اغتيال طلحة بن عبيد الله

هو ايضا من العشرة المبشرين بالجنة مثل الزبير بن العوام وهو ايضا مثله فى اشتراكه فى الفتنة (بعد مقتل عثمان) ومحاولته اعتزالها بعد ذلك ولكنها لم تعتزله .

عند خروجه من ساحة القتال تسلل مروان بن الحكم خلفه واغتاله بسهم أصاب رقبته وخرج من فمه.
وفى رواية : ان مروان تسلل خلف طلحة ورماه بسهم فى ركبته فجعل الدم يسيل ,

فاذا أمسكوه استمسك فاذا تركوه سال , فقال دعوه , فانما هو سهم ارسله الله , فمات من ليلته .
وقد دفن طلحة بن عبيد الله على شاطئ قريب من مرفأ للسفن فرأى بعض أهله أنه أتاه فى المنام فقال : ألا تريحونى من هذا الماء , فانى قد غرقت . فنبشوا قبره فاذا هو أخضر كأنه السلق , فنزعوا عنه الماء فاستخرجوه , فاذا ما يلى الأرض من لحيته ووجهه قد أكلته الأرض . فاشتروا له دارا من دور آل أبى بكرة بعشرة آلاف فدفنوه فيها .
وقد ترك طلحة ثروة لورثته تقدر بألف ألف ومائتى درهم- مليون ومائتى درهم- ومائتى ألف دينار .

اغتيال محمد بن ابى بكر أخو زوجة الرسول

انضم محمد بن ابى بكر الى جانب الامام على فى خلافه مع معاوية , حيث ان الامام على هو الذى قام بتربيته بعد زواجه من امه أسماء الخثعمية زوج ابى بكر الصديق.
وقد أقام الامام على وليا على مصر.
سير معاوية بن ابى سفيان جيشا الى مصر بقيادة معاوية بن حديج الذى هزم جيش محمد بن ابى بكر واختفى محمد فى بيت امرأة فوشت به فقتله معاوية بن حديج

ووضعوه فى جوف حمار ميت ثم شووه وهذا بعد أن جروه من رجله فى اسواق مصر .. وأشهدوا على التمثيل به السفلة والصبيان ثم ارسلوا قميصه الذى قتل فيه وهو بدمه الى المدينة فلبسته نائلة زوجة عثمان ورقصت به , وشوت أخت معاوية بن حديج خروفا وأهدته الى السية عائشة أم المؤمنين – فى ذلك العيد- وهى توصى الرسول أن يقول لها : هكذا كان شى أخيك , فلم تأكل السيدة عائشة بعدها شواء قط وأقسمت لا تأكله حتى تلقى الله .

اغتيال محمد بن مسلمة

هو صاحب الموقف الشهير عندما قتل كعب بن الأرف طاغية اليهود , الذى خان عهده مع المسلمين , وراح يؤلب قريشا ويحرضها على العرب , ويقول عن قتلى بدر من المشركين : هؤلاء أشراف العرب وملوك الناس , والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم , لبطن الأرض خير من ظهرها . فقال النبى- صلى الله عليه وسلم- من لكعب بن الأشرف ؟ فانه قد آذى الله ورسوله؟
فقام محمد بن مسلمة فقال : يا رسول الله , أتحب أن أقتله ؟ قال : نعم .
فدبر محمد بن مسلمة خطة لقتل الطاغية اليهودى حتى استمكن منه .
ورغم ان محمد بن مسلمة كان أسود طويلا عظيما , فان يد الاغتيال لم تتركه حتى يدافع عن نفسه .
فعن جابر بن عبد الله قال :
قدم معاوية ومعه أهل الشام , يعنى المدينة , فسمع رجل شقى من أهل الأردن بجلوس محمد بن مسلمة عن مناصرة على أو معاوية فلم يعجبه موقفه فاقتحم داره وقتله وهو نائم .

اغتيال الأشتر

اسمه مالك بن الحارث , شريف كبير القدر فى النخع .
أرسله على بن ابى طالب لولاية مصر بعد عزل قيس بن سعد .فحمل الأشتر عصا ورحل الى مصر ولكنه مات فجأة فى القلزم على حدود مصر. فضحك عمرو بن العاص ومعاوية بن ابى سفيان وهم يقولان " ان لله جنودا من عسل " .
وأكثر المؤرخين يتحدثون عنه انه أغتيل بالسم وأن معاوية أغرى صاحب الخراج من القلزم -وقيل العريش- وحط عنه الخراج ما بقى ان احتال فى موت الأشتر , وأن الرجل دس للأشتر سما فى شربة عسل فقتله ليومه أو غده .
وقيل ان عبدا لعثمان لقيه فسم له عسلا وسقاه , فقال عمرو ابن العاص : ان لله جنودا من عسل .

اغتيال مروان بن الحكم

انه مروان بن ابى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الأموى .
وهو الذى اشار على الوليد بن عتبة بن ابى سفيان بقتل الحسين ابن بنت رسول الله.
استولى مروان بن الحكم على حكم الشام ومصر تسعة أشهر ومات خنقا على يد اعدائه الذين اختصموا معه فى الأول من رمضان سنة ٦٥ هجرية وعقد لولديه عبد الملك وعبد العزيز بعده .

اغتيال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد

اتفق ابن الأثير والطبرى على رواية واحدة عن اغتيال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد .
وكان سبب موته – كما جاء فى ابن الأثير – أنه قد عظم شأنه عند أهل الشام ومالوا اليه لما عندهم من آثار أبيه . ولغنائه من بلاد الروم ولشدة بأسه, فخافه معاوية وخشى منه , وأمر الطبيب ابن آثال النصرانى أن يحتال فى قتله , وضمن له أن يضع عنه خراجه ما عاش , وأن يوليه خراج حمص , فلما قدم عبد الرحمن من الروم دس له ابن آثال شربة عسل مسمومة مع بعض مماليكه فشربها ومات بحمص فوفى له معاوية بما ضمن له .

اغتيال عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين

توفى عمر بن عبد العزيز بدير سمعان من أعمال حمص فى آخر رجب عام ١٠١ هجرية وعمره تسع وثلاثون سنة وستة أشهر وكانت وفاته بالسم .
كان بنو أمية ـ كما يقول تاريخ الخلفاء – قد تبرموا به لكونه شدد عليهم وانتزع من ايديهم كثيرا مما غصبوه وكان قد أهمل التحرز , أى لم يهتم بسلامته .
قال مجاهد : قال لى عمر بن عبد العزيز : ماذا يقول فى الناس؟ قلت : يقولون مسحور . قال : ما أنا بمسحور وانى لأعلم الساعة التى سقيت فيها , ثم دعا غلاما له فقال له : ويحك , ما حملك على أن تسقينى السم ؟ قال : ألف دينار أعطيتها , وعلى أن أعتق قال هاتها . قال : فجاء بها فألقاها فى بيت المال وقال اذهب حيث لايراك أحد .

اغتيال الامام أبى حنيفة

قالوا عنه : "الامام الأعظم وفقيه أهل العراق وامام أهل الرأى ومخ العلم وأنه الفقيه" . وكن ذلك لم سشفع له عند السلطة العباسية التى سقته السم غيلة وظلما ,

فقتلت الامام ابى حنيفة أول أئمة الفقه الأربعة والفقيه العاقل الذى فتح باب الفقه العقلانى فى الاسلام .
يقول الذهبى فى العبر : وقد روى أن المنصور سقاه السم فمات شهيدا .
وقال الهيثمي : روى جماعة أنه رفع اليه قدح فيه سم ليشرب فامتنع وقال : انى لأعلم ما فيه , ولا أعين على قتل نفسى , فطرح أرضا ثم صب السم فى فمه – قهرا وغصبا – فمات . واتفقوا على انه رحمه الله أغتيل سنة ١٥٠ هجرية وعمره سبعين سنة .وقال كثيرون : وكان موته فى رجب , وقيل شعبان , وقيل نصف شوال . ولم يترك وراءه غير ولد واحد هو حماد . وهكذا دفع "امام أهل الرأى " حياته دفاعا عن رأيه ومواقفه .

اغتيال النسائى

أبو عبد الرحمن النسائى صاحب السنن أغتيل فى دمشق على يد بعض أعوان وأتباع الأمويين. وهو أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بحر الخراسانى النسائى.
والنسائى نسبة الى "نسا" وهى بلدة بخراسان ولد فيها علم ٢١٥ هجرية .
وكان النسائى قد خرج من من مصر التى كان يقيم فيها , فى آخر حياته , الى دمشق , فسأل بها عن معاوية وما جاء فى فضائله , فقال : لا يرض رأس برأس حتى يفضل ؟ أى لا يجوز المقارنة بينهما لأن عليا هو الأفضل .
فأخرجوه من المسجد وضربوه , ومازالوا يتابعونه بعد ذلك حتى مات. ويقول الذهبى : فما زالوا يدفعونه فى حضنيه حتى أخرج من المسجد , ثم حمل الى مكة فتوفى فيها .
قال الدارقطنى : خرج حاجا فأمتحن بدمشق وأدرك الشهادة فقال احملونى الى مكة فحمل فتوفى بها , وهو مدفون بين الصفا والمروة, وكان أفقه مشايخ مصر فى مصر وأعلمهم بالحديث والرجال .

اغتيال عبد الرحمن بن عديس

يقول الذهبى فى ترجمته : أبو محمد البلوى , له صحبة وبايع تحت الشجرة فى بيعة العقبة وله رواية ـ أحاديث – سكن مصر وكان ممن خرج على عثمان وسار الى قتاله. ثم ظفر به معاوية فسجنه بفلسطين مع جماعة آخرين , ثم هرب من السجن فعرفوا مكانه وأرسلوا خلفه من يقتله . ولما أدركه القاتل قال عبد الرحمن بن عديس للقاتل : ويحك اتق الله فى دمى , فانى من اصحاب الشجرة . فقال القاتل : الشجر بالجبل كثير , وقتله .
وقال ابن يونس : كان رئيس الخيل التى سارت من مصر الى عثمان . وكان رأس الفتنة .

اغتيال الجراح بن عبد الله

انه الأمير أبو عقبة , له ترجمة طويلة فى تلريخ ابن عساكر .
وقد تولى البصرة فى دولة الوليد من تحت يد الحجاج ثم ولى خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز وكان من صلحاء الأمراء ومجاهديهم .
يقول الجراح بن عبد الله الحكمى كان فارس أهل الشام تركت الذنوب حياء أربعين سنة ثم أدركنى الورع .
وقال البخارى : ولى الجراح خراسان ليزيد بن المهلب وهو من سعد العشيرة , فروى الوليد بن مسلم ان الجراح كان اذا مشى فى جامع دمشق يميل رأسه عن القناديل من طوله . وروى عبد الرحمن بن حسن الزرقى عن أبيه قال : كان الجراح بن عبد الله على خراسان كلها , حربها وصلاتها ومالها . قال ابن جابر وفى سنة اثنتى عشرة ومئة غزا الجراح بلاد الترك فدخل ثم رجع فأدركته الترك فقتل هو وصاحبه , أرسلوا خلفه من قتله .
وقال أبو سفيان الحميرى : كان الجراح على أرمينية وكان رجلا صالحا فقتله رجل من الخزر ففزع الناس لقتله فى البلدان .

اغتيال الجعد بن درهم

انه مؤدب مروان بن محمد الحمار وهكذا يقال له : مروان الجعدى. وكان الجعد أول من تفوه بأن الله لا يتكلم . وقد هرب من الشام . ويقال ان الجهم بن صفوان أخذ عنه مقالة خلق القرآن , وأصله من حران .
وقد وقف الجهد على وهب بن منبه فجعل يسأله عن الصفة فقال : يا جعد ويلك , أنقص من المسألة , انى لأظنك من الهالكين لو لم يخبرنا الله فى كتابه ان له يدا , ما قلنا ذلك , وان له عينا ما قلنا ذلك , ثم لم يلبث الجعد أن ذبح .
ويروى أن خالد بن عبد الله القسرى خطب الناس يوم الأضحى بواسط وقال : ضحوا يقبل الله ضحاياكم , فأنى مضح بالجعد بن درهم , انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما , ثم نزل فذبحه .

اغتيال خارجة بن حذافة

شهد فتح مصر وكان أمير ربع المدد الذين أمد بهم عمر بن الخطاب عمرو بن العاص وكان رئيسا لشرطة مصر فى خلافة عمر وفى خلافة معاوية . وقد تآمر الخوارج بأن يقتلوا الثلاثة الذين يظنونهم سبب الفتنة , وهم على بن ابى طالب الذى قتله عبد الرحمن بن ملجم , ومعاوية الذى أصيب بجراح طفيفة , وعمرو بن العاص

الذى نجا من الموت عندما أصيب بوعكة صحية , فأناب عنه رئيس شرطته خارجة بن حذافة فقتله عمرو بن بكير وهو يعتقد انه عمرو بن العاص.

اغتيال عمرو بن عتبة

كان عمرو بن عتبة بن فرقد يقول : سألت الله ثلاثا فأعطانى اثنتين وأنا أنتظر الثالثة : سألته أن يذهدنى فى الدنيا فما أبالى ما أقبل وما أدبر , وسألته أن يقوينى على الصلاة فرزقنى منها , وسألته الشهادة فأنا أرجوها .
وقد استجاب الله له فرزقه الشهادة , فعن علقمة قال : خرجنا ومعنا مسروق وعمرو بن عتبة ومضد العجلى غازين فلما بلغنا ماسبذان قال لنا ابنه عمرو : انكم ان نزلتم عليه صنع لكم نزلا , ولعل أن تظلموا فيه أحدا , ولكن ان شئتم قلنا فى ظل هذه الشجرة وأكلنا من كسرنا , ثم رحنا ففعلنا , , فلما قدمنا الأرض قطع عمرو بن عتبة جبة بيضاء فلبسها فقال والله ان تحر الدم على هذه لحسن .
ثم رمى غيلة فرأيت الد ينحدر على المكان الذى وضع يده عليه , فمات رحمه الله .

اغتيال عبد الله بن قرط

كان اسمه شيطان بن قرط فجاء الى النبى فسأله : ما اسمك ؟ قال : شيطان بن قرط.
قال النبى : أنت عبد الله .
وعن جنادة بن مروان : أن عبد الله بن قرط والى حمص خرج يحرس ليلة على شاطئ البحر فلقيه فاتور الروم من الخلف فقتله بين بلنياس ومرقية . ويقال انه استشهد سنة ٥٦ هجرية .

اغتيال مسلم بن عقيل

هو ابن عم الحسين بن على سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارسله الحسين الى الكوفة ليمهد له طريق البيعة بين الكوفيين .
وبعد وصوله الكوفة اقبل عليه الناس الوفا الوفا يبايعون الحسين.
ازعج هذا يزيد بن معاوية فعزل النعمان والى الكوفة وولى عليها عبيد الله بن زياد مضمومة الى البصرة التى كان يتولاها فى ذلك الحين .
وتقدم مسلم بن عقيل فى اربعة آلاف رجل الى قصر امارة عبيد الله بن زياد فى تعبئة كتعبئة الجيش فأرسل عبيد الله انصاره الى كل صوب فى المدينة يعدون ويتوعدون ويشيعون بقرب وصول المدد من يزيد وينذرون الناس بقطع العطاء وأخذ البرئ بالمذنب والغائب بالشاهد ويبذلون المال لمن يرشى بالمال والوعد لمن يقنع بالوعد الى حين .

ولم تغرب شمس ذلك اليوم حتى نظر مسلم حوله فاذا خمسمائة فقط من أولئك الآلاف الأربعة .. ثم صلى المغرب فلم يكن وراءه غير ثلاثين تسللوا من حوله تحت الظلام وبقى مسلم وحيدا فى المسجد لا يجد من يدله على منزل يأوى اليه . وانتهى به الأمر أن صعد به الى أعلى قصر عبيد الله بن زياد وضربت عنقه وألقيت جثته الى الناس وأرسل رأسه الى يزيد .

اغتيال الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم

عندما جاء الحسين خبر مقتل مسلم بن عقيل انطلق الحسين يسير نحو طريق الشام نحو يزيد فلقيته الخيول بكربلاء بقيادة عمرو بن سعد وشمر بن ذى الجوشن وحصين بن تميم .
ولا شك أن المعركة كانت غير متكافئة من حيث العدد فقتل أصحاب الحسين (رضى الله عنه وعنهم) كلهم بين يديه يدافعون عنه حتى بقى وحده كالأسد ولكنها الكثرة وكان كل واحد من جيش الكوفة يتمنى لو غيره كفاه قتل الحسين حتى لا يبتلى بدمه (رضى الله عنه) حتى قام رجل خبيث يقال له شمر بن ذى الجوشن فرمى الحسين برمحه فأسقطه أرضا فأجتمعوا عليه وقتلوه شهيدا سعيدا , ويقال أن شمر ذى الجوشن هو الذى اجتز رأس الحسين وقيل سنان بن أنس النخعى .

اغتيال عمر بن سعد

هو عمر بن سعد بن ابى وقاص وقد عاش المحنة كاملة وغلص فيها حتى الغرق , وسجل اسمه بحروف من دماء حيث كان أحد قتلة الحسين رضى الله عنه .
ذات مرة قبل أن تندلع الفتنة قال عمر بن سعد للحسين : ان قوما من السفهاء يقولون أنى قاتلك . قال الحسين : ليسوا سفهاء ولكنهم حلماء , ثم قال : والله انه ليقر عينى أنك لا تأكل بر العراق بعدى الا قليلا .
بعدها اندلعت المعركة وختمت مأساة كربلاء كلها بعد أيام معدودات باستشهاد الحسين رضى الله عنه هو وكل من معه .
ولكن لم تنقض ست سنوات على مصرع الحسين حتى حاق الجزاء بكل رجل أصابه فى كربلاء , فلم يكد يسلم أحد منهم من القتل والتنكيل مع سوء السمعة ووسواس الضمير .
كان عمر بن سعد بن أبى وقاص نائما فى فراشه , فدخل عليه أحد طالبى ثأر الحسين فقتله وحمل رأسه فرآها حفص بن عمر فى يد القاتل فقال : انا لله وانا اليه

راجعون ! فضرب عنقه وحمل رأسه وقال : عمر بالحسين وحفص بعلى بن الحسين .

مفهوم الجهاد فى القرآن عند شيخ الاسلام ابن تيمية

قد كتب الكثيرون عن الجهاد في سبيل الله قديما وحديثا ، ولكن لم يبلغ أي واحد منهم مبلغ الشهيد سيد قطب

وخير من كتب عن الجهاد في سبيل الله بأبعاده الشمولية من القدامى هو شيخ الإسلام ابن تيمية
وقد جمعت من أقواله ثلاثة مجلدات ضخمة في هذا الموضوع وهو يغني عما سواه من كتب القدامى
بل لو جمعنا جل كتابات المعاصرين المتعلقة بالجهاد في سبيل الله لما أغنت عما كتبه ووصل إليه السيد

ومن ثم يجب علينا جميعا أن نقرأ ما كتب بدقة وبموضوعية تامة وعندها سندرك أنه المدافع الأول عن الإسلام والمسلمين في هذا العصر الذي أصبحت فيه الكتابات عن الجهاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الإسلام ممسوخة ومحرفة ، فأول شيء مسخ فيه أنه نزع منه جهاد الطلب والمجمع عليه.

يقول تعالى:
قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ . سورة التوبة ٢٩

وما زال يمسخ حتى أصبح الجهاد هو عبارة عن دفاع عن النفس ليس إلا استنادا لقوله تعالى :
وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ
سورة البقرة١٩٠ .

لقد انتضى الإسلام السيف , وناضل وجاهد في تاريخه الطويل ليكفل عدة أهداف كلها تقتضي الجهاد .
جاهد الإسلام أولا ليدفع عن المؤمنين الأذى والفتنة التي كانوا يسامونها ; وليكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم وعقيدتهم . وقرر ذلك المبدأ العظيم الذي سلف تقريره في هذه السورة - في الجزء الثاني - (والفتنة أشد من القتل) . . فاعتبر الاعتداء على العقيدة والإيذاء بسببها , وفتنة أهلها عنها أشد من الاعتداء على الحياة ذاتها . فالعقيدة أعظم قيمة من الحياة وفق هذا المبدأ العظيم . وإذا كان المؤمن مأذونا في القتال ليدفع عن حياته وعن ماله , فهو من باب أولى مأذون في القتال ليدفع عن عقيدته ودينه . .
وقد كان المسلمون يسامون الفتنة عن عقيدتهم ويؤذون , ولم يكن لهم بد أن يدفعوا هذه الفتنة عن أعز ما يملكون . يسامون الفتنة عن عقيدتهم , ويؤذون فيها في مواطن من الأرض شتى . وقد شهدت الأندلس من بشاعة التعذيب الوحشي والتقتيل الجماعي لفتنة المسلمين عن دينهم , وفتنة أصحاب المذاهب المسيحية الأخرى ليرتدوا إلى الكثلكة , ما ترك أسبانيا اليوم ولا ظل فيها للإسلام ! ولا للمذاهب المسيحية الأخرى ذاتها ! كما شهد بيت المقدس وما حوله بشاعة الهجمات الصليبية التي لم تكن موجهة إلا للعقيدة والإجهاز عليها ; والتي خاضها المسلمون في هذه المنطقة تحت لواء العقيدة وحدها فانتصروا فيها ; وحموا هذه البقعة من مصير الأندلس الأليم . . وما يزال المسلمون يسامون الفتنة في أرجاء المناطق الشيوعية والوثنية والصهيونية والمسيحية في أنحاء من الأرض شتى . .
وما يزال الجهاد مفروضا عليهم لرد الفتنة إن كانوا حقا مسلمين !
وجاهد الإسلام ثانيا لتقرير حرية الدعوة - بعد تقرير حرية العقيدة - فقد جاء الإسلام بأكمل تصور للوجود والحياة , وبأرقى نظام لتطوير الحياة . جاء بهذا الخير ليهديه إلى البشرية كلها ; ويبلغه إلى أسماعها وإلى قلوبها . فمن شاء بعد البيان والبلاغ فليؤمن ومن شاء فليكفر . ولا إكراه في الدين . ولكن ينبغي قبل ذلك أن تزول العقبات من طريق إبلاغ هذا الخير للناس كافة ; كما جاء من عند الله للناس كافة . وأن تزول الحواجز التي تمنع الناس أن يسمعوا وأن يقتنعوا وأن ينضموا إلى موكب الهدى إذا أرادوا . ومن هذه الحواجز أن تكون هناك نظم طاغية في الأرض تصد الناس عن الاستماع إلى الهدى وتفتن المهتدين أيضا . فجاهد الإسلام ليحطم هذه النظم الطاغية ; وليقيم مكانها نظاما عادلا يكفل حرية الدعوة إلى الحق في كل مكان وحرية الدعاة . .
وما يزال هذا الهدف قائما , وما يزال الجهاد مفروضا على المسلمين ليبلغوه إن كانوا مسلمين !
وجاهد الإسلام ثالثا ليقيم في الأرض نظامه الخاص ويقرره ويحميه . . وهو وحده النظام الذي يحقق حرية الإنسان

تجاه أخيه الإنسان ; حينما يقرر أن هناك عبودية واحدة لله الكبير المتعال ; ويلغي من الأرض عبودية البشر للبشر في جميع أشكالها وصورها . فليس هنالك فرد ولا طبقة ولا أمة تشرع الأحكام للناس , وتستذلهم عن طريق التشريع . إنما هنالك رب واحد للناس جميعا هو الذي يشرع لهم على السواء , وإليه وحده يتجهون بالطاعة والخضوع , كما يتجهون إليه وحده بالإيمان والعبادة سواء . فلا طاعة في هذا النظام لبشر إلا أن يكون منفذا لشريعة الله , موكلا عن الجماعة للقيام بهذا التنفيذ . حيث لا يملك أن يشرع هو ابتداء , لأن التشريع من شأن الألوهية وحدها , وهو مظهر الألوهية في حياة البشر , فلا يجوز أن يزاوله إنسان فيدعي لنفسه مقام الألوهية وهو واحد من العبيد !

هذه هي قاعدة النظام الرباني الذي جاء به الإسلام . وعلى هذه القاعدة يقوم نظام أخلاقي نظيف تكفل فيه الحرية لكل إنسان , حتى لمن لا يعتنق عقيدة الإسلام , وتصان فيه حرمات كل أحد حتى الذين لا يعتنقون الإسلام , وتحفظ فيه حقوق كل مواطن في الوطن الإسلامي أيا كانت عقيدته . ولا يكره فيه أحد على اعتناق عقيدة الإسلام , ولا إكراه فيه على الدين إنما هو البلاغ .

جاهد الإسلام ليقيم هذا النظام الرفيع في الأرض ويقرره ويحميه . وكان من حقه أن يجاهد ليحطم النظم الباغية التي تقوم على عبودية البشر للبشر , والتي يدعي فيها العبيد مقام الألوهية ويزاولون فيها وظيفة الألوهية – بغير حق – ولم يكن بد أن تقاومه تلك النظم الباغية في الأرض كلها وتناصبه العداء . ولم يكن بد كذلك أن يسحقها الإسلام سحقا ليعلن نظامه الرفيع في الأرض . .

ثم يدع الناس في ظله أحرارا في عقائدهم الخاصة . لا يلزمهم إلا بالطاعة لشرائعه الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والدولية . أما عقيدة القلب فهم فيها أحرار . وأما أحوالهم الشخصية فهم فيها أحرار , يزاولونها وفق عقائدهم ; والإسلام يقوم عليهم يحميهم ويحمي حريتهم في العقيدة ويكفل لهم حقوقهم , ويصون لهم حرماتهم , في حدود ذلك النظام .

وما يزال هذا الجهاد لإقامة هذا النظام الرفيع مفروضا على المسلمين:

(حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) . .

فلا تكون هناك ألوهة للعبيد في الأرض , ولا دينونة لغير الله . .

لم يحمل الإسلام السيف إذن ليكره الناس على اعتناقه عقيدة ; ولم ينتشر السيف على هذا المعنى كما يريد بعض أعدائه أن يتهموه ! إنما جاهد ليقيم نظاما آمنا يأمن في ظله أصحاب العقائد جميعا , ويعيشون في إطاره خاضعين له وإن لم يعتنقوا عقيدته .

وكانت قوة الإسلام ضرورية لوجوده وانتشاره واطمئنان أهله على عقيدتهم , واطمئنان من يريدون اعتناقه على أنفسهم . وإقامة هذا النظام الصالح وحمايته . ولم يكن الجهاد أداة قليلة الأهمية , ولا معدومة الضرورة في حاضره ومستقبله كما يريد أخبث أعدائه أن يوحوا للمسلمين ! . .

لا بد للإسلام من نظام ولا بد للإسلام من قوة , ولا بد للإسلام من جهاد . فهذه طبيعته التي لا يقوم بدونها إسلام يعيش ويقود .

(لا إكراه في الدين) . . نعم ولكن: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم . وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) . .

وهذا هو قوام الأمر في نظر الإسلام . . .

وهكذا ينبغي أن يعرف المسلمون حقيقة دينهم , وحقيقة تاريخهم ; فلا يقفوا بدينهم موقف المتهم الذي يحاول الدفاع ; إنما يقفون به دائما موقف المطمئن الواثق المستعلي على تصورات الأرض جميعا , وعلى نظم الأرض جميعا , وعلى مذاهب الأرض جميعا . .

ولا ينخدعوا بمن يتظاهر بالدفاع عن دينهم بتجريده في حسهم من حقه في الجهاد لتأمين أهله ; والجهاد لكسر شوكة الباطل المعتدي ; والجهاد لتمتيع البشرية كلها بالخير الذي جاء به ; والذي لا يجني أحد على البشرية جناية من يحرمها منه , ويحول بينها وبينه . فهذا هو أعدى أعداء البشرية , الذي ينبغي أن تطارده البشرية لو رشدت وعقلت . وإلى أن ترشد البشرية وتعقل , يجب أن يطارده المؤمنون , الذين اختارهم الله وحباهم بنعمة الإيمان , فذلك واجبهم لأنفسهم وللبشرية كلها , وهم مطالبون بهذا الواجب أمام الله . .

ويقول كذلك :
إن هناك مسافة هائلة بين اعتبار الإسلام على هذا النحو ، واعتباره نظاماً محلياً في وطن بعينه فمن حقه فقط أن يدفع الهجوم عليه في داخل حدوده الإقليمية !
هذا تصور ..
وذاك تصور ..
ولو أن الإسلام في كلتا الحالتين سيجاهد .. ولكن التصور الكلي لبواعث هذا الجهاد وأهدافه ونتائجه ، يختلف اختلافاً بعيداً ، يدخل في صميم الاعتقاد كما يدخل في صميم الخطة والاتجاه .
إن من حق الإسلام أن يتحرك ابتداء . فالإسلام ليس نحلة قوم ، ولا نظام وطن ، ولكنه منهج إله ، ونظام عالم .. ومن حقه أن يتحرك ليحطم الحواجز من الأنظمة والأوضاع التي تغل من حرية " الإنسان " في الاختيار . وحسبه أنه لا يهاجم الأفراد ليكرههم على اعتناق عقيدته ، إنما يهاجم الأنظمة والأوضاع ليحرر الأفراد من التأثيرات الفاسدة ، المفسدة للفطرة ، المقيدة لحرية الاختيار .
من حق الإسلام أن يُخرج " الناس "من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده .. ليحقق إعلانه العام بربوبية الله للعالمين ، وتحرير الناس أجمعين .. وعبادة الله وحده لا تتحقق – في التصور الإسلامي وفي الواقع العملي – إلا في ظل النظام الإسلامي ، فهو وحده النظام الذي يشرع الله فيه للعباد كلهم ، حاكمهم ومحكومهم ، أسودهم وأبيضهم ، قاصيهم ودانيهم ، فقيرهم وغنيهم ، تشريعاً واحداً يخضع له الجميع على السواء .. أما في سائر الأنظمة ، فيعبد الناس العباد ، لأنهم يتلقون التشريع لحياتهم من العباد . وهو من خصائص الألوهية ، فأيما بشر ادعى لنفسه سلطان التشريع للناس من عند نفسه ، فقد ادّعى الألوهية اختصاصاً وعملاً ، سواء ادَّعاها قولاً أم لم يعلن هذا الادعاء . وأيما بشر آخر اعترف لذلك البشر بذلك الحق فقد اعترف له بحق الألوهية ، سواء سماها باسمها أم لم يسمها !
والإسلام ليس مجرد عقيدة ، حتى يقنع بإبلاغ عقيدته للناس بوسيلة البيان . إنما هو منهج يتمثل في تجمع تنظيمي حركي يزحف لتحرير كل الناس ، والتجمعات الأخرى لا تمكّنه من تنظيم حياة رعاياها وفق منهجه هو ، ومن ثم يتحتم على الإسلام أن يزيل هذه الأنظمة بوصفها معوقات للتحرير العام ، وهذا – كما قلنا من قبل – معنى أن يكون الدين كله لله ، فلا تكون هناك دينونة ولا طاعة لعبد من العباد لذاته . كما هو الشأن في سائر الأنظمة التي تقم على عبودية العباد للعباد !
إن الباحثين الإسلاميين المعاصرين المهزومين تحت ضغط الواقع الحاضر وتحت الهجوم الاستشراقي الماكر ، يتحرجون من تقرير تلك الحقيقة ، لأن المستشرقين صوروا الإسلام حركة قهر بالسيف للإكراه على العقيدة .
والمستشرقون الخبثاء يعرفون جيداً أن هذه ليست هي الحقيقة ، ولكنهم يشوهون بواعث الجهاد الإسلامي بهذه الطريقة .. ومن ثم يقوم المنافحون – المهزومون – عن سمعة الإسلام ، بنفي هذا الاتهام ، فيلجؤون إلى تلمس المبررات الدفاعية ! ويغفلون عن طبيعة الإسلام ووظيفته ، وحقه في " تحرير الإنسان " ابتداء .
وقد غشى على أفكار الباحثين العصريين – المهزومين – ذلك التصور الغربي لطبيعة " الدين " ..
وإنه مجرد " عقيدة " في الضمير ، لا شأن لها بالأنظمة الواقعية للحياة . ومن ثم يكون الجهاد للدين ، جهاداً لفرض العقيدة على الضمير !
ولكن الأمر ليس كذلك في الإسلام ، فالإسلام منهج الله للحياة البشرية ، وهو منهج يقوم على إفراد الله وحده بالألوهية – متمثلة في الحاكمية – وينظم الحياة الواقعية بكل تفصيلاتها اليومية ! فالجهاد له جهاد لتقرير المنهج وإقامة النظام . أما العقيدة فأمر موكول إلى حرية الاقتناع ، في ظل النظام العام ، بعد رفع جميع المؤثرات .. ومن ثم يختلف الأمر من أساسه ، وتصبح له صورة جديدة كاملة
وحيثما وجد التجمع الإسلامي ، الذي يتمثل فيه المنهج الإلهي ، فإن الله يمنحه حق الحركة والانطلاق لتسلم السلطان وتقرير النظام ، مع ترك مسألة العقيدة الوجدانية لحرية الوجدان ، فإذا كف الله أيدي الجماعة المسلمة فترة عن الجهاد ، فهذه مسألة خطة لا مسألة مبدأ ، مسألة مقتضيات الحركة لا مسألة عقيدة .. وعلى هذا الأساس الواضح يمكن أن نفهم النصوص القرآنية المتعددة ، في المراحل التاريخية المتجددة ، ولا نخلط بين دلالتها المرحلية ، والدلالة العامة لخط الحركة الإسلامية الثابت الطويل .

ويقول عند قوله تعالى :
يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ ﴿ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٣٣) سورة التوبة

إن أهل الكتاب هؤلاء لا يقفون عند حد الانحراف عن دين الحق , وعبادة أرباب من دون الله . وعدم الإيمان بالله واليوم الآخر – وفق المفهوم الصحيح للإيمان بالله واليوم الآخر – إنما هم كذلك يعلنون الحرب على دين الحق ; ويريدون إطفاء نور الله في الأرض المتمثل في هذا الدين , وفي الدعوة التي تنطلق به في الأرض , وفي المنهج الذي يصوغ على وفقه حياة البشر . .

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم) . .

فهم محاربون لنور الله . سواء بما يطلقونه من أكاذيب ودسائس وفتن ; أو بما يحرضون به أتباعهم وأشياعهم على حرب هذا الدين وأهله , والوقوف سداً في وجهه – كما كان هو الواقع الذي تواجهه هذه النصوص وكما هو الواقع على مدار التاريخ .

وهذا التقرير – وإن كان يراد به استجاشة قلوب المسلمين إذ ذاك – هو كذلك يصور طبيعة الموقف الدائم لأهل الكتاب من نور الله المتمثل في دينه الحق الذي يهدي الناس بنور الله .

(ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) . .

وهو الوعد الحق من الله , الدال على سنته التي لا تتبدل , في إتمام نوره بإظهار دينه ولو كره الكافرون . .

وهو وعد تطمئن له قلوب الذين آمنوا ; فيدفعهم هذا إلى المضي في الطريق على المشقة واللأواء في الطريق ; وعلى الكيد والحرب من الكافرين [والمراد بهم هنا هم أهل الكتاب السابق ذكرهم] . .

كما أنه يتضمن في ثناياه الوعيد لهؤلاء الكافرين وأمثالهم على مدار الزمان !

ويزيد السياق هذا الوعيد وذلك الوعد توكيداً:

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله , ولو كره المشركون) . .

قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم ☹وفي هذا النص يتبين أن المراد بدين الحق الذي سبق في قوله تعالى الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) . .

هو هذا الدين الذي أرسل الله به رسوله الأخير . وأن الذين لا يدينون بهذا الدين هم الذين يشملهم الأمر بالقتال . .

وهذا صحيح على أي وجه أوّلنا الآية . فالمقصود إجمالاً بدين الحق هو الدينونة لله وحده في الاعتقاد والشعائر والشرائع – وهذه هي قاعدة دين الله كله , وهو الدين الممثل أخيراً فيما جاء به محمد –

- فأيما شخص أو قوم لم يدينوا لله وحده في الاعتقاد والشعائر والشرائع مجتمعة ; انطبق عليهم أنهم لا يدينون دين الحق , ودخلوا في مدلول آية القتال . .

مع مراعاة طبيعة المنهج الحركي للإسلام , ومراحله المتعددة , ووسائله المتجددة كما قلنا مراراً .

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله , ولو كره المشركون) . .

وهذا توكيد لوعد الله الأول: (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) . .

ولكن في صورة أكثر تحديداً . فنور الله الذي قرر سبحانه أن يتمه , هو دين الحق الذي أرسل به رسوله ليظهره على الدين كله .

ودين الحق – كما أسلفنا – هو الدينونة لله وحده في الاعتقاد والعبادة والتشريع مجتمعة . وهو متمثل في كل دين سماوي جاء به رسول من قبل . .

ولا يدخل فيه طبعاً تلك الديانات المحرفة المشوبة بالوثنيات في الاعتقاد التي عليها اليهود والنصارى اليوم .

كما لا تدخل فيه الأنظمة والأوضاع التي ترفع لافتة الدين , وهي تقيم في الأرض أرباباً يعبدها الناس من دون الله , في صورة الاتباع للشرائع التي لم ينزلها الله .

والله سبحانه يقول:إنه أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . . ويجب أن نفهم "الدين" بمدلوله الواسع الذي بيناه , لندرك أبعاد هذا الوعد الإلهي ومداه . .

إن "الدين" هو "الدينونة " . .

فيدخل فيه كل منهج وكل مذهب وكل نظام يدين الناس له بالطاعة والاتباع والولاء . .

والله سبحانه يعلن قضاءه بظهور دين الحق الذي أرسل به رسوله على "الدين" كله بهذا المدلول الشامل العام !

إن الدينونة ستكون لله وحده . والظهور سيكون للمنهج الذي تتمثل فيه الدينونة لله وحده .

ولقد تحقق هذا مرة على يد رسول الله – - وخلفائه ومن جاء بعدهم فترة طويلة من الزمان . وكان دين الحق أظهر وأغلب ; وكانت الأديان التي لا تخلص فيها الدينونة لله تخاف وترجف ! ثم تخلى أصحاب دين الحق عنه ; خطوة فخطوة بفعل عوامل داخلة في تركيب المجتمعات الإسلامية من ناحية وبفعل الحرب الطويلة

المدى , المنوعة الأساليب , التي أعلنها عليه أعداؤه من الوثنيين وأهل الكتاب سواء . .
ولكن هذه ليست نهاية المطاف . .
إن وعد الله قائم , ينتظر العصبة المسلمة , التي تحمل الراية وتمضي , مبتدئة من نقطة البدء , التي بدأت منها خطوات رسول الله – - وهو يحمل دين الحق ويتحرك بنور الله . .
قال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوا" سورة المائدة ٣٥ .

سماحة الاسلام

حكم بناء الكنائس والمعابد في جزيرة العرب

فتوى رقم (٢١٤١٣) وتاريخ ١ / ٤ / ١٤٢١ هـ
:الحمد لله وحده والصّلاة والسّلام على من لا نبي بعده.. وبعد

فقد اطّلعت اللجنة الدّائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ما ورد إلى سماحة -
المفتي العام من عدد من المستفتين المقيدة استفتاءاتهم في الأمانة العامة
لهيئة كبار العلماء برقم (٨٦) وتاريخ ٥ / ١ / ١٤٢١ هـ ورقم (١٣٢٦- ١٣٢٧ –
١٣٢٨) وتاريخ ٢ / ٣ / ١٤٢١هـ. بشأن حكم بناء المعابد الكفرية في جزيرة العرب
مثل: بناء الكنائس للنّصارى، والمعابد لليهود وغيرهم من الكفرة، أو أن يخصص
صاحب شركة أو مؤسسة مكانًا للعمالة الكافرة لديه يؤدون فيه عبادتهم
.الكفرية... إلخ
:وبعد دراسة اللجنة لهذه الاستفتاءات أجابت بما يلي

كل دين غير دين الإسلام فهو كفرٌ وضلالٌ، وكل مكان يُعد للعبادة على غير دين -
الإسلام فهو بيت كفرٍ وضلالٍ، إذ لا تجوز عبادة الله إلا بما شرع -سبحانه- في
الإسلام، وشريعة الإسلام خاتمة الشّرائع، عامةً للثّقلين الجنّ والإنس وناسخةً
.-لما قبلها، وهذا مُجمع عليه بحمد الله -تعالى

ومن زعم أن اليهود على حقٍّ، أو النّصارى على حقٍّ سواءً كان منهم أو من -
غيرهم فهو مكذبٌ لكتاب الله -تعالى- وسنّة رسوله محمد -صلى الله عليه
وسلم- وإجماع الأمة، وهو مرتدٌ عن الإسلام إن كان يدّعي الإسلام بعد إقامة
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ } :-الحجة عليه إن كان مثله ممن يخفي عليه ذلك، قال الله -تعالى
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ } :-سبأ: ٢٨]، وقال -عزّ شأنه] {إلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ } :-الأعراف: ١٥٨] وقال -سبحانه] {إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا
وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ } :-آل عمران: ١٩] وقال -جلّ وعلا] {اللَّهِ الإِسْلامُ
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ } :-آل عمران: ٨٥]، وقال -سبحانه] {يُقْبَلَ مِنْهُ
البينة: ٦]، وثبت] {وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ
وكان النّبيّ » :في الصّحيحين وغيرهما أن النّبيّ -صلى الله عليه وسلم- قال
رواه البخاري ٣٣٥ ومسلم] «يبعث إلى قومه خاصّةً، وبعثت إلى النّاس عامةً

- ولهذا صار من ضروريات الدّين: تحريم الكفر الّذي يقتضي تحريم التعبد لله على خلاف ما جاء في شريعة الإسلام، ومنه تحريم بناء معابد وفق شرائعَ منسوخة يهودية أو نصرانيةً أو غيرهما؛ لأن تلك المعابد سواء كانت كنيسة أو غيرها تُعتبر معابد كفرية؛ لأن العبادات الّتي تُؤدي فيها على خلاف شريعة الإسلام النّاسخة لجميع الشّرائع قبلها والمبطلة لها، والله -تعالى- يقول عن الكفار وأعمالهم:
{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: ٢٣].

- ولهذا أجمع العلماء على تحريم بناء المعابد الكفرية مثل: الكنائس في بلاد المسلمين، وأنّه لا يجوز اجتماع قبلتين في بلد واحد من بلاد الإسلام، وألا يكون فيها شيءٌ من شعائر الكفر لا كنائس ولا غيرها، وأجمعوا على وجوب هدم الكنائس وغيرها من المعابد الكفرية إذا أُحدثت في أرض الإسلام، ولا تجوز معارضة ولي الأمر في هدمها بل تجب طاعته.

- وأجمع العلماء -رحمهم الله تعالى- على أن بناء المعابد الكفرية ومنها: الكنائس في جزيرة العرب أشد إثمًا وأعظم جرمًا، للأحاديث الصّحيحة الصّريحة بخصوص النّهي عن اجتماع دينين في جزيرة العرب، منها قول النّبيّ -صلى الله عليه وسلم-: " لا يبقين دينان بأرض العرب».
[صححه الألباني في صحيح الجامع ٤٦١٧]

فجزيرة العرب: حرم الإسلام وقاعدته الّتي لا يجوز السّماح أو الإذن لكافر باختراقها، ولا التّجنس بجنسيتها، ولا التّملك فيها، فضلًا عن إقامة كنيسة فيها لعبادة الصّليب، فلا يجتمع فيها دينان إلا دينًا واحدًا هو دين الإسلام الّذي بعث الله به نبيّه ورسوله محمدًا -صلى الله عليه وسلم-، ولا يكون فيها قبلتان إلا قبلة واحدة هي قبلة المسلمين إلى البيت العتيق، والحمد لله الّذي وفق ولاة أمر هذه البلاد إلى صدّ هذه المعابد الكفرية عن هذه الأرض الإسلامية الطّاهرة.

- وإلى الله المشتكى مما جلبه أعداء الإسلام من المعابد الكفرية من الكنائس وغيرها في كثير من بلاد المسلمين -نسأل الله أن يحفظ الإسلام عن كيدهم ومكرهم-.

- وبهذا يُعلم أن السّماح والرّضا بإنشاء المعابد الكفرية مثل الكنائس، أو تخصيص مكان لها في أي بلدٍ من بلاد الإسلام من أعظم الإعانة على الكفر وإظهار شعائره، والله -عزّ شأنه- يقول: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: ٢].

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: " من اعتقد أن الكنائس

بيوت الله، وأن الله يُعبد فيها، أو أن ما يفعله اليهود والنّصارى عبادة لله وطاعة لرسوله، أو أنه يحبّ ذلك أو يرضاه، أو أعانهم على فتحها وإقامة دينهم، وأن ذلك قربة أو طاعة فهو كافر".

وقال أيضًا: "من اعتقد أن زيارة أهل الذّمة في كنائسهم قربةً إلى الله - فهو مرتدٌ، وإن جهل أن ذلك محرم عرف ذلك، فإن أصرّ صار مرتدًا". انتهى.

عائذين بالله من الحور بعد الكور، ومن الضّلالة بعد الهداية، وليحذر - المسلم أن يكون له نصيب من قول الله -تعالى-: { إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} [محمد: ٢٥-٢٨] وبالله التّوفيق.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدّائمة للبحوث العلمية والإفتاء

هلاوس اعادة دولة الخلافة

انتهت صلاحية المشروع الاسلامى عندما أعلن مصطفى كمال اتاتورك الغاء الخلافة الاسلامية فى ٤ مارس سنة ١٩٢٤ . ولكن مازال الكثيرون الآن يعاودهم الحنين الى اعادتها مرة أخرى عن طريق الجهاد المقدس مرددين " أمجاد يا عرب أمجاد ".

فهل كان التاريخ الاسلامى مجيدا حقا ؟

الواقع المرير انه كان مخزيا بامتياز .

بدأ جهاد الرسول بالغزوات التى اعترض فيها طريق قوافل قريش للحصول على المال لاقامة دولة المدينة . وكانت بواط من أول الغزوات وعنها يقول ابن كثير فى مختصر السيرة ان الغرض منها كان اعتراض عير قريش التى كان فيها أمية بن خلف ومائة رجل والفان وخمسمائة بعير .

ثم أتت سرية عبدالله بن جحش فأصابوا أسيرين وعددا من الابل , فأعطوا رسول الله الخمس وأقتسموا ما تبقى بينهم .

ثم سمع الرسول بأبى سفيان قادما من الشام بأموال قريش , فقال للمسلمين : " هذه عير قريش فيها أموالهم , فأخرجوا اليها لعل الله ينفلكموها ".

ثم جاء دور اليهود فغزا المسلمون بنى قينقاع ثم بنى قريظة وبنى المصطلق ثم يهود خيبر ووادى القرى . ولم يسلم من كل اليهود غير خمسة أو ستة أشخاص ليحافظوا على أموالهم . ووضع المسلمون أيديهم على أموال اليهود بعد أن أجلوهم عن المدينة وقتلوا من قتلوا منهم .

وكل هذه الغزوات لم تزد عدد المسلمين ولم تنشر دين الله الجديد , ولكنها أثرت المهاجرين الذين أتوا الى المدينة صفر الأيادى .

ويبدوا أن المسلمين اكتفوا بما أخذوا من أموال قريش وأموال اليهود ولم تكن شهيتهم للغزوات عظيمة . وقد حثهم الرسول على الغزو غير أنهم تباطئوا فأنزل الله عليهم : " يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا أثاقلتم الى الأرض" (التوبة ٣٨) . "الا تنفروا يعذبكم الله عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم " (التوبة ٣٩).

ثم أنزل الله الآيات التى جعلت القتال فرضا عليهم مثل " كتب عليكم القتال وهو كره لكم , وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم " (البقرة ٢١٦).

وقال لهم الرسول : " من مات ولم يغز مات على النفاق ".

وكان يغريهم بالنساء فقد قال لهم ذات مرة " اغزوا لعلكم تغنموا بنات بنى الأصفر (الروميات الشقراوات).

ثم جاء عهد الخلفاء الراشدين الذى بدأ بحروب مانعى الزكاة وواقعة قتل سيف الله المسلول خالد ابن الوليد لمالك بن نويرة وطهى رأسه والزنى بأمرأته .

ثم بدأ المسلمون بفتح البلدان المجاورة مثل الشام وبلاد فارس وأراقوا الدماء انهارا وغنم المسلمون كمية من المال والعبيد لم تكن تخطر لهم على بال. ويقال أن الخليفة عمر لما جاءه المال من بلاد فارس قال للمسلمين: " إنه قدم علينا مال كثير، فإن شئتم أن نعده لكم عدداً وإن شئتم أن نكيله لكم كيلاً " (البلاذري: فتوح البلدان ص ٥٠٥). وفرض عمر لكل رجلٍ وامرأة نصيباً معلوماً من المال، وحتى المولود الجديد فرض له نصيباً. ولما لم تكن هناك حكومة متقدمة تتكفل بنفقات

الجيش، بدأ بعض المسلمين باستلاف الأموال لتجهيز نفسه للغزوات، لضمان الرجوع بكميات وافرة من الغنيمة تكفي لسداد الدين وتوفر له ربحاً وجواري، وقد قال المبرد في الكامل في التاريخ إن بكير بن وساج عندما تجهز لغزو ما وراء النهر أنفق نفقة كثيرة واستدان فيها. (الجزء الثاني، ص ٢٨٦). وكان واضحاً منذ البداية أن الغنيمة كانت هي الدافع الأقوى للاشتراك في هذه الغزوات، فقد ذكر ابن كثير أن أصحاب رسول الله يوم موقعة بدر اختلفوا في الغنيمة، إذ كانت المجموعة التي تحرس الرسول ومنهم سعد بن معاذ، تقول أنها أحق بالغنيمة، والمجموعة الثانية التي كانت تحارب المشركين قالوا إنهم أحق بالغنائم لأنهم الذين أصابوها. وقال عبادة بن الصامت إن آية " الأنفال " نزلت فيهم يوم بدر : " حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله ". وكذلك يوم واقعة " أُحد " عندما أوصى الرسول بعض أصحابه بالوقوف على التل ورمي المشركين بالنبال، وأمرهم ألا يبرحوا مكانهم حتى إن انتصر المسلمون. وفعلاً انتصر المسلمون في البداية وبدأ المشركون بالتراجع، فخشي أهل التل أن تفوتهم الغنائم، فنزلوا من التل يبتغون الغنائم فدارت عليهم الدوائر وانهزموا وهربوا من حول الرسول الذي أُصيب في وجهه بحجر وظل ينزف.واستمرت الغزوات فغزا عمرو بن العاص مصر سنة عشرين هجرية وغنم أموالاً طائلة وسبايا، وحاول عبد الله بن سعد بن أبي سرح غزو النوبة ولم يفلح فحالفهم على أن يعطعوا المسلمين عدداً من العبيد كل عام. وغزا عبد الله بن سعد شمال أفريقيا وغنم مالاً كثيراً وسبايا حتى أن الرجل من المسلمين كان نصيبه ألف دينار إذا كان راجلاً وثلاثة آلاف إذا كان فارساً (شذرات الذهب للدمشقي). وأعطى عثمان بن عفان لعبد الله خمس الأنفال من أفريقيا، وهو الخمس الذي فرضه الله للمساكين. واستمرت غزوات المسلمين حتى نهاية الدولة العباسية فدخلوا السند والهند وبلاد فارس وجنوب الصين، فاجتمعت لهم ثروات كان يصعب عليهم استيعاب مقدارها، وحتى صحابة الرسول الذين حرّم الله عليهم كنز الأموال حينما قال " والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم * يوم يُحمى بها في نار جهنم فتكوى بها جباههم و جنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون " كنزوا الأموال الطائلة، ففي طبقات ابن سعد وهو أحد أوثق المصادر في تاريخ صدر الإسلام، بلغت ثروة الزبير بن العوام اثنين وخمسين مليون درهم من النقد وكانت له أملاك في مصر والإسكندرية والكوفة والبصرة والمدينة. وكان لعثمان عند خازنه يوم قتل ثلاثين مليون درهم ومائة وخمسين ألف دينار. وترك عبد الرحمن بن عوف ألف بعير وثلاثة آلاف شاة ومائة حصان ومزرعة تسقى بعشرين ناضح (دابة لسقي المزارع) وذهب مصبوب في سبائك، يقول المسعودي إنه أخرج بعد وفاته إلى مجلس عثمان وكوّم على الأرض فحال بين الجالسين لارتفاعه عليهم. وكانت غلة طلحة من العراق وحده ألف درهم في اليوم وقد ترك من الأموال والعقار ثلاثين مليون درهم. وهؤلاء الأربعة من العشرة المبشرين بالجنة وهم من قادة الصحابة. وينقل صاحب العقد الفريد أن ابن عباس كان يرتدي الرداء بألف درهم (من قاموس التراث، هادي العلوي).

والغريب أن كل البلاد التي فتحها المسلمون عنوة، قتلوا رجالها وسبوا نساءها ولم يساوموهم على الإسلام وإعلاء كلمة الله. وقيل أن أبا بكر كان قد أوصاهم أن يؤذنوا إذا نزلوا منزلاً فإن أذن القوم فكفوا عنهم وإن لم يؤذنوا فاقتلوا وانهبوا (الكامل في التاريخ، ج٢، ص ٢١٧). ويقال إن ابن عامر لما فتح أصطخر قتل فيها مائة ألف (فتوح البلدان للبلاذري، ص ٤٢٣) ومحمد بن القاسم قتل ٢٦ ألف هندي في يوم واحد (نفس المصدر ص ٤٨٧). أما البلاد التي استسلم أهلها دون قتال، فرضوا عليهم الجزية والخراج وأخذوا منهم الجواري، ولم يشترطوا عليهم دخول الإسلام. ولكن الجزية والخراج أرهقاهم. وعندما ولى الخليفة هشام أشرى بن عبد الله السلمي على خراسان ونادى بسقوط الجزية عن من يسلم، سارعوا للإسلام وانكسر الخراج (البلاذري ص ٤٧٥). وقد أغضب هذا الخليفة هشام لأن الخراج والجزية كانتا المصدر الرئيسي لأموال الخلفاء

العباسيين الذين أصبحت ثرواتهم تفوق الوصف، وحتى ثروات قضاتهم ونسائهم. ويقال إن الخليفة المعتصم غضب على وزيره الفضل بن مروان فأخذ منه عشرة آلاف ألف دينار ونفاه (شذرات الذهب للدمشقي). والجزية كانت أهم من نشر الإسلام فقد خطب عمر بن الخطاب فقال: " ومن نعم الله عليكم نعمٌ عم بها بني آدم، ومنها نعمٌ اختص بها أهل دينكم، ثم صارت تلك النعم خواصها وعوامها في دولتكم وزمانكم وطبقتكم وليس من تلك النعم نعمة وصلت إلي امرئ خاصة إلا لو قُسّم ما وصل إليه منها بين الناس كلهم أتعبهم شكرها، وفدحهم حقها، إلا بعون الله مع الإيمان بالله ورسوله، فأنتم مستخلفون في الأرض، قاهرون لأهلها، نصر الله دينكم، فلم تصبح أمة مخالفة لدينكم إلا أمتان: أمة مستعبدة للإسلام وأهله، يجزون لكم، يُستصفون معايشهم وكدائحهم ورشح جباهم، عليهم المؤونة ولكم المنفعة، وأمة تنتظر وقائع الله وسطواته في كل يوم وليلة، قد ملأ الله قلوبهم رعبا، فليس لهم معقل يلجؤون إليه، ولا مهرب يتقون به(الطبري، ج٢، ص٥٧٤).
فالخليفة عمر يقول للمسلمين إن شعوب العالم الباقية إما تظل تكدح وتعرق لتدفع لكم الجزية، وأما تفتحوها عنوة وتقتلونهم ولذلك هم في خوف مستمر. ولم يقل الخليفة عمر للمسلمين هلموا وانشروا الإسلام في بقية دول العالم. ولأهمية الجزية عند المسلمين، صرف الحجاج بن يوسف على غزوة ابن عمه محمد بن القاسم للهند ستين ألف ألف ووجد ما حُمل إليه عشرين ومائة ألف ألف. فقال: شفينا غيظنا وأدركنا ثأرنا وازددنا ستين ألف ألف درهم.(فتوح البلدان). فلا الحجاج ولا محمد بن القاسم حاول إدخال الهنود في الإسلام لأن ذلك يفقدهم الجزية والخراج. فلو كانت الغزوات في سبيل الله لماذا قتل المسلمون أسراهم ولم يحاولوا إدخالهم في الدين الجديد. ولماذا سبوا النساء وجعلوهن من " ما ملكت أيمانكم " بدل أن يعلموهن الإسلام ويطلقون سراحهن؟ وحتى الخليفة أبو بكر عندما شن حروب الردة لإرجاع العرب المرتدين للإسلام، أسر الرجال وسبى النساء وجعلهن ملك يمين إلى أن جاء الخليفة عمر فأطلق سراح الرجال ورد النساء إلى أزواجهن وقبائلهن. ولم نقرأ في أي كتاب تاريخ إسلامي أن المسلمين فتحوا بلداً وقرروا تدريس أهله الإسلام عن طريق التبشير. فهم دائماً كان شرطهم الجزية أو السيف. ويتضح هذا من البلاد التي فتحها المسلمون عنوة مثل الأندلس التي اهتم خلفاؤها بتشييد القصور والحمامات ثم الحروب بينهم أكثر من اهتمامهم بنشر الإسلام. وبعد أن بقوا في الأندلس ثمانمائة سنة، رجع أهلها إلى مسيحيتهم عندما انهزم المسلمون. وبلاد شرق أوربا التي فتحها الأتراك وظلوا بها أربعمائة عام، ولم يفلحوا في زراعة الإسلام بها، ما عدا البوسنا وألبانيا. وينطبق نفس الشئ على جزر البحر الأبيض مثل قبرص وصقلية ورودس، كلها رجعت لمسيحيتها بمجرد أن انهزم المسلمون.وحتى في أيامنا هذه نرى أن المجاهدين عندما يختطفون شخصاً مسيحياً في العراق، لا يطلبون منه اعتناق الإسلام بل يطلبون مبالغاً خيالية من المال يعجز عنها الأفراد. فيبدو واضحاً من هذا السرد أن الغزوات والجهاد لم تكن في سبيل الله ولنشر الدين الجديد إنما كانت للمال والجواري، وانتشر الإسلام بطرق غير مباشرة لتفادي دفع الجزية والخراج. (عن مقالة للدكتور كامل النجار).

وأما عن ما فعله المسلمون فى بعضهم البعض فهو مما يندى له الجبين .

بلغ الأمر غاية وضوحه في زمن عثمان بن عفان الذي فتق بطن عمّار بن ياسر ضربا وركلا، وكسر أضلاع ابن مسعود حب رسول الله، ونفى أبا ذر إلى الربذة، فقتل المسلمون خليفتهم، وتم قتله بيد صحابة وأبناء صحابة. ومن بعدها خرجت الفرق الإسلامية تحارب بعضها بعضا وتكفّر بعضها بعضا، حتى مات حول جمل عائشة خمسة عشر ألف مسلم، ومن بعدهم مائة ألف وعشرة من المسلمين في صفّين، لا تعلم من فيهم من يمكن أن نصفه بالشهيد

ومن فيهم من يمكن أن نصفه بالظالم المفتري!

أما عن زمن معاوية وولده يزيد فحدث ولا حرج عما جرى لآل بيت الرسول، وكيف تم جز رأس الحسين لترسل إلى العاصمة، وكيف تم غرس رأس زيد بن علي في رمح ثم غرسه بدوره فوق قبر جده رسول الله!. وإن ينسى المسلمون السنّة، فان بقية الفرق لا تنسى هذه الأحداث الجسام التي فرقت المسلمين فرقا وشيعا، كلها تمسحت بالدين وكان الشأن شأن سياسة ودنيا وسلطان.

وإن ينسى المسلمون أو يتناسوا فان التاريخ يقرع أسماعنا بجملة مسلم بن عقبة المري لتأديب مدينة رسول الله "يثرب" ومن فيها من الصحابة والتابعين بأمر الخليفة القرشي يزيد بن معاوية. فقتل من قتل في وقعة الحرة التي هي من كبرى مخازينا التاريخية، إذ استباح الجيش نساء المدينة أياما ثلاثة حبلت فيها ألف عذراء من سفاح واغتصاب علني وهن المسلمات الصحابيات وبنات الصحابة والصحابيات.

أما زياد بن أبيه، والي الأمويين على إقليم العراق، فقد شرّع القتل بالظن والشبهة حتى لو مات الأبرياء إخافة للمذنب، وشرّع قتل النساء. أما نائبه الصحابي "سمرة بن جندب" فان يديه قد تلوثتا فقط بدماء ثمانية آلاف من أهل العراق على الظن والشبهة، بل اتخذ تطبيق الحدود الإسلامية شكلا ساخرا يعبر عن تحكم القوة لا حكم الدين، كما في حال "المسود بن مخرمة" الذي ندد بشرب الخليفة للخمر، فأمر الخليفة بإقامة الحد إحقاقاً للشرع لكن على المسود بن مخرمة.

ثم لا تندهش لأفاعيل السلطة وشهوتها في التقوى والأتقياء. فهذا الملقب ب"حمامة المسجد" عبد الملك بن مروان لكثرة مكوثه في المسجد وطول قراءاته للقران وتهجده ليل نهار، يأتيه خبر انه قد أصبح الخليفة فيغلق القران ويقول له: "هذا آخر العهد بك"، ثم يقف في الناس خطيبا فيقول:"والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا وإلا ضربت عنقه."

ولابد أن يجد الحجاج بن يوسف الثقفي هنا ولو إشارة؛ لأنه كان المشير على الخليفة؛ ولأنه من قام على إصدار النسخة الأخيرة من القرآن بعد أن عكف مع علماء الأمة على تصويب الإصدار العثماني وتشكيله وتنقيطه بإشراف شخصي دائم منه، ولم يثبت عليه حب الخمر أو اللهو. لكنه كان أيضا هو الرجل الذي ولغ في دماء المسلمين، وكانت مخالفته في أهون الشئون تعني قص الرقبة، فهو الذي قال:" والله لا آمر أحدا أن يخرج من باب من أبواب المسجد فيخرج من الذي يليه إلا ضربت عنقه". وهو أحد خمسة ذكرهم عمر بن عبد العزيز قبل خلافته في قوله : "الحجاج بالعراق والوليد بالشام وقرة بمصر وعثمان بالمدينة وخالد بمكة، اللهم قد امتلئت الدنيا ظلما وجورا".

وقد سار الحجاج على سنّة سلفه زياد في إعدام النساء والقبض على أهل المطلوب حتى يسلم نفسه، ومنع التجمهر، وإنزال الجنود في بيوت الناس ووسط العائلات يلغون في الشرف كيفما شاءوا إذلالاً للناس وكسرا لإنسانيتهم، حتى انه أعدم من العراقيين في عشرين سنة هي مدة ولايته مائة وعشرين ألفا من الناس بقطع الرأس بالسيف أو الذبح من القفا أو الرقبة، دون أن نعرف من هم هؤلاء الناس ولماذا ذبحوا اللهم إلا على الاحتجاج على ضياع كرامة الإنسان، أو لمجرد الشبهة والظن.

وقد وجد هؤلاء السادة في الذبح والحرق لذة وسعادة، بل فكاهة دموية .ففي فتوح جرجان سال أهل مدينة طمسية قائد المسلمين سعيد بن العاص بن عم الخليفة القائم عثمان بن عفان الأمان، مقابل استسلامهم على ألا يقتل منهم رجلا واحدا، ووافق القائد سعيد ففتحوا له حصونهم فقرر الرجل أن يمزح ويلهو ويضحك، فقتلهم جميعا إلا رجل واحد!

وعندما وصل العباسيون إلى السلطة بدأوا حملة تطهير واسعة شملت من مواطني دمشق خمسين ألفا تم ذبحهم، وجعلوا من المسجد الأموي إسطبلاً لخيولهم. ولما استقام لهم الأمر استمروا على النهج الأموي في ظلم العباد وقهر آدمية الإنسان، وهو ما كان يدفع إلى ثورات، تنتهي بشي الثوار على نيران هادئة، أو بمواجهتهم للضواري في احتفالات رومانية الطابع.(عن مقالة للدكتور سيد القمنى).

التاريخ لا ينسى أيضا مجازر الدولة العثماتية وابادتهم للأرمن على عهد السلطان عبد الحميد الثانى والملقب بالسلطان الأحمر من كثرة الدماء التى تلطخت بها يداه .

هذا هو "التاريخ الذهبى" الذى يفخر بها المسلمون ويريدون استعادته من جديد .

انهم بقسمون العالم الى "دار سلام" تحكمها الشريعة الاسلامية و"دار حرب " يجب ان تحكمها الشريعة الاسلامية ويسعون جاهدين الى اقامة دولة الاسلام التى سوف تسود العالم أجمع ولو كره الكارهون .

نعم نحن نكره هذا بكل نقطة دم فى عروقنا كما يكرهه كل متحضر محب للسلام والعدالة والمساواة بل وللانسانية نفسها.

ان على المجتمع الحر أن يتحمل مسؤليته أمام التاريخ وأن يتصدى بكل ما أوتى من قوة لكل محاولة لاعادة خلافة التخلف والقتل والدمار حماية للبشرية بل وللمسلمين أنفسهم من هلاوس العصور الغابرة .

ايهما نصدق ؟ الاسلام الأصلى أم الاسلام المعدل ؟

هناك نوعان من الاسلام : الاسلام الأصلى والاسلام المعدل .

الاسلام الأصلى هو اسلام "المدينة" الذى نسخ اسلام "مكة" .

اسلام السيف والقوة نسخ اسلام الحكمة والموعظة الحسنة .

الاسلام الأصلى هو اسلام :
يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال . الأنفال ٦٥
قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر . التوبة ٢٩
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . الأنفال ٣٩
وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . البقرة ١٩٣
وقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم . التوبة ١٤
يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير . البقرة ٢١٧
وقاتلوا فى سبيل الله وأعلموا ان الله سميع عليم البقرة ٢٤٤
وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا . الأحزاب ٢٦
وأقتلوهم حيث ثقفتموهم . البقرة ١٩١
فان تولوا فخذوهم وأقتلوهم حيث وجدتموهم . النساء ٨٩
فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة . آل عمران ١٣
وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله . النساء ٧٥
ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلوهم أو يسلمون . الفتح ١٦ .
فليقاتل فى سبيل الله الذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة . النساء ٧٤
ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نأتيه أجرا عظيما . النساء ٧٤
ان الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله . النساء ٧٦
ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا . الصف ٤
فاذا انسلخ الأشهر الحرم فأقتلوا المشركين حيث وجدتموهم .. التوبة ٥
وأعدوا لهم ا استطعتم من القوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم . الأنفال ٦٠

والاسلام الأصلى هو ايضا اسلام :

" أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدُوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويُؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابُهُم على الله"!.

" نصرت بالرعب، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأعطيت جوامع الكلم، وأحلت لي المغانم ولم تحلل لنبي كان قبلي، وأعطيت الشفاعة، خمس لم يؤتهن نبي قبلي".
"الخير كله في السيف وتحت ظل السيف. ولا يقيم الناس إلا السيف. والسيف مقاليد الجنة والنار".
" يا معشر قريش أما والذي نفس مُحمد بيدِهِ لقد جئتكم بالذبح"
" بل الدم الدم، والهدم الهدم "

أما الاسلام المنسوخ والذى يتم استدعائه دوما فى حالة الضعف الراهنة فهو اسلام فاقد الصلاحية ومعدل لملائمة الواقع المتردى للأمة الاسلامية وهو يشمل توليفة من آيات السلم المنسوخة والأحاديث الموضوعه منها ما يلى على سبيل المثال الآيات التالية:

" أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" النحل ١٢٥

" وجادلهم بالتى هى أحسن" النحل ١٢٥

"لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى " البقرة ٢٥٦

" لكم دينكم ولى دين " الكافرون ٦

"..فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" الكهف ٢٩

"..أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين" يونس ٩٩

ومنها أيضا على سبيل المثال الأحاديث الموضوعة التالية :

"اذهبوا فأنتم الطلقاء" (قول الرسول لأهل قريش بعد فتح مكة) .

" اليست نفسا " (حديث الرسول عن يهودى بعد وقوفه لجنازته) .

حديث عيادة الرسول لليهودى الذى كان يلقى القمامة على باب بيته .

العالم اليوم فى عصر الانترنت وثورة المعلومات لم تعد تنطلى عليه شعوذة المشايخ والدعاة المسلمين الذين يطلون عليه من شاشة التلفاز يروجون للنسخة المزيفة للاسلام .

ان الاسلام الحقيقى هو اسلام القاعدة وماكو حرام وداعش .

ان الاسلام الحقيقى هو اسلام جز الرقاب و جهاد النكاح.

هو اسلام حسن البنا وسيد قطب وعبد السلام فرج وعبد الله عزام واسامة بن لادن والزرقاوى .

اسلام " جئتكم بالذبح" لايمكن على الاطلاق أن يكون من عند الاله الحقيقى .

لقد قال السيد المسيح " جئت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل" .

وقال أيضا " من ثمارهم تعرفونهم " .

ان الثمر الردئ هو أكبر دليل على أن الشجرة ذاتها ردئة .

آية السيف (التوبة ٥) ليست منسوخة بل ناسخة .

حديث " أمرت أن أقاتل الناس " هو حديث صحيح أجمعت عليه كل كتب الصحاح .

اذا فان القتل والذبح هما فى صميم المرجعية الأولى (القرآن) وفى حياة المثل الأعلى (محمد) .

فيلعذرنا الأخ المسلم عندما نقول أن أصل الشجرة نفسه فاسد .

ولهذا فاننى أدعو كل مسلم مازال ضميره حيا أن يراجع نفسه ويحكم عقله فيما يظنه الحق قبل فوات الأوان.

فانه عاجلا أو آجلا سوف يقف كل منا أمام الاله الواحد الحق الحقيقى ليقدم حسابا عن نفسه فى يوم لا ينفع فيه الندم .